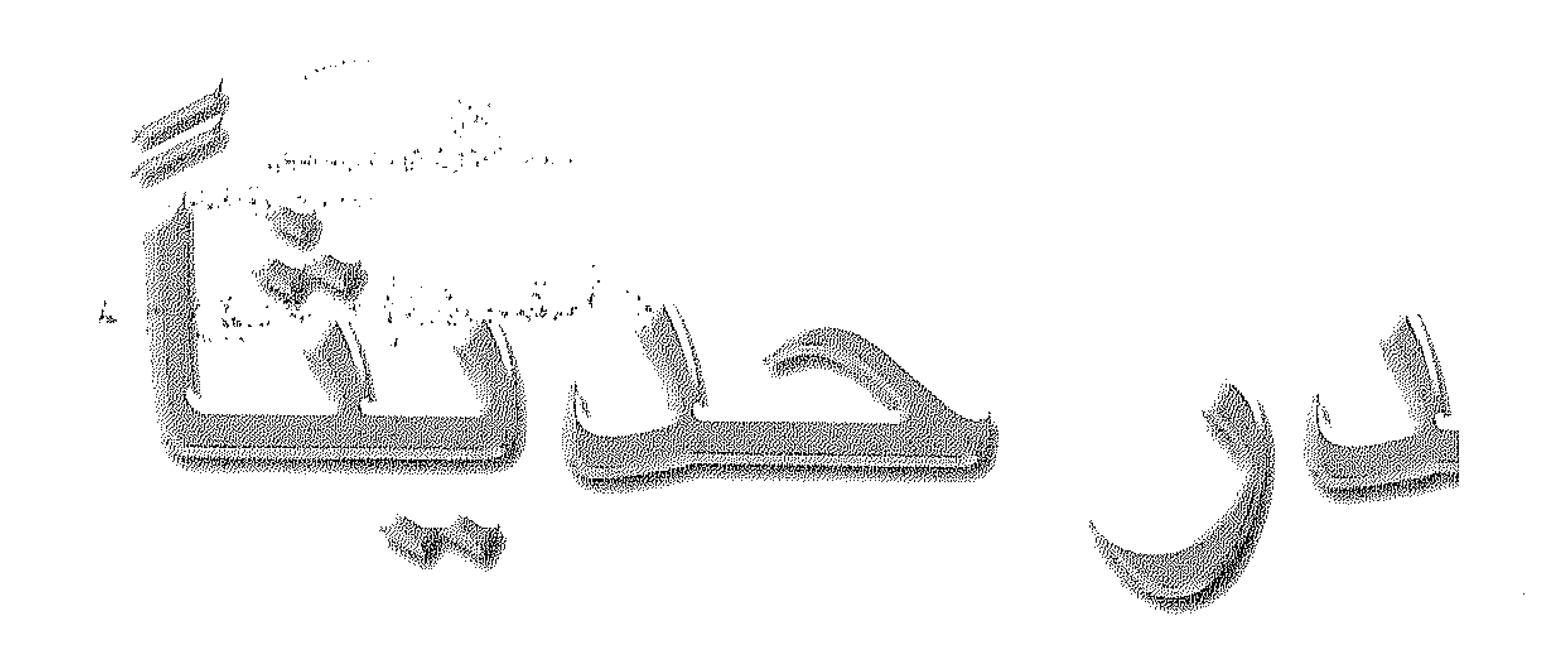
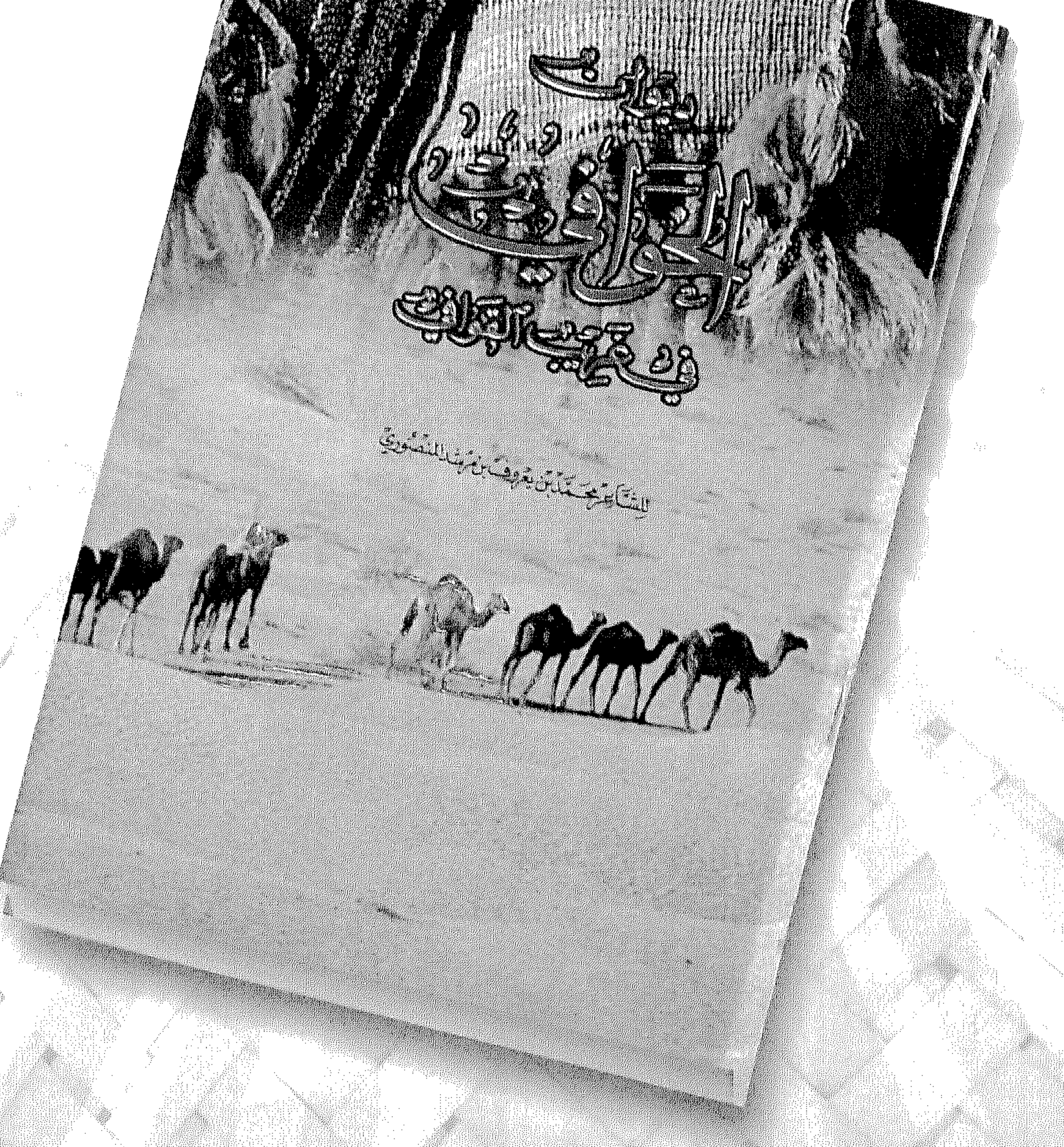


تراث
شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
السنة السابعة - العدد ٨٣
شعبان/ رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م
النوخذا خليفة الفقاعي:
غرقت عدة مرات
وشاهدت القرش
يلتهم رفاقي
ندوة الثقافة تحتفل
بنادي تراث الإمارات
قصة البحث
عن النفط في الإمارات
قفزة نوعية
للصحافة الإماراتية
إحياء التراث بين
المنهجية والعبقرية
انتشار المدارس
الأجنبية.. خطر
الأطعمة الشعبية
الرمضانية في الإمارات
الألعاب الشعبية
في رمضان والعيد
هدية العدد
(إمساكية رمضان)



عن لجنة الشعر
بنادي تراث الإمارات



نادي تراث الإمارات
هاتف: ٤٤٥٦٤٥٦، فاكس: ٤٤٥١٤٤٤، ص.ب: ٤١٤٦٤
أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة



مجلة شهرية ثقافية منوعة تصدر عن
نادي تراث الإمارات - العدد (٨٣) - السنة السابعة
شعبان / رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م

رئيس التحرير
عادل محمد الراشد
adel_m_alrashed@hotmail.com

سكرتير التحرير
حمدي نصر
hamdi_nasr@yahoo.com

هيئة التحرير
حنفي محمود جايل
محمود اسماعيل بدر
محمد رجب السامرائي

الإخراج والتنفيذ
مأمون السعيد
هالة شعبان

المراسلات:
نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦
فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)
بريد الكتروني
email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة
الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات
البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة
مصر: ٤ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً
الأردن: دينار ونصف
الدول العربية دولار أمريكي واحد
أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوب تراث:
■ القاهرة: عبد العال الباقوري
محمول: ٠١٠١٦١٠٢٠٩

الاشتراك السنوي (درهم)

	محلياً	خليجياً	عربياً
أفراد	٨٥	٢٠٧	٢٧٩
مؤسسات	١٥٠	٢٦٧	٣٣٩

التجهيز الطباعي
قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات

أهلاً بكم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

■ أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.

■ أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

■ زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.

■ التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.

■ المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.

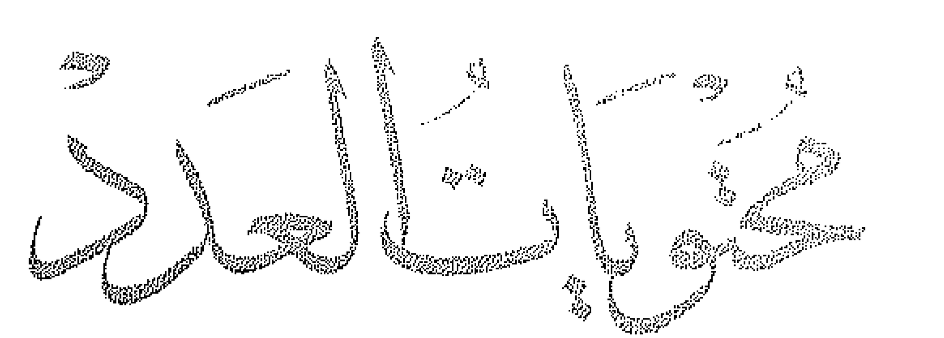
■ المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.

■ قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.

■ المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.

■ عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.

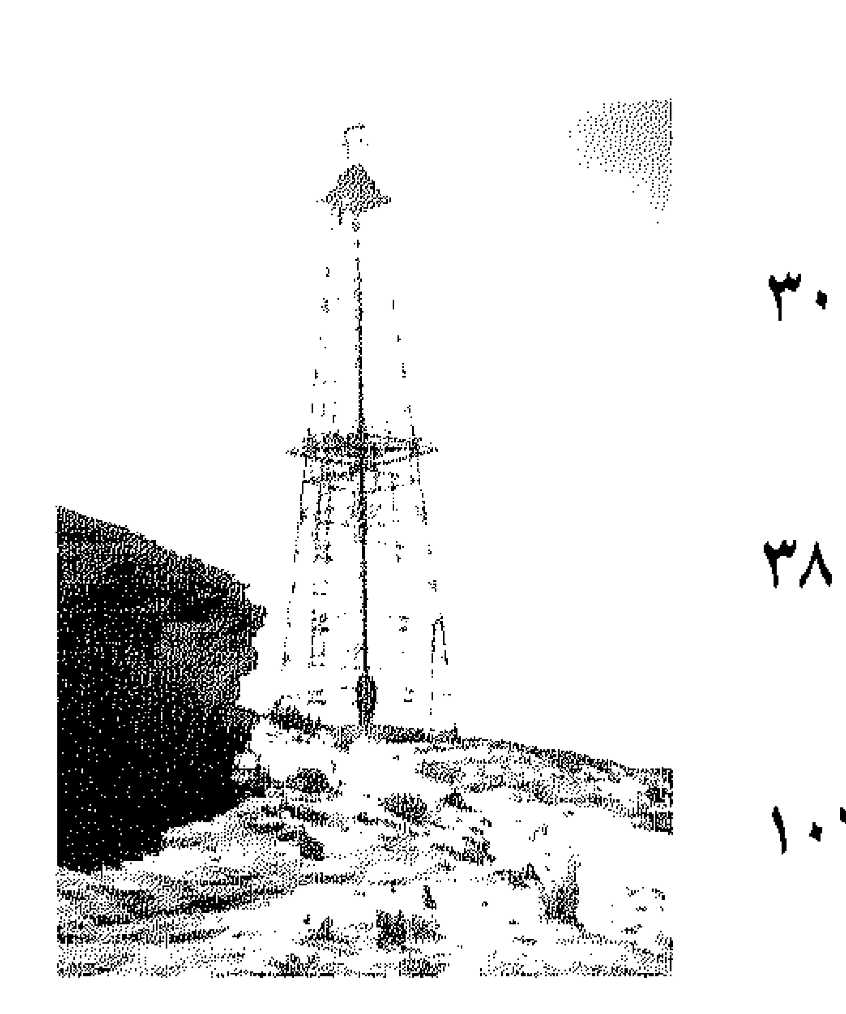
■ ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.





■■ موضوع الغلاف:

بحوث ودراسات

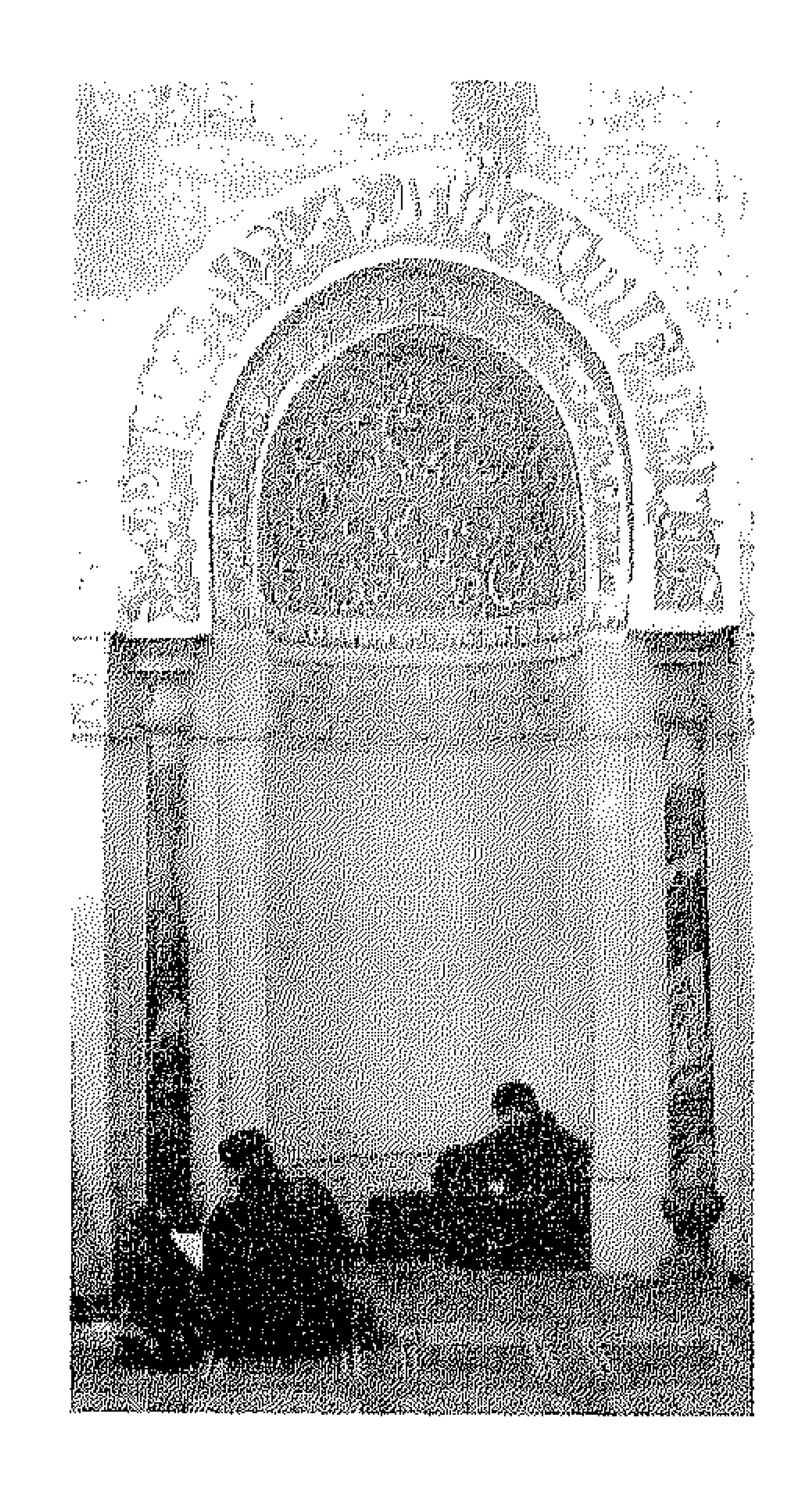


لغة وآداب

لقاء



ملف رمضان



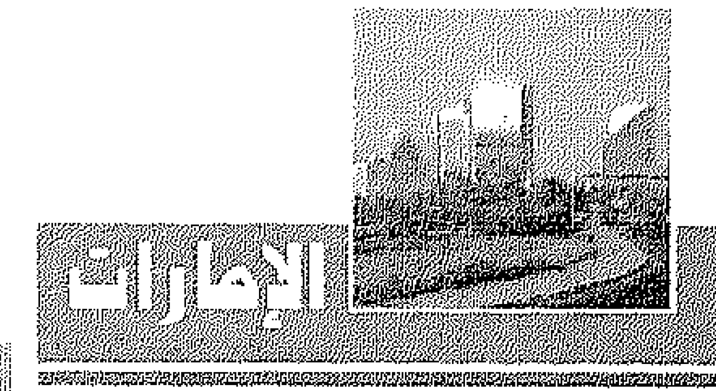
■■ فيض المشاعر:

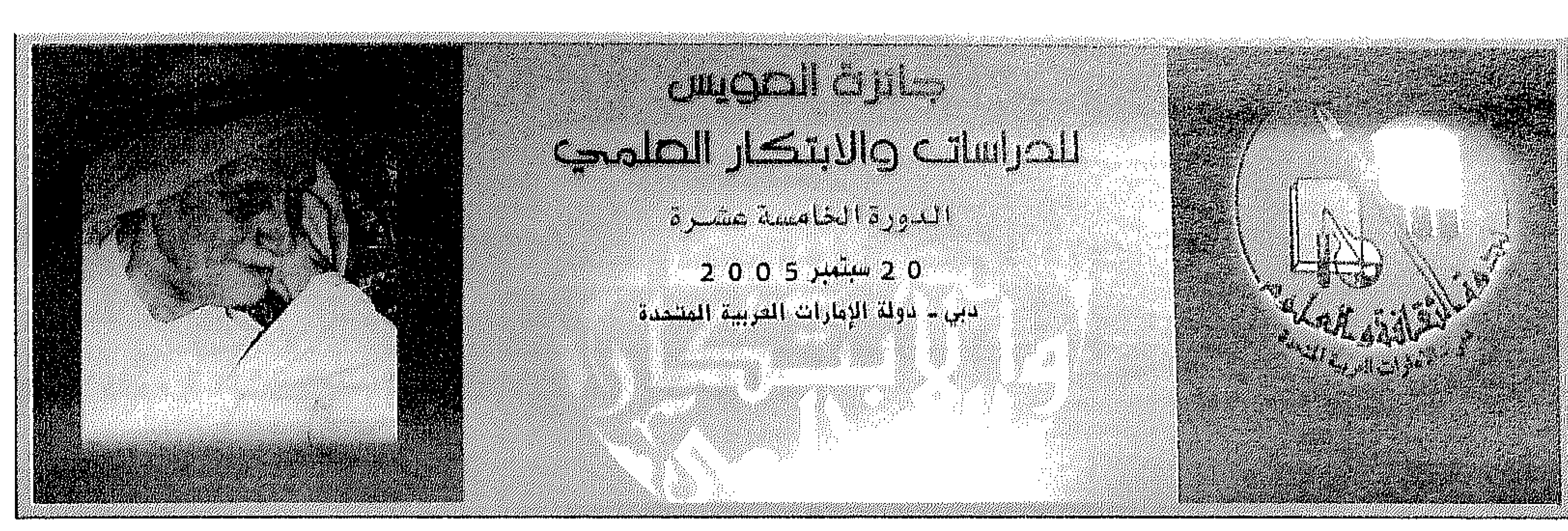
إشراف محمد الحديدي

تراث شعبي

قراءة في كتاب

زوايا ثابتة





في احتفالية ندوة الثقافة والعلوم

تتويج نادي تراث الإمارات شخصية العام الثقافية لجائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي ٢٠٠٥م

■ محمود إسماعيل بدر:

لم يكن تكريم وتتويج " نادي تراث الإمارات " لجائزة شخصية العام الثقافية في الدورة الخامسة عشرة من جائزة " العويس للدراسات والابتكار العلمي ٢٠٠٥ " لندوة الثقافة والعلوم بدبي.. مجرد تكريم من ذلك الذي نعهده في مثل هذه المناسبات.. بل كان احتفالية متكاملة.. وكرنفال لتقدير الدور الكبير الذي يلعبه النادي في إرساء قواعد جديدة في تطوير الفكر والخطاب التراثي والثقافة الإنسانية.. تقدير بحجم العمل الرائد الذي تقوم به هذه المؤسسة في مجال صيانة وحماية التراث الوطني من الضياع ومن ثم بناء جيل جديد واعٍ مُنتمٍ لتراث الآباء والأجداد وفق معادلة الاصالة والمعاصرة.. وما كان هذا النجاح ليتحقق في جانب الرسالة والأهداف إلا من خلال الدعم والتوجيهات السديدة والرعاية التي يحظى بها النادي من قبل سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس نادي تراث الإمارات.. وذلك بحسب تأكيدات سعادة محمد سعيد الرميثي رئيس مجلس الإدارة مدير النادي الذي حضر احتفالية التتويج ضمن وفد من النادي ضم كلا من : سعادة سالم راشد الرميثي مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية ، وعادل محمد الراشد مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام، رئيس تحرير مجلة تراث، وعبد المنعم درويش مدير إدارة البحوث البيئية، ورعد كامل العامري مدير وحدة التنمية الإدارية ، ومحمد حسن المرزوقي رئيس قسم العلاقات العامة في النادي ..



سعادة محمد سعيد الرميثي يتسلم جائزة شخصية العام الثقافية للنادي

وكان سعادة محمد سعيد الرميثي قد ألقى كلمة النادي في حفل التتويج الذي أقيم في القاعة الرئيسة بنادي ضباط الشرطة بإمارة دبي أشار من خلالها إلى أهمية التقاليد الوطنية والتشجيع على الالتزام بها وقال: (في هذا البلد الذي تحفل تقاليده الوطنية بقيم الالتزام الفردي والعمل العام وتنمية المجتمع بروح الاصالة ومتطلبات المعاصرة أُنشئ نادي تراث الإمارات ليعكس الروح الإماراتية بما تمثله من توحد مع رمل الصحراء وماء البحر ومن قدرة على التطوير ومواكبة العصر ومن تقاليد الرعاية المستمرة الحانية).

وأضاف سعادته : (ومع إيماننا العميق بعِظَم هذه الرسالة، وكبر حجم المهام في تأديتها، لاسيما ونحن ندرك بواقعية وموضوعية ما تعيش فيه مجتمعاتنا اليوم من عولمة طاغية، وما يتعرض له الشباب من ضغوطات وتيارات ثقافية داهمة، كان ولابد من التعامل بدقة وشمولية مع تراثنا المعنوي والمادي، وبأمانة وموضوعية مع أبناء هذا الوطن بواقعهم واحتياجاتهم ومتطلباتهم وتطلعاتهم.

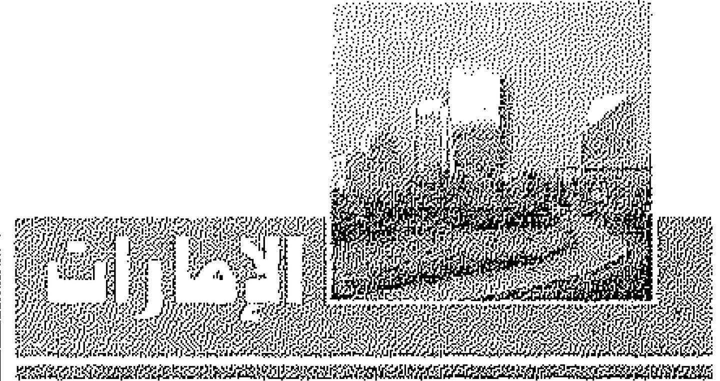
أي انه كان علينا أن نوائم ما بين الأصالة في تراثنا والمعاصرة في متطلبات العصر، وهذا ليس بالأمر الهين بعد أن ظلت ثقافتنا العربية تعاني من إشكاليته منذ أكثر من قرن.

ولقد آثرنا أن نكون علميين وموضوعيين قدر المستطاع منذ بداية المسيرة، فارتكزنا إلى عدة



د. سعيد عبد الله حارب

حارب :
نثمن جهود النادي
في صيانة التراث الوطني
ورعاية الشباب





في جناح معرض كتب النادي

الرميثي: نجحنا في تطوير خطابنا الثقافي بتوجيهات ورعاية سمو رئيس النادي

ركائز، وأولينا الأهمية لجملة مُسلمات، لنجتهد في تحديد مجالات عملنا التي تخدم الأهداف).

وأشار الرميثي في كلمته إلى جملة من الركائز أهمها: (أن التراث ليس مجرد إرث نظري، والتعامل السليم معه يجعل منه حاجة عصرية ملازمة للإنسان. وأن التعامل مع التراث ينبغي أن يكون بمعناه الشمولي الذي يشكل هوية المجتمع وشخصيته الحضارية.

ونظراً لما يشكله من ذاكرة جماعية وخيط تواصل روحي وفكري بين مختلف الأجيال، فلابد من التواصل به مع مختلف فئات المجتمع وشرائحه.)

وفي جانب المسُلمات أوضح الرميثي أن هناك ثوابت في مسيرة النادي لتحقيق أهدافه ومن أهمها التركيز على الجانب الإنساني وعطاءات الجديد الماضي الذي قدم لمجمتع الإمارات الكثير وقال: (آمنا أولاً بأنّ تراثنا الزاخر بمكنوناته المادية، هو أيضاً مبني في جانبه الأخلاقي والسلوكي على جملة من الأخلاق الطيبة، والصفات المحمودة، والقيم والمثل العليا التي لازالت كل الحضارات والثقافات تشهد لها، لأنها جميعها من سمات هويتنا العربية ومن صلب أخلاقيات ديننا الحنيف. وآمنا كذلك بأن التراث بقدر ما يشكل بوابة التواصل مع الماضي، فإنّه أيضاً يمثل جسر العبور إلى المستقبل، وهو الأساس المتين الذي يبنى عليه كيان حضارتنا ونهضتنا، ومنه ننطلق نحو الغد المشرق بإذن الله).

كما أشار سعادته في كلمته إلى إنجازات النادي في المجالات الفكرية والثقافية والتراثية والرياضية والفنية والأنشطة الشبابية والتربوية والاجتماعية مركزا في كلمته على دور مجلة «تراث» في إرساء قواعد لخطاب تراثي معاصر من خلال تبسيط المعلومات التراثية كي تتناسب مع كافة شرائح القُرّاء وقال في ذلك: (ثقافياً بدأنا بمجلة ريادية عربية، هي مجلة «تراث» الشهرية، التي مازالت تحلم بشقيقات عربيات، مجتهدة في تقديم خطاب معاصر حتى وصلت إلى العدد رقم (٨٢) وبالإضافة إلى لجنة الشعر الشعبي المعنية بجمع الشعر الشعبي الإماراتي، قديمه وحديثه، وتدوينه وتنقيحه ونشره، فإن ما أنجزه مركز زايد للتراث والتاريخ يعد ركيزة

النادي بالاعتناء بالتنمية الثقافية الشاملة، عبر المشاريع البحثية والندوات والمحاضرات والدورات التي تخص المنطقة وتاريخها، وكذلك الاصدارات التي قارب المركز فيها الـ(١٥٠ عنواناً) لدراسات جادة وكتب تراثية محققة.)

واختتم سعادته كلمته بقوله: (هذه هي حكاية مؤسسة وطنية انبثقت من توجيهات قيادة هذا البلد وسارت بمتابعة ورعاية حثيثتين من رئيسها سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس نادي تراث الإمارات مؤسسة وأنتم تحتفلون بتكريمها اليوم تؤمن بان نهضة هذا الوطن وشموخه، ورفعة ثقافته، هي مسؤولية جماعي، تتضافر فيها جهود المؤسسات الثقافية والتربوية والاجتماعية والعلمية والتراثية. وتتحمل معها المؤسسات الإعلامية الجزء الأكبر لأنّ التوازن المنشود في شخصية شبابنا يستدعي قبل كل شيء اعادة التوازن لأدوار وسائل الإعلام).

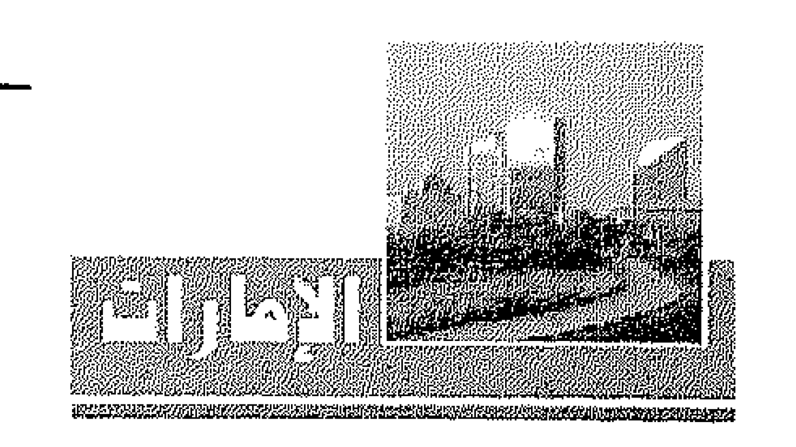
في جانب آخر ألقى الدكتور سعيد عبد الله حارب رئيس لجنة المسابقات والجوائز بندوة الثقافة والعلوم بدبي كلمةً ثمن فيها دور النادي في حمله رسالة التراث الوطني وصيانته وحمايته وفق أهداف سامية ونبيلة تنشد الإنسان وربطة بتراثه الأصيل العريق ووفق معطيات معاصرة وقال: (إنّ ندوة الثقافة والعلوم وهي تحتفل بجائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي لتؤكد على الهدف الذي تعمل من أجله وهو دعم الحياة الثقافية في دولتنا ورعاية الموهوبين من الباحثين والباحثات، متعاونة مع المؤسسات الرسمية والأهلية، وإنها لدعوة لجميع الباحثين والدارسين والمبدعين علمياً وفنياً للاشتراك في دورات الجائزة المتعاقبة. وحث للجهات الثقافية للعمل الجاد والهادف لنيل جائزة شخصية العام الثقافية إحدى جوائز «جائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي» والتي فاز بها في هذه الدورة (نادي تراث الإمارات) على ما قدمه النادي من جهد للمحافظة على التراث، وتوثيقه وتوظيفه وابرازه، وحث الأجيال الجديدة على التعاطي معه مورثاً ثقافياً لابد من المحافظة عليه، والاستفادة منه، فلهم منا كل التقدير وكل التهاني بالفوز بالجائزة).

وكان سعادة المستشار إبراهيم بوملحة رئيس مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم ممثل راعي الاحتفال سعادة حميد بن علي العويس قد افتتح جناح



جانب من معرض كتب النادي

الكتب والإصدارات الذي اشرف عليه راشد محمد الرميثي رئيس قسم المعارض والمقتنيات في النادي، وأقيم على مدخل قاعة الاحتفال وضم عدداً كبيراً من إصدارات مركز زايد في مجالات التاريخ والآثار والتراث ومن الإصدارات التي جذبت إليها ضيوف الاحتفالية كتاب: (زايد رحلة في صور) و (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) و (نخيل التمر كعلم وثقافة وتراث) إلى جانب أهم منجزات إدارة البحوث البيئية (الأطلس البحري لإمارة أبو ظبي) حيث قدم عبد المنعم درويش شرحاً وافياً عن فصول ومحتويات الأطلس ، وأيضا شرحاً وافياً حول تجربة إدارة البحوث البيئية في إنجاز هذا الأطلس الذي استغرق (٣) سنوات ضمن ورش عمل وبحوث ودراسات متواصلة وقال: (إنّ أهم منجز خرجنا به من العمل في الأطلس البحري هو تأهيل (٥٢) مواطناً جامعياً في مجال العمل البيئي ومجال الدراسات والبحوث البيئية حيث أسهموا بفاعلية في إنجاز هذا العمل الكبير الذي يعتبر وثيقة نادرة وهامة على مستوى المنطقة في مجال دراسة البيئات الساحلية لامارة أبو ظبي). كما قدم درويش معلومات عن المشاريع البيئية للنادي وأعرب عن شكره للدعم الكبير الذي يقدمه سمو رئيس النادي لمجالات البحوث البيئية؟. وقد اثنى '' بو ملحة '' على جهود النادي في مجال الاصدارات واستعرض بعض أعداد مجلة «تراث» حيث أثنى على مستواها الفكري وعلى موضوعاتها وحسن إخراجها. ■



بدعم من نادي تراث الإمارات وإحياء لرحلات الغوص

(٦٠) غواصاً ينظفون شواطئ السمالية

استضاف نادي تراث الإمارات ممثلاً بإدارة البحوث البيئية نحو (٦٠) غواصاً وغواصة من العرب والأجانب لتنظيف موانئ جزيرة السمالية ضمن حملة النظافة العربية التي نظمتها جمعية الإمارات للغوص بالتعاون مع المكتب الإقليمي لغرب آسيا التابع لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ووزارة الزراعة والثروة السمكية في الدولة. تحت شعار «يمكن أن تحدث فرقاً». وقد شهدت أجواء الجزيرة ولمدة يوم كامل إحياء لرحلات الغوص التقليدية ولكن بتكنولوجيا حديثة من حيث الأدوات المستخدمة في عملية الغوص تحت أعماق الماء.

وقد أعدت إدارة البحوث البيئية برنامجاً مكثفاً للمشاركين في حملة تنظيف موانئ جزيرة السمالية، تضمن عرض فيلم وثائقي عن الجزيرة ومرافقها والمشاريع البيئية التي تقام فيها والخطط المستقبلية لتطوير والنهوض بالمشاريع البيئية، إلى جانب جولة تعرف فيها المشاركون على البيئة البحرية للجزيرة، ومن ثم قاموا بتنظيف ميناء الدوبة وميناء الفروسية القديم والجديد وموقع إنزال الجابر بالإضافة إلى تقديم كافة الخدمات اللوجستية وتأمين إجراءات السلامة العامة للغواصين.

والحملة التي كان من أهم أهدافها المحافظة على البيئة البحرية وزيادة وعي الجمهور بخطورة إلقاء المخلفات في المياه وما يسببه ذلك من أضرار فادحة للحياة البحرية والتوازن البيئي – ساهم فيها عدد كبير من الغواصين والغواصات العرب المنتسبين إلى عدة أندية للغوص.. وكان من المهم في هذه الحملة أن يشار في التقرير النهائي بعد استخراج كميات قليلة من النفايات البحرية أن مياه وموانئ جزيرة السمالية هي بيئة مثالية جداً، وأن المخلفات التي تم التقاطها سيتم إعادة تدويرها والاستفادة منها في أغراض شتى. وأشادوا بجهود القائمين على شؤون الجزيرة في المحافظة على شواطئها وبيئتها البحرية.■

الاحتفال بيوم الراوي في الشارقة

احتفلت إمارة الشارقة والإمارات كلها يوم ٢٦ سبتمبر الماضي ب ''يوم الراوي'' في دورته الخامسة، وقد أقرت دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة هذه المناسبة يوما وطنيا بعد رحيل أحد كبار الرواة في التراث الشعبي الإماراتي، وهو المرحوم راشد الشوق.

ومنذ انطلاق الدورة الأولى وحتى الدورة الرابعة ليوم الراوي كرمت إدارة التراث في الشارقة مجموعة من الرواة الرئيسيين وهم: راشد الشوق، وجمعة فيروز، وجمعة بن حميد آل علي، إلى جانب كوكبة من الرواة الفرعيين وهم: خليفة بن قصمول، وجمعة بن حميد، وعائشة عبد الله، وعيدة فرحان، وسلطان بن زويد، وسالم بن معدن، وعثمان باروت، وسهيل مبارك. كما كرمت إدارة التراث إخباريين اثنين ممن لهما مكانة بيّنة في جمع التراث الشعبي المادي والشفوي في الدولة وهما: ناصر الكاس وعبيد بن صندل. كذلك كرمت الإدارة أيضاً في الدورة الثالثة أربعة باحثين في التراث الشعبي، أثروا المكتبة المحلية بعدد من الدراسات والمؤلفات وهم: الدكتور عبد الله الطابور، ونجيب عبد الله الشامسي، وعبد الله عبد الرحمن، وعلي المطروشي.

ويأتي انعقاد الدورة الخامسة في شهر سبتمبر الماضي مصحوبة باهتمام اجتماعي ورسمي بالتراث الشعبي، ويتجلى ذلك في حصول نادي تراث الإمارات في أبو ظبي على جائزة «شخصية العام الثقافية»، وصدور صور مجموعة من الشعراء البارزين في طوابع بريدية تكريمية، والتحضير لمهرجان كبير ينظمه اتحاد كتاب وأدباء الإمارات حول إبداع الشاعر الكبير راشد الخضر قبل نهاية السنة الجارية، والاحتفاء الذي شهدته رياضة الصيد بالصقور في أبوظبي خلال شهر سبتمبر باعتبارها جزءاً بارزاً في التراث الشعبي الإماراتي.■

أول القرطاس

«من ليس له ماضٍ.. ليس له حاضر»، مقولة حية قالها المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وقد صدرت هذه الكلمة عن رؤية واضحة للمستقبل المبني على ثقافة تاريخية متأصلة لما يعنيه الماضي من قاعدة يقوم عليها البنيان القادم للوطن والأمة.. ولحياة الأجيال التي ستشكل هذا الوطن وهذه الأمة.

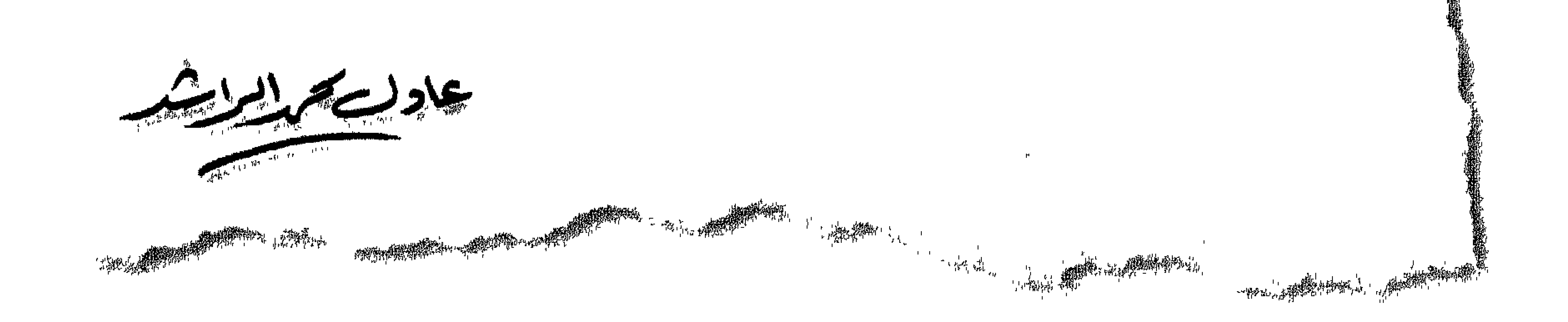
ولكن هذه المقولة –الرؤية– تقلصت في نظر البعض وكادت أن تحضر في قليل من عادات وتقاليد و«خصوصية» طغت على كل ما هو عام. فهمّش التاريخ، وأضعف دوره في فهم شخصية الإنسان والمجتمع، ومن ثم الوطن والأمة. ويبدو الحاضر متجهاً إلى مستقبل متقطع الأواصر بالماضي في شموليته وعمقه الذي شكل الواقع الذي وصلنا إليه. وأصبح تاريخ الوطن يطرح وكأنه مفصول عن تاريخ الأمة.. أو في أحسن تقدير متباعد عنها إلا في صلة نسب في الجد ما بعد المائة!!

والأخطر من كل ذلك أن قطاعات واسعة من طلابنا الدارسين في المدارس الخاصة أصبحوا يدرسون تاريخ الدول التي جاءت منها المناهج التي فرضتها عليهم هذه المدارس. فيعرفون عن تاريخ أوروبا وأمريكا، أكثر مما يعرفونه عن تاريخ الإمارات والأمة العربية، ويعرفون رموز تلك الأمم ورجالاتها، ويطلعون على سير الحوادث وفصول الأزمنه فيها بينما لا يكادون يعرفون من رموز بلادهم وأمتهم إلا بعض الأسماء دون السّير.

وإذا كان الجيل الحاضر، القريب من مرحلة الاستقلال، يجهل إلى هذا الحد تاريخه، ويبعد عن أصول تكوينه، فإن الحال في الأجيال القادمة ينذر بتغيير كامل في الشخصية، ونمط التفكير، والاعتزاز بالذات وخصوصية الثقافة، وعراقة الأصل. وهذا لعمري هو النفي الكامل للهوية. وما بعد فقدان الهوية عند افتقاد الشخصية وذاتها، ليكون بعد ذلك الرمي خارج حدود الحاضر والمستقبل إلى ذيول التبعية والانقراض الثقافي. وفي الحياة البشرية أمامنا أمثلة كثيرة لشعوب لم يبق من ثقافتها وهويتها غير «نماذج» شعبية تقدم في المناسبات، وتعرض لأفواج السياحة وجموع الزائرين.

فلا يمكن أن نكون من هذه النماذج، ولا يمكن أن يقطع أبناؤنا صلتهم بآبائنا، لأنّ ذلك يعني الخروج الاختياري من دائرة الحياة.■

عادل محمد الراشد



النوخذا خليفة الفقاعي:

غرقت عدّة مرات ف


وشاهدت القرش يل

أنقذت بحارة من الموت مرتين.. فكافأني شيخ المهرة ببندقية والرئيس الصومالي برشاش

■ حمدي نصر

رغم أن تلك الذكريات مرّ عليها سنون طويلة.. إلا أنه كان يحدثني عنها وخلجات وجهه تعبّر عمّا في قلبه من حزن.. قال: تصور ما هي مشاعر إنسان يصارع الغرق ساعات طويلة في بحر متلاطم لا يعرف أين يتجه ولا كيف يتصرف..

وحوله أسماك القرش الضخمة تدور فاتحة فمها تبحث عن نصيب في الفريسة.. والفريسة بالطبع هي جثة زميل كان معنا منذ لحظات يحدثنا ونحدثه.. أسماك القرش تنهشه ونحن نطالع ننتظر المصير نفسه.. ولا نستطيع أن نفعل له شيئاً.. ولا ندري ماذا نفعل لأنفسنا حتى نهرب من هذا المصير؟!.



خليفة محمد المقاعي

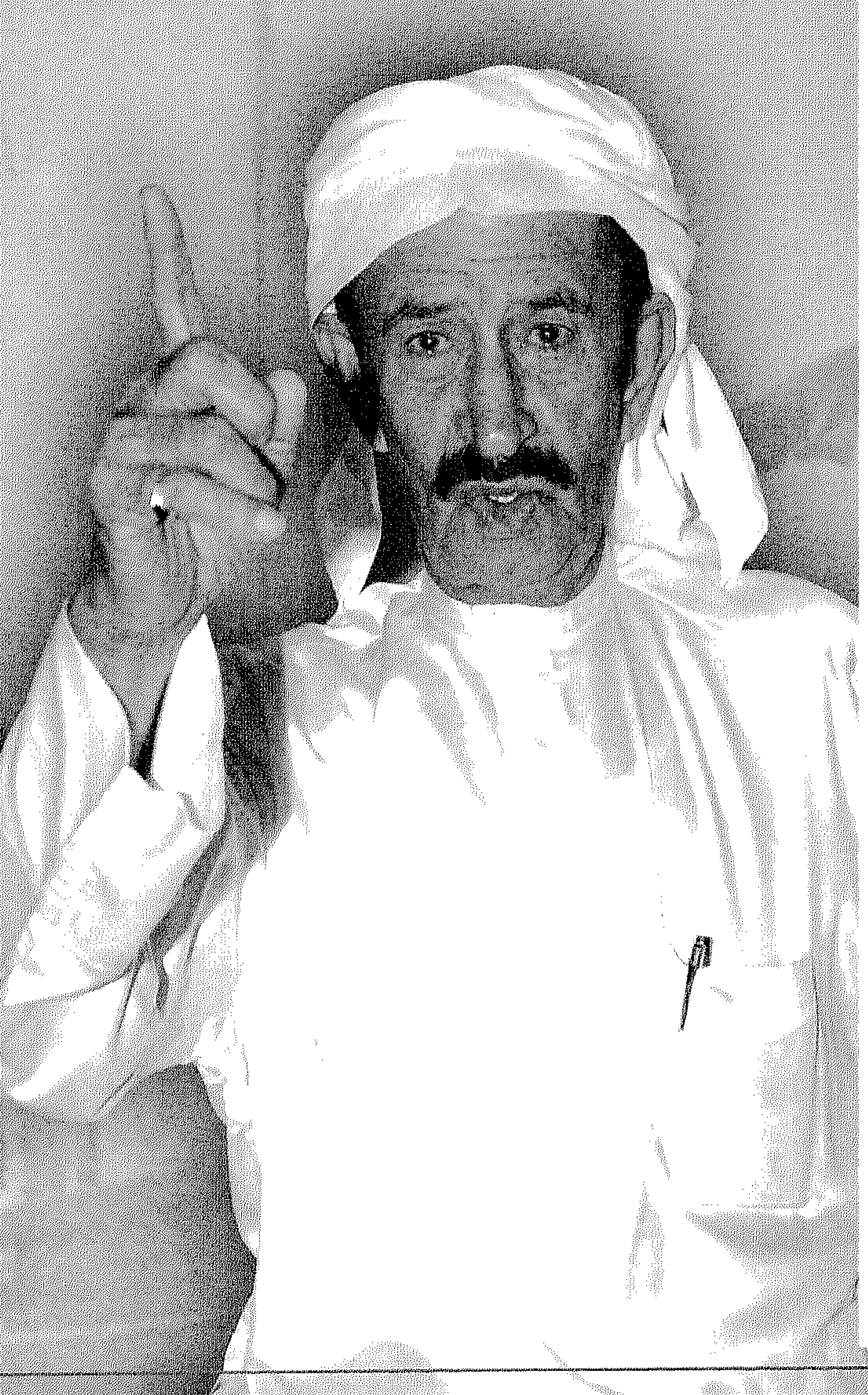
«عشنا أياماً لا نجد ما نأكله.. ولم يكن أمامنا إلا الصبر واليوم نحن في نعمة كبيرة والحمد لله»

ويصمت (بو علي) قليلاً.. لا أعتقد أنه كان يستعيد تلك الذكريات فهي بالتأكيد محفورة في ذهنه حتى لو أراد أن ينساها فلن يستطيع.. لكنه كان بالتأكيد يستجمع أفكاره ليواصل الحديث عن مسيرة حياته في البحر.. والتي ذهبنا إلى بيته العامر في دبي لنتعرف عليها.. لأن فيها الخبرة والعبرة.. ولأن فيها صفحات بيضاء تصور معاناة ذلك الجيل الذي رفع بجهده البناء وروى بعرقه الشجر.. فتعبوا هم.. واستمتعنا نحن بالرخاء.. ونعمنا بالظل والنماء.

خليفة محمد الفقاعي من رجال البحر في أيام الزمن الصعب والذين تقدّر خبرتهم بالذهب.. وتوصف عقولهم بالحكمة.. وجهدهم في بناء أنفسهم بالغالي في زمن كان فيه كل شيء بلا قيمة.. لسببين: أنه لم يكن هناك شيء!!.. ولأن الإنسان نفسه لم تكن له قيمة في ذلك الوقت.

(بو علي).. خليفة محمد الفقاعي قال: إنه لا يبالغ عندما يصف الحياة زمان بأنها ليس فيها «لا زين ولا شين».. فلم يكن هناك شيء بالمرة.. حياة العدم.. وكان محتم عليهم في ظل ذلك العدم أن يعيشوا.. وأن يكدوا ليضمنوا استمرار حياتهم.

أبناء جيل هذه الأيام إذا سألتهم: ماذا تناولتم في إفطاركم هذا الصباح فإن معظمهم ينسون.. إلا أن (بو علي) ما شاء الله عليه يتذكر الأحداث القديمة وكأنها حدثت بالأمس رغم أنه من مواليد دبي في عام ١٩٢١م.. حكى لنا عن هجرته مع أسرته إلى رأس الخيمة وهو طفل رضيع.. وكيف اقترب من البحر.. ثم اكتسابه للخبرة ليهجر البحر ويعمل في التجارة.. ثم يشده الحنين إلى البحر ورائحة الماء المالح.. ثم رحلاته البحرية التي عانى فيها الأمرين.. وتنقلاته ما بين البصرة وموانئ الدولة كلها، ثم موانئ مسقط وبمباي ولانجور وزنجبار وممباسا ومقديشيو.. وتعرضه للغرق عدة مرات رغم الخبرة الكبيرة.. لكن البحر ليس أمامه كبير إلا الله سبحانه وتعالى.. وتحدث لنا عن إنقاذه لعدة أشخاص من الغرق أو الضياع في عرض البحر.. كما تحدث إلينا عن المدفع الرشاش الذي تلقاه هدية من الرئيس الصومالي الأسبق سياد بري رحمه الله، والبندقية (أم عشر) هدية شيخ المهرة.



سوالف (بو علي) كانت تتميز بالإثارة والتشويق، وتميزه بروح دعابة كبيرة أضفت على الحكايات تشويقا أكثر.. وهنا ما قاله خليفة محمد الفقاعي.

الجوع يعصر الجميع

ولدت في دبي منذ ٨٤ عاماً، لكن أهلي سافروا إلى رأس الخمية وأنا طفل رضيع.. قالوا لي عندما كبرت: إن الوضع كان في المنطقة في غاية السوء، كان الجوع يعصر الجميع ولم يكن أمام أهلي إلا الهجرة إلى رأس الخيمة لأن الوضع هناك كان أفضل إلى حد ما، حيث الزراعة وقليل من التجارة.. قرار الهجرة جاء في وقت صعب وصعوبة الحياة هي التي فرضت التوقيت، فلم يكن هناك مفر، ولم يكن أمامهم إلا السفر براً حيث العواصف كانت تقف حائلاً دون السفر بالبحر، وكان والدي ووالدتي وجدتي يسيرون على أقدامهم، ومعهم – تكرم – عنز يحلبونها ويرضعوني من لبنها.. تصور كم من الأيام مضت على هذا الحال.. وكم كانت صعوبة مشقة السفر بحثاً عن لقمة العيش وحياة أفضل رغم صعوبتها هي الأخرى.

عشت في رأس الخيمة حياة صعبة، يوماً نجد شيئاً نأكله ويوماً آخر لا نجد أي شيء.. وما يحدث للناس كان يحدث لنا وعلينا بالصبر.. وعندما بلغت من العمر ثماني سنوات، كان عليَّ أن أكد من أجل الحياة أيضاً.. تصوّر.. طفل عمره ثماني سنوات وكان عليه أن يكد ليعيش، المهم، ولأني وليد (بحار متدرب).. لم أجد عملا إلا (وليد) مع النوخذا إبراهيم السامان وولده سالم، على سفينة كان اسمها (فتح الخير).. كان إبراهيم يسافر بها من رأس الخيمة إلى الشارقة ودبي وأبوظبي محملة بحطب الوقود، والأغنام، وكانت حمولتها تتراوح ما بين ٥٠ إلى ٦٠ طناً فقط، أي أنها صغيرة، وكان دوري هو المساعدة في الأعمال البسيطة وخدمة البحارة.. أن أحضر لهم الماء، أوالقهوة.. وبقيت على ذلك لمدة عام، ثم تركت السامان واشتغلت في الوظيفة نفسها مع المرحوم إبراهيم النوخذا من أهل رأس الخيمة على سفينة اسمها (تيسير) حمولتها حوالي ٥٠ طناً.. وكانت تسافر إلى نفس الأماكن السابقة تحمل حمولات مشابهة.

* ولماذا تركت السامان؟

– أبداً.. لا لشيء.. بل كنت أعتبر أن كلا من السامان وإبراهيم في مقام والدي، وبقيت مع إبراهيم أربع سنوات اكتسبت خلالها خبرة كبيرة ولم أكتسب مالاً.

* كيف؟

– كنت دائم الملاحظة في العمل.. وأسأل عن أي شيء لا أعرفه حتى أن إبراهيم النوخذا توقع لي أن أكون نوخذا عندما أكبر، أما المال.. فكان الإيراد يقسم إلى نصفين، نصف لصاحب السفينة، والنصف الآخر يقسم على البحارة كل منهم له سهم، أما أنا فقد كان معي وليد آخر هو علي محمد بن قعشر.. وكان نصيب كل منا في التريب الواحد (الرحلة الواحدة) نصف سهم.. أي من أثنين إلى ثلاث ربيات.

** وماذا كانت تفعل الربيات الثلاث؟*

– كانت على الأقل أحسن من لا شيء، وكنا نشتري بها الأشياء الضرورية.

أول تجربة غرق

** وكم كانت تستغرق الرحلة من رأس الخيمة إلى ميناء الشارقة باعتباره أقرب ميناء؟*

– حسب اتجاه الهواء.. فإذا كان مع اتجاه المركب كانت الرحلة تستغرق يوماً بليلة، أما إذا كانت الرياح من الأمام.. أي معاكسة.. فإن الرحلة كانت تستغرق من ستة إلى سبعة أيام.. فقد كنا نتحرك لعدة ساعات.. لكن الرياح تدفعنا إلى الخلف.. لنجد أنفسنا في المكان الذي بدأنا الحركة منه.. لأن السفر كان بالشراع حيث لم تكن هناك مكائن في ذلك الوقت.

** يعني سفر ستة أو سبعة أيام بمخاطرها من أجل ربيتين أو ثلاث.*

– وأي مخاطر؟.. البحر ليس له أمان والسفر به متعب ومرهق جسميا ونفسيا خاصة في تلك الظروف الصعبة.. وأضرب لك مثالاً على ذلك.. في سنة ١٩٣٤م كنا نحمل معنا الرطب والحطب وأغناماً كالمعتاد، وقبل أن نصل إلى شاطئ أبوظبي بقليل، ضربتنا ريح قوية قلبت المحمل بما حمل.. وبقينا من أول الليل حتى طلوع النهار نصارع الأمواج.. أي قرابة ٨ ساعات.. والحمد لله

أن وقتها كان خريفاً.. أي أن الماء لم يكن بارداً وإلا لمتنا جميعاً.. كان عددنا عشرة أنفار.. وكنت متعلقاً ببعض الحطب الذي طفا على الماء حتى جاءنا في النهار أحد قوارب الصيد من أهل أبوظبي وحملنا إلى الشاطئ.. والحمد لله نجونا جميعا من الموت.

* *وكيف عدتم لرأس الخيمة؟*

– إبراهيم النوخذا صاحب السفينة اشترى سفينة صغيرة من أحد الأشخاص في أبوظبي بستة آلاف ربيه.. وركبناها وعدنا بها.

* *وكيف كان شعورك وأنت طفل صغير.. تركب مركباً صغيراً.. وبعد تجربة مريرة في الغرق؟*

– كنت في غاية الخوف بالطبع.. لك أن تتخيل مشاعر طفل صغير يركب البحر بعد تلك التجربة.. وبلا ملابس بعد أن فقد ملابسه في البحر.. وبلا أكل ولا شرب.. لكن.. لا توجد وسيلة أخرى!.. كنت مضطراً.

العيوقي يعيقنا

ويروي خليفة الفقاعي (بوعلي) حادثة أخرى وقعت لهم في البحر، قال: عندما بلغت من العمر ١٥ عاماً، قررت الخروج مع خالي في رحلات بحرية طويلة، وكان خالي رحمة الله عليه يشجعني رغم رفض والدتي، وفعلاً خرجت معه، وكان صاحب السفينة هو الشيخ محمد بن سعيد بن غباش قاضي رأس الخيمة، والنوخذا هو عبد الله بن سالم، وكانت وجهتنا إلى كراتشي محمّلين بالتمر، ووصلناها بالسلامة دون مشاكل تذكر وكنت مستمتعاً بهذه الرحلة، وأفرغنا حمولتنا هناك وحملنا بدلاً عنها الأرز وتوجهنا به إلى ميناء عدن، وفي الطريق هبت علينا رياح يسمونها (العيوقي).. وهي رياح شديدة جداً مزقت الشراع وكسرت الدقل (الصاري)، فلم يكن أمام النوخذا من بد إلا أن يصدر أوامره برمي الأرز في عرض البحر لتخفيف الحمولة حتى لا يغرق بنا المركب، وفعلاً شمر الرجال عن سواعدهم وأخذوا يقذفون بأكياس الأرز في البحر ونحن نطالع، فأشفق علينا النوخذا وأمر بإدخالنا أنا وصبي آخر اسمه عبد الوهاب بن عبد العزيز إلى داخل المركب حتى لا نرى ذلك الرعب الذي كان مسيطراً على السفينة وقتها والأمواج تتلاعب بها، وبفضل الله تجاوزت السفينة هذا المأزق الحرج، ووصلنا عدن بعد طول معاناة.

الخوف هو الذي دفعني بعد هذه الحادثة إلى الهروب من البحر.

* *هربت؟!!*

– نعم.. ولماذا أبقى؟.. بحثت عن عمل آخر يكون أكثر أماناً رغم أنني كنت وقتها وخلال خمس سنوات قد اكتسبت خبرة أعتبرها جيدة.. لكن تجربة الغرق الأولى كانت قاسية.

* *تقول: تجربة الغرق الأولى؟!!*

– نعم.. فهناك تجارب أخرى أكثر قسوة.

* *وماذا تنتظر.. حدثنا عنها..*

– اصبر.. يأتيك الكلام الآن.. لكن.. لنكمل الحكاية بالترتيب.

* *تفضل.*

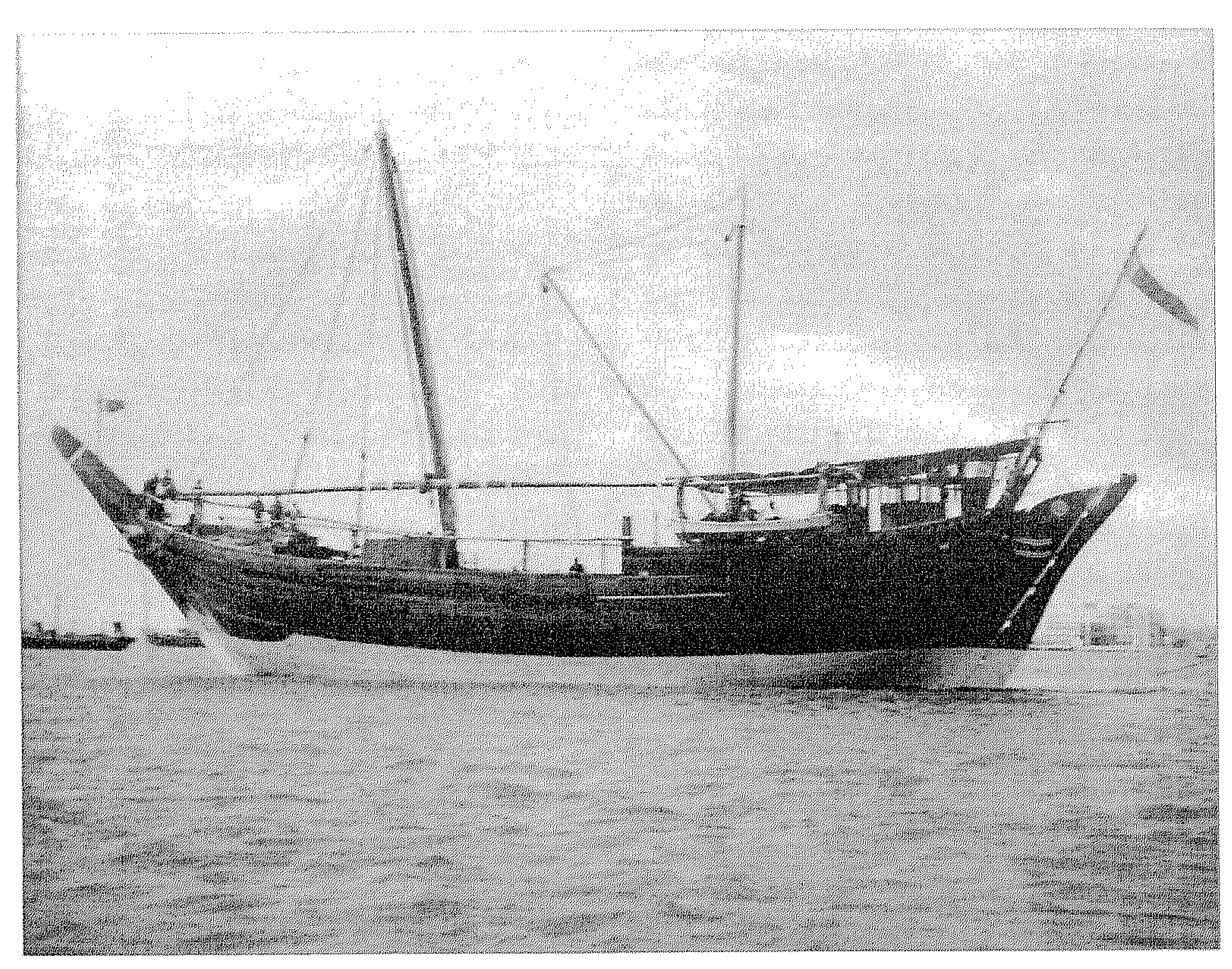
– بحثت عن عمل بعيداً عن البحر وأهواله.. فوجدته عند المغفور له بإذن الله الشيخ محمد بن سالم القاسمي والد صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة أطال الله عمره.. طلب مني أن أتولى جمع إيجارات الدكاكين التي يمتلكها.. ووجدت في هذا العمل راحتي وضالتي.. وبقيت فيه لمدة سبع سنوات.. أجمع الإيجارات وأسلمها للشيخ إلى أن طلبني يوماً وقال لي: أريد منك أن تسير الهند.. إلى بومباي.

استغرق سفرنا سبعة أيام ذهابا ومثلها إياباً.. واستغرقت الرحلة كلها شهراً قضيت باقي أيامه في شراء الأقمشة التي أمرني الشيخ محد بشرائها للتجارة بها في رأس الخيمة.. وبالفعل.. اشتريت حوالي ٣٠ طاقة للرجال، و٢٥ طاقة للنساء بلغت قيمتها الإجمالية خمسة آلاف ربية.. جلبنا البضاعة إلى رأس الخيمة.. وبعناها وكسبنا فيها حوالي ٢٥٪ من قيمتها.

السجن في عدن

* *كيف رأيت بومباي وأنت قادم من منطقة فقيرة أو كما قلت شبه معدمة.*

– كنت أتعجب من زحام الناس وكثرتهم.. وأتعجب من المباني والشوارع وأدوات المواصلات المختلفة التي كانت غريبة لنا.. لكني كنت مشغولاً أو لنقل كنت مستغرقاً تماماً فيما



فتح الخير عند دخول مباسا سنة ١٩٤٥م

قدمت من أجله.. وكنت أتصوّر أن أي خطوة في أي طريق آخر هي مشكلة ستواجهني.. فما صدقت أن أنتهي من المهمة حتى أسرعت بالعودة إلى رأس الخيمة.

ولم يستقر بي المقام طويلاً.. فنجاح المهمة الأولى شجع الشيخ محمد رحمة الله عليه أن يرسلني في مهمة أخرى كانت أكثر صعوبة.. أرسلني إلى عدن لشراء سلاح من هناك.

* *سلاح؟*

– نعم.. كان الإنجليز هناك.. وكانت هناك حركة بيع وشراء سلاح مستعمل لكنه جيد.

* *أنت رجل كنت (راعي) بحر، ثم (تاجر أقمشة).. فما هي خبرتك في السلاح حتى تذهب إلى عدن مندوباً لشراء أسلحة؟*

– أبداً.. لم تكن عندي أي خبرة.. كل ما كنت أعرفه أن فلاناً عنده مسدس.. وفلاناً عنده تفق (بندقية) أم عشر، ولم نكن نعرف الرشاشات.. وفعلاً سافرت إلى عدن.. وتورطت ورطة كبيرة لم

تعرضت للسجن في عدن وهرّبت العاج من بمبا

ينقذني منها إلا الله سبحانه وتعالى.

* كيف؟

– سافرت إلى عدن في عام ١٩٤١م وكان معي أحد الشخصيات المعروفة الآن ولا داعي لذكر اسمه، ركبنا باخرة من مسقط إلى هناك حيث نزلنا في ضيافة المرحوم علي العوذلي، وتعرفنا على سمسار صومالي أبدى استعداده لتحقيق هدفنا وبسرعة، وفعلاً.. أخذنا إلى منطقة الشيخ حيث السلاح الذي كان مستعملاً لكنه كان بحالة جيدة، اتفقنا على السعر الذي وصل إلى ٣٠ ألف ربية

لحوالي ٧٠ أو ٨٠ قطعة سلاح بين الكبير والصغير، ولحسن الحظ ما أن اشتريناه حتى عثرنا على باخرة متجهة إلى رأس الخيمة فسلمناها البضاعة وانطلقت إلى رأس الخيمة وبقينا أنا وزميلي في عدن لبضعة أيام.. ولكن ما هي إلا أيام بسيطة حتى جاءنا جنود إنجليز.. واقتادونا لمخفر الشرطة بتهمة الاتجار في السلاح وعقوبتها كبيرة لمن تثبت عليه.. أنكرنا صلتنا بالموضوع.. وبقينا في السجن ١٢ يوماً ما بين سين وجيم واستفسارات حتى وصلوا إلى العوذلي الذي قال لهم إنهما ضيفاي ولا علاقة لهما بتجارة السلاح المهرب.. فتركونا بعد طول معاناة.

** وماذا عن الدلال الذي أبلغ عنكما الشرطة؟*

- «الله لا رأيناه».. كان يريد أن يحصل على المكافأة التي رصدتها السلطات البريطانية لمن يبلغ عن صفقة تهريب سلاح والتي قيمتها ٢٥٪ من قيمة البضاعة، فكان يريد أن يستفيد من الطرفين.. لكن الحمد لله طلعنا براءة من تلك القضية.

** وماذا عن السلاح؟*

- وصل إلى رأس الخيمة، ونحن ركبنا سفينة شراعية من عدن ووصلنا إلى رأس الخيمة بعد ٤٠ يوماً من المعاناة، وعندما وصلت إلى الشيخ محمد بن سالم رحمة الله عليه قال لي: سر عند الشيخ راشد بن سعيد وهو موجود الآن في منطقة الخران برأس الخيمة، وكان يوم جمعة، فاعرض عليه شراء السلاح، وفعلاً.. أرسل معنا الشيخ راشد رحمة الله عليه ثلاثة من رجالات الشيوخ في دبي هم: جمعة بن صراي، محمد بن قطامي، ومحمد بوجسيم، وتفقدوا السلاح، واشتروه، وكسبنا في الربية ربية.

الشوق للبحر

** وبعدها يا (بو علي)؟*

- بعدها شدني الحنين إلى البحر مرة أخرى، ومن يعشق البحر لا يستطيع أن يبتعد عنه، وفعلاً، اشتريت سفينة صغيرة حمولة ٣٠ طناً من واحد يسمونه علي لاغر بمبلغ ٦٠٠٠ ربية، أسير بها من رأس الخيمة إلى بر فارس في إيران أحمل الشاي والسكر لبيعهما هناك، وأعود محملاً بالبر والشعير، واستمر الوضع على ذلك لمدة سنتين، كنت أشعر فيهما براحة وأن هناك مردوداً معقولاً مقابل التعب الشديد الذي كنا نتعبه، المهم - والكلام لبوعلي- كان هناك في تلك الفترة رجل معروف اسمه خليفة حمر عين ومعه أخوه راشد والد سيف حمر عين صاحب المركز المعروف في دبي، كانت عند خليفة وأخيه سفينة، وأرادا أن أسافر بها لأنهما لم يجدا من يسافر عليها، فتوليت قيادة تلك السفينة وتركت سفينتي لأخي محمد الأكبر مني سنا ليعمل عليها.. وكان خبيراً بالبحر أيضاً.

استمر الحال على هذا المنوال لمدة سنة.. بعدها كنت في زيارة لمنطقة (مغوة) في بر فارس.. والتقيت مع الشيخ سلطان المرزوقي، واشتريت من عنده سفينة حمولتها ١٠٠ طن (٤٠٠ مَنْ بصرة) وسميتها (فتح الخير).. دفعت للشيخ سلطان ثلاثة آلاف ربية ووافق على تسديد الباقي وقدره ثلاثة آلاف ربية خلال عام.. وفعلاً.. بدأت أسافر بهذه السفينة متنقلاً بين موانئ البصرة في العراق، وقطيف في السعودية، والبحرين وقطر ومسقط، نحمل التمر وحطب الوقود والركاب المسافرين إلى تلك الموانئ، ووفقني الله سبحانه وتعالى في أن أوفي الوعد وأسدد الدين في موعده.

بعد ثلاث سنوات مع (فتح الخير).. وكانت فتحاً للخير بحمد الله اسماً على مسمّى.. كنت متوقفاً في ميناء الكويت، وأعجبتني سفينة أخرى أكبر حجماً حمولتها ٢٠٠ طن (٨٠٠ مَنْ بصرة) يمتلكها المرحوم حسن بو عساف، فاوضته على شرائها فوافق، فدفعت له فتح الخير على أن قيمتها ستة آلاف ربية، ودفعت له ثلاثة آلاف ربية نقداً ليصبح ثمن المركب الجديد تسعة آلاف ربية، وحمولتها الكبيرة شجعتني على السفر إلى الهند ودول إفريقيا التي لم نكن نسافر إليها لضعف الإمكانيات ولصغر حجم السفن.

«هاكونا مرابو»

وذات سنة.. وتحديداً في بداية الخمسينات.. كنت متوقفا في ميناء مسقط ليس برغبتي، وإنما رغم أنفي، فلم يكن هناك ما نحمله، ولا ما نأكله، الحال متوقف تماماً والناس يعانون البطالة المميتة والجوع والعطش وسوء الأحوال.. ٤٠

يوماً ونحن على هذا الحال في مسقط دون فائدة.. وذات يوم همس في أذني أحد التجار قائلاً: عندي ١٠٠ طن من التمر وأريد أن أنقلها إلى رأس الرجاء الصالح مقابل سبعة آلاف ربية.. ماذا تقول؟

نظرت للرجل باستخفاف وضيق.. حمولة تمر ننقلها من مسقط إلى رأس الرجاء الصالح عبر المحيط الهادي.. لمسافة أكثر من ٧٠٠ ميل بحري، لا شك أنها مغامرة مجنونة ومقابل زهيد قياساً ببعد المسافة وخطورة الرحلة.

وفعلاً.. لم أوافق إلا مرغماً بسبب الجوع والكساد اللذين كانا يلفان المنطقة.. قال العمانيون وكانوا يطلقون عليَّ (صغير): الرجل أكيد جن جنونه.. فالوقت لا يسمح والإيجار ليس مغرياً حتى أغامر من أجله، قلت لهم: وما هو البديل؟ فسكتوا.

العمانيون قالوا: صغير لن يعود

حملت التمر على المركب والعمانيون ينظرون إليَّ ويقولون: صغير لن يعود.. فالسفر إلى المحيط الهادي محفوف بالمخاطر خاصة على السفن الشراعية مثل سفينتنا.. لكن الحاجة كانت وراء المغامرة.. وقفوا ينظرون إلينا وكأنهم يودعوننا.. ورفعنا الشراع.. وخرجت السفينة من الميناء ونحن ليس لنا إلا الله نتوكل عليه.. المسافة كانت تعادل عشرين يوماً في السفر تقريباً.. وكان لابد أن نضع في اعتبارنا كل شيء.. كنا ١٤ بحاراً.. وما أن خرجنا إلى المحيط حتى بدأت المتاعب الحقيقية.. فالسفينة رغم كبرها كانت كريشة في مهب الريح تتلاعب بها الأمواج وتقذفها يميناً ويساراً.. وأخطرها عندما تأتي الرياح من البحر في اتجاه الشاطئ فتضرب الموجة السفينة من الجانب.. فتتدفق المياه داخل السفينة.. وكما قلت لك.. كان من المفروض أن تستغرق الرحلة ٢٠ يوماً.. إلا أنها استغرقت ٧٣ يوماً من المعاناة الشديدة.. الأكل كان لا يتعدى في كل وجبه تمرتين وكوباً من الماء لا أكثر تخوفاً من المجهول.. ولأننا لا نستطيع أن نوقد النار لطهي أي طعام في ظل الرياح والأمواج العالية.. تصور.. لم نغسل أجسامنا طوال تلك الفترة إلا مرتين فقط وبماء البحر، والأكثر، اكتشفنا سقوط فأر كبير في خزان المياه.. أخرجناه وألقينا به في البحر وشربنا لأنه لا مفر أمامنا غير ذلك. بعد شهر من السفر لم نعد نطيق الجوع والاكتفاء بأكل التمر

في رحلة إلى ممباسا استغرقت ٧٣ يوماً كانت الوجبات الثلاث تمرتين وكوب ماء

والماء.. فرأينا المغامرة وإشعال النار وطبخ أكلة عيش (أرز) مهما كان الثمن.. وتحمس البحارة لذلك.. وأشعلوا النار واتخذوا كل الاحتياطات والإجراءات لاكتمال الطبخة.. وعندما انتهوا منها كانوا كأنهم في يوم عيد.. الفرحة عارمة.. فهم سيأكلون عيشاً بعد طول صيام.. ووضعوا العيش في أربع صواني وجاءوا بها إلى بصينية على ظهر السفينة من الخلف.. وما أن وضعوها حتى جاءت موجة قوية عالية لتكتسح الصينية بما عليها.. صحيح أننا أدركنا الصينية قبل ضياعها في البحر.. لكن العيش ضاع في البحر ويا فرحة ما تمت كما يقولون.

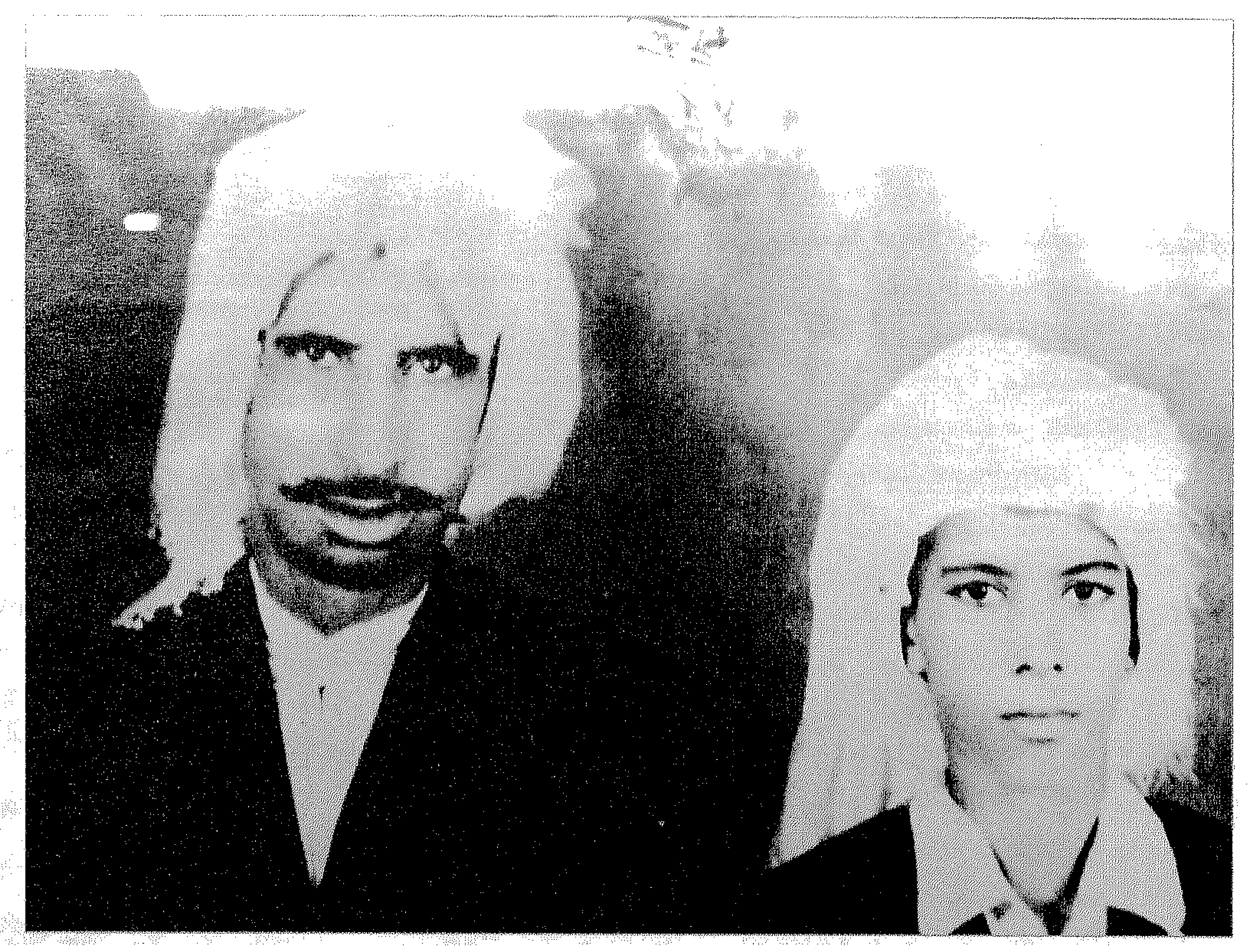
وصلنا منطقة كوما بعد ٧٣ يوماً من العذاب من أجل سبعة آلاف ربية.. كانت مغامرة خطيرة أتعجب كلما تذكرتها كيف قبلتها.. وكيف أن الله سبحانه وتعالى أنقذنا منها.. واستقبلنا أهل السفن في كوما بترحاب وعجب شديدين.. أنزلنا حمولة السفينة من التمر.. وحملنا السكر وتوجهنا إلى ممباسا في كينيا.. فلما وصلنا تعجب الناس كيف وصلنا.. قالوا لنا بلغتهم السواحلية: «هاكونا مرابو».. أي أنتم لستم عرباً!!.

أنزلنا السكر في ممباسا.. وحملنا خشب الجندل ويسمونه هناك بالسواحلية (بورتي).. وسافرنا إلى رأس الخيمة.. واستغرقت الرحلة ٢٢ يوماً فقط لأن الرياح كانت موالمة (مواتية) معنا.

الغريب أنه رغم العذاب والتعب والمشقة إلا أن عذاب البحر عذب وجميل عندما نتذكره فقط.. لكن في لحظته ووقته فهو مر وصعب.. المهم.. رغم المرارة إلا أننا لم نسأم البحر ولم نمله.. بل لم نفكر في الابتعاد عنه نهائياً.

عواصف تقتلع الأحجار

ويتذكر خليفة الفقاعي حادثة أخرى وقعت له في عام ١٩٥٤م، قال: كنا في طريقنا ضمن سنيار (أسطول بحري) من زنجبار إلى الإمارات، وكانت سفينتي محملة بكميات كبيرة من خشب الجندل التي تستخدم لأسقف المنازل، وعندما وصلنا إلى سوقطرى نزلنا لنتزود بالوقود والمؤن الغذائية والماء، وقبل مغادرتنا نصحنا أهالي سوقطرى بالتريث وعدم السفر لأن نجمة الأكليل ستظهر وظهورها يعني عواصف قوية وأمواجاً عاتية لدرجة أن الأمواج يمكن أن تقتلع الأحجار من عمق البحر، لم نستمع لنصيحتهم، وتحركنا في أسطول مكون من ٨ سفن كان من بينها سفينة محمد أحمد من خورفكان، ومحمد بن علي الجرواني وكوتية (بغلة) لولد صابر وأخرى لولد سيف وآخرين، وأبحرنا مع المساء وكان البحر عادياً، وبعد يوم من إبحارنا بدأت السماء تتلبد بالغيوم، وبدأت الرياح تعصف، والأمواج تعلو، والقلوب ترتجف، والأشرعة تتمزق، وأعمدة الصواري تتكسر، قل ببساطة أوشكنا على الموت، بقينا نصارع الأمواج العاتية التي فرقت الجمع فلم تعد سفينة ترى الأخرى من فرط ارتفاع الموج رغم تقارب المسافات. كان معي على سفينتي ١١٤ راكباً عمانياً من الرجال والنساء والأطفال، وكان دعائي لله عزّ وجلّ أن ينجينا مما نحن فيه، وكالعادة، ولتخفيف الحمل على السفينة ألقينا بكل خشب الجندل وصناديق الركاب وأكياس النارجيل وجوز الهند إلى عرض البحر. واستمر الصراع ثلاثة أيام. الأكل فيها حبات من التمر وكوب ماء طوال اليوم، وطبعاً، لا نوم ولا راحة، أثناء ذلك نزلت إلى داخل السفينة فوجدت ارتفاع الماء فيها وصل إلى مترين مما يعني أننا سنغرق لا محالة، فناديت على السكوني (قائد الدفة) وأمرته أن يتجه إلى البر في محاولة يائسة للنجاة، وعندما وصلنا إلى قرابة ٢٠ ميلاً من البر شاهدنا رأس الحد أمامنا، فدرنا خلفه، وهنا خفت حدة الرياح وبعث الأمل في نفوسنا من جديد، بقينا في ذلك المكان عدة ساعات لالتقاط الأنفاس، ثم تحركنا إلى مسقط، إلا أن الأمواج العاتية منعتنا من الاقتراب منها، فتحركنا ناحية صحم لإنزال



الفقاعي مع ابنه علي في كراتشي سنة ١٩٦١م

الركاب، وفعلاً وفقنا الله في ذلك،وسألنا عن رفقاء الرحلة، فوجدنا المراكب السبعة الباقية قد غرقت كلها، ومات من مات، وضجت رأس الخيمة عندما سمعت بهول هذه الكارثة.

مشقة من أجل مهرة

ويواصل (بوعلي).. خليفة الفقاعي تذكر أحداث البحر المريرة قائلاً:

في عام ١٩٥٥م، كنا في زنجبار.. حملنا خشب الجندل وتوكلنا على الله صوب رأس الخيمة.. وما هي إلا أيام عندما ابتعدنا عن ميناء زنجبار حتى واجهتنا رياح قوية تلاعبت بالسفينة.. ولم نجد بُداً من تخفيف حمولتها حتى لا تغرق بنا فألقينا بعضاً من الجندل في البحر..وفعلاً.. يسّر الله لنا أمورنا وواجهنا العاصفة وخرجنا منها بسلام حتى وصلنا إلى منطقة جشن قرب عدن.. وهناك قالوا لنا إن سفينة تتبع الشيخ ناصر بالأسد شيخ المهرة فيها ركاب وبضائع اختفت في البحر فساعدونا في البحث عنهم.. ورغم التعب.. خرجنا إلى البحر ثانية نبحث عنهم.. وبعد أيام وجدناهم في عرض البحر.. اقتربنا منهم وسألناهم ما هي مشكلتكم.. قالوا: السكان (الدفة) انكسر ولا نستطيع أن نوجه السفينة نحو أي اتجاه.. أعطيناهم الحبال وقلصنا سفينتهم (قطرناها) من شرق مقديشيو في الصومال حتى منطقة المهرة في جشن، الرحلة كان من المفروض أن تستغرق عشرة أيام فقط. لكنها استغرقت معنا شهراً ويومين.. وعندما وصلنا إلى جشن خرجت المنطقة كلها لاستقبالنا.. وعلى رأسهم شيخ المهرة الذي استقبلنا بحفاوة.. وعرض عليَّ كمية كبيرة من الشلنات لا أعرف عددها.. اعتذرت عن قبولها قائلاً له: إن ما قمت به إنما هو لوجه الله ولا نريد من أحد جزاءً ولا شكوراً.. وهذا نظام أهل البحر وما فعلته أملاه عليَّ ضميري والمروءة وشهامة أهل البحر.. تفهم الشيخ ناصر موقفي وقال لي: تريض (انتظر).. وذهب إلى بيته وعاد

حاملاً معه تفق أم عشر (بندقية) ويجر خلفه ٤ رؤوس غنم قائلاً: أرجو أن تقبل مني هذه الهدية.. فقلت له: أما هذه فمقبولة منك.. ومشكور.

كارثة يشيب لها الولدان

ويتذكر خليفة الفقاعي كارثة أخرى وصفها بأنها يشيب لها الولدان.. قال: في سبتمبر من عام ١٩٦٧م حملت مجموعة من الركاب إلى منطقة المكلا في اليمن الجنوبي على ظهر اللنش الذي اشتريته من الشيخ حامد بن بطي وكان اسمه (رسلان)، ووصل رسلان إلى المكلا بركابه سليماً ودون مشاكل، وهناك وجدت شحنة من العومة والعنبر الأزرق والسمن الطبيعي يريد صاحبها نقلها إلى رأس الخيمة، حملنا السفينة وتوكلنا على الله في طريقنا إلى البلاد يحدونا أمل كبير في الوصول بسلامة الله قبل ظهور نجمة الاحيمر التي تظهر وتأتي معها رياح قوية خطيرة، وصلنا إلى منطقة (سدح) في سلطنة عمان وكانت نذر العاصفة قد بدأت، طلبنا الدخول إلى الميناء لكنهم رفضوا، ولم يكن أمامنا بد من مواصلة الرحلة، وخرجت معنا سفينتان من سفن الإمارات، وحين وصلنا إلى قبالة جزيرة كوريا موريا اليمنية بدأت العواصف تزداد شدة، وبدأ البحر يزمجر والرياح تلعب بنا، سفينتي كان عليها خمسون راكباً وعشرة بحارة إضافة إلى الشحنة التي حدثتك عنها من العومة والعنبر، واشتد هياج البحر حتى أصبح طوفاناً، واستمر يتلاعب بنا من يوم السبت حتى الأربعاء ونحن لا نستطيع أن نخرج منه، خمسة أيام بلياليها ونحن نصارع الموت وعنف البحر وقسوته، طبعاً أول شيء فعلناه وكما هو معتاد، ألقينا بالشحنة في البحر حتى تخف السفينة، ومع هذا لم تفلح الجهود التي بذلناها في تخفيف الخطر، وقد فوجئنا ونحن نصارع العواصف بموت خمسة من الركاب داخل السفينة من شدة الرياح والأمطار، وبعد الأيام الخمسة تشاورت مع أخي عيسى وكان معي على المركب ومعه ابني علي وأحد البحارة اسمه بلال، تشاورنا ماذا يمكن أن نفعل، فأشاروا بأن نهرب من الطوفان باللجوء إلى جزيرة كوريا موريا، لكني رفضت لأن المحرك كان يعمل، واللجوء إلى الجزيرة كان مخاطرة شديدة لأن الرياح الشديدة ستقذفنا إليها قذفاً يحطم السفينة، وازداد الأمر سوءاً بأن توقف المحرك عن العمل، وبدأ الماء يتسرب إلى السفينة، أي أنها ستغرق حتماً، فلم أجد بداً من أن أقطع حبل الباورة (المرسى) ووجهنا السفينة في الاتجاه الذي نريده ونحن نتضرع إلى الله أن يسلمنا مما نحن فيه.

وحدث ما توقعت.. قذفتنا الأمواج كلعبة صغيرة على شاطئ الجزيرة، وهنا.. أسألك يا رب نفسي، فقد قفز كل منا يبحث عن النجاة ولا يفكر إلا في نفسه، وارتمينا على الرمال، وراح كل منا في نوم عميق، وأفقنا على أشعة الشمس تلسع أجسامنا ولا ندري كم مرّ علينا من الوقت، لكن كانت الفاجعة، سفينة عبد الله صالح التي كانت مرافقة لنا رمتها الأمواج العاتية بشدة على جانب صخري فتمزقت تماماً.. ومات كل من فيها، وأخذنا نبحث عمّن كان معنا في السفينة فوجدنا أحد عشر جثة، وأحصينا عدد الجثث الأخرى من سفن لقيت المصير نفسه فوجدناها ٢٠٠ جثة.

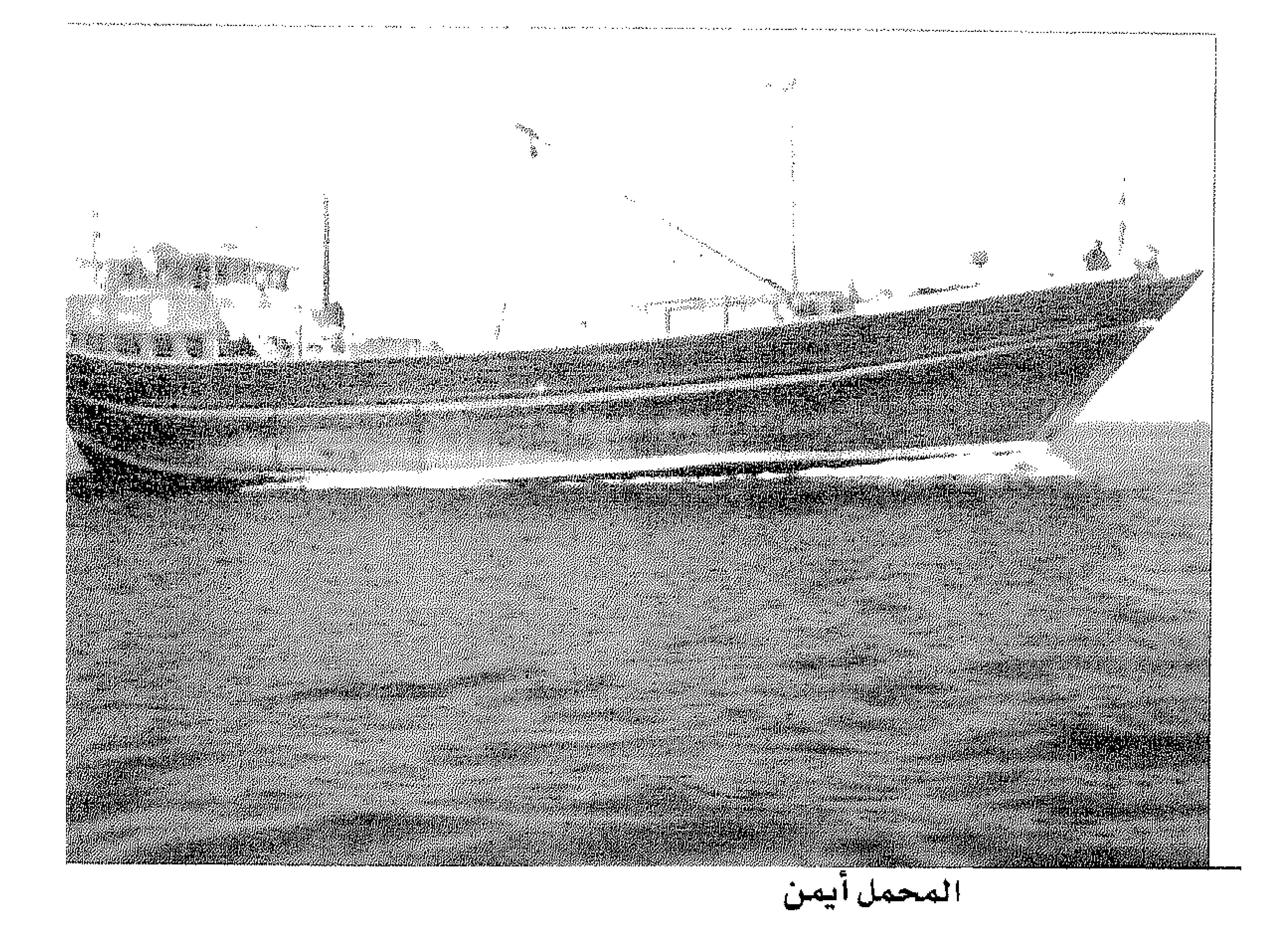
لم نصدق أننا بقينا على قيد الحياة، نظرنا حولنا، رمال شاسعة وبحر هائج ولا مكان نأوي إليه، يهدنا الجوع ويقعدنا التعب ويقتلنا العطش، تشبثنا بالحياة، وكان محتماً علينا أن نبحث عن بصيص أمل، كان أول شيء فعلناه وهدانا تفكيرنا إليه أن نفتش بين اللوثة (أي ما يرميه البحر) علّنا نجد شيئاً نأكله، وفعلاً، وجدنا بقايا (قلة تمر) غارقة في البحر، فانتزعناها بما بقي فينا من قوة، فهي الأمل في النجاة.. واقتسمناها فيما بيننا، وفعلاً، كان «الشيص في الغبة حلو»، فالشيص من التمر لا يأكله أحد إلا البهائم -أكرمكم الله-، لكنه عند الحاجة حلو بل وحلو جداً، وكانت التمرات التي أكلناها كافية لأن نشعر ببعض الراحة، وحلّ علينا التعب من جديد، فألقينا بأجسادنا على الشاطئ، ومرة أخرى رحنا في سبات عميق.

عندما أيقظتنا الشمس في اليوم التالي كان علينا أن نبحث بجد هذه المرة عن طوق نجاة، فأخذنا نسير في الجزيرة نبحث عن من يأوينا أو يدلنا أو يبل ريقنا ببعض الماء، سرنا قرابة ٣٠ كيلومتراً، وكان عثورنا على بقايا بيوت مهجورة بصيصاً للأمل، فرحنا، وهرولنا ناحيتها فلم نجد إلا الرياح تصفر فيها، كان بيننا شخص يسمى بلالاً تطوع أن يدخلها كلها بيتا بيتا يبحث عن شيء يغيثنا، ومن

أحدها، خرج بسمكة عوال مملحة لكنها فسدت، كان يمضغ قطعاً منها، صرخنا فيه: «بتتسمم.. بتموت»، قال بلا مبالاة: وما نحن فيه الآن، أليس موتاً؟! فهجمنا على السمكة نأكل منها غير مبالين بطعمها أو رائحتها.

يبدو أن تلك البيوت كانت مأوى للصيادين يجففون فيها أو يملحون أسماكهم عند إقامتهم على البر، لكن كان علينا أن نواصل البحث، وفعلاً، مشينا لمدة تقارب أربع ساعات حتى تعبنا من المشي وجاء الظلام ليخيم علينا، لكن الأمل في الحياة دفعنا لمواصلة المشي، وفجأة سمعنا صوت أغنام، فأيقنا أن هناك بشراً، ولاح الأمل في النجاة من جديد، فأخذ بلال يصرخ: «يا مسلمين، يا مسلمين» فجاءنا الرد الذي بعث فينا الأمل والنشاط والحيوية: من هناك؟ ثم أطلق رصاصة من بندقية، فعرفنا أنه مسلح، واتجهنا ناحية الصوت، تحدثنا معه من بعيد حتى يطمئن، شرحنا له قصتنا وأننا بحاجة إلى طعام وماء، لكن الرجل يبدو أنه كان متخوفاً منا، فلم يقدم لنا مساعدة حقيقية، وعرض علينا النوم في حظيرة الأغنام حماية لنا من تقلبات الطقس، وفعلاً، لم نجد بداً من النوم مع الأغنام في حظيرتها وكان عددنا ٢٦ شخصاً، وفي الصباح وجدنا مجموعة كبيرة من الرجال تحيط بنا وكأن صاحبنا قد استنجد بهم، عرفوا قصتنا وما حدث لنا، فتركونا وهرولوا ناحية الشاطئ بحثاً عن (اللوثة)، وهي البضائع أو الأشياء التي تلقيها السفن ليستفيدوا منها، أخذنا نستصرخهم أننا أولى وأننا نريد طعاماً وماءً فنحن نموت جوعاً وعطشاً، لكنهم تركونا ما عدا واحداً منهم كان اسمه محمد بالعبد رقّ قلبه لنا، فقدّم لنا كمية من الأرز والتمر والماء فطبخنا وأكلنا وشربنا، وشعرنا بأن الحياة تدب في أوصالنا.

طلبنا من محمد بالعبد أن يكمل جميله معنا، وأن يتجول بناقته على الشاطئ، لأننا كنا على ثقة بأن زملاء الرحلة إن نجا أحد منهم فلن يتركونا وسيبحثوا عنا، وفعلاً، خرج محمد جزاه الله خيراً، وعاد لنا بعد مدة ليخبرنا بأنه شاهد سفينة بالقرب من الشاطئ، فهرعنا إليها، فإذا هي سفينة أحمد خالد من أهالي رأس الخيمة تمزقت أشرعتها وكسرت دفتها، وتنتظر أن يهدأ البحر قليلاً لينزل



المحمل أيمن

بحارتها إلى الشاطئ ليبحثوا عنا، وفعلاً أرسلوا لنا قارباً صغيراً من نوع (الماشوه) ومعه قربة ماء وتمر فشربنا وأكلنا، وركبنا معهم حتى منطقة الغيضة، وهناك قابلنا المندوب السامي البريطاني وعرف قصتنا، فخصص لنا مكاناً للراحة وقدّم لنا الطعام والشراب، ومن فرط التعب والإرهاق والتقلبات الجوية أصبت بنزلة حمى لم أدر معها هل أنا حي أم ميت، ولكن والحمد لله لم تستمر معي أكثر من أسبوعين، استعدت بعدها صحتي، وسافرت إلى رأس الخيمة.

رشّاش سياد بري

ويواصل خليفة محمد الفقاعي حديثه الشائق عن البحر والبحارة وذكريات زمان.. قال (بو علي):

في سنة ١٩٧٣م سافرنا من دبي إلى زنجبار على السفينة ممتاز.. وواجهتنا كالعادة رياح شديدة أرهقتنا.. وما أن وصلنا إلى مقديشيو في الصومال حتى جاءنا الصوماليون يقولون: يا نوخذا.. لنا سفينة سماك خرجت إلى البحر منذ أربعة أيام ولم تعد ونرجوك أن تساعدنا في البحث عنها.. طبعاً لم نستطع لحظتها أن نعاود السفر بحثاً عن سفينة الصيادين خاصة وأننا كنا في غاية التعب.. فبتنا ليلتها.. ومع الفجر خرجنا نبحث عنهم فوجدناهم على بعد ٤٠ ميلاً بحرياً

وهم في غاية التعب بعد أن تعطلت ماكينتهم.. حملناهم معنا في السفينة وأعطيناهم الأكل والشرب حتى استعادوا عافيتهم بعض الشيء.. وقطرنا سفينتهم عائدين إلى مقديشيو.. وهناك وجدنا جمهوراً كبيراً في انتظارنا يترقب. وكانت فرحتهم عظيمة بعودة مجموعة الصيادين الصوماليين، وفوجئت بأن بين الحاضرين كان الرئيس الصومالي سياد بري رحمه الله.. سلّم عليَّ بشدة شاكراً إنقاذ البحارة.. وعرض عليَّ مبلغاً من المال.. لكنني اعتذرت عن عدم قبوله رغم حاجتي الشديدة إلى المال في ذلك الوقت.. فنظر سياد بري خلفه وتناول رشاشاً من أحد حراسه وأعطاه لي مع الزانة (خزنة الرصاص) هدية منه.. فقلت له: أما هذه فمقبولة ومشكور.

نجونا من الإعدام

ويواصل (بو علي) حديثه الشائق.. قال: ركوب البحر في حد ذاته مغامرة محفوفة بالمخاطر.. وإذا غامرت بشيء وأنت تركب البحر فمعنى ذلك أن المغامرة أصبحت مضاعفة.

* كيف؟

- في تلك السنة.. سافرنا من مقديشيو إلى ممباسا في كينيا.. وبصراحة.. اتفقنا على نقل شحنة من سن الفيل (العاج) من بحري جزيرة الخضرا التي يسميها العرب (بمبا) وكان هدفنا نقلها إلى دبي.. ويكفي أن تعلم أن نقل العاج وقتها وما يزال ممنوعاً.. ووقتها كانت الحكومة الكينية قد أصدرت أمراً أن من يَقتل فيلاً.. يُقتل.. لأن بعض الناس كانوا يقتلون الفيلة لأخذ أسنانها العاجية وتهريبها إلى الخارج مما كان يسبب خراباً كبيراً للطبيعة وللاقتصاد الكيني.. وصلنا إلى الجزيرة.. وبسرعة شديدة وبتكتم.. حملنا العاج وغادرناها سراً ونجحنا في الوصول بالشحنة إلى دبي.

تعبنا من البحر والمغامرة

بعد أن سلمنا من مخاطر البحر المتتالية قررنا أخذ قسط من الراحة وذلك ببيع السفينة التي نملكها.. واشترينا أراضي من المغفور له بإذن الله الشيخ محمد بن سالم القاسمي، والمغفور له بإذن الله الشيخ حميد بن محمد القاسمي واتجهنا للزراعة.. خمس سنوات نزرع الجت والشعير وبعض الخضراوات البسيطة.. ونبيعها ونتعيش بثمنها.. لكن الشوق للبحر لم ينقطع رغم السنوات الخمس.. هزنا الشوق للبحر فبحثنا عن سفينة نعود بها إلى حبنا الأول والأخير.. فوجدناها عند الشيخ حامد بن بطي وأخبرنا وكيله بلال أنه قد عرضها بثلاثين ألف ربية.. بحثت عن الشيخ حامد بغرض تخفيض السعر قليلاً أو التفاوض في طريقة الدفع.. قالوا: إنه في العين.. ذهبت إلى العين ولما وصلت إلى بيته قالوا خرج مع الشيخ زايد إلى المكان الفلاني.. ذهبت إليه وأنا لا أعرفه ولا أعرف المغفور له بإذن الله الشيخ زايد.. ولما وجدتهما سألت: من فيكما حامد بن بطي؟.. فرد الشيخ زايد رحمة الله عليه مشيراً إلى حامد بن بطي: هذا هو، تناقشنا في الأمر، ووافقت على الشراء بثلاثين ألف ربية على أن أسدد نصف المبلغ والباقي خلال سنة، فسألني الشيخ زايد: أنت من أين؟.. ولما عرف قال لحامد بن بطي: إعطه وتأمل أمل خير، فأهل رأس الخيمة قبائل معروفة.. وفعلاً سلَّمت المبلغ الذي كان معي وأعطاني ورقة لوكيله بلال الذي سلمني اللنش الذي سافرت به بين دول الخليج.. وتمكنت بفضل الله من تسديد باقي المبلغ خلال المدة المتفق عليها.

مواجهة أسماك القرش

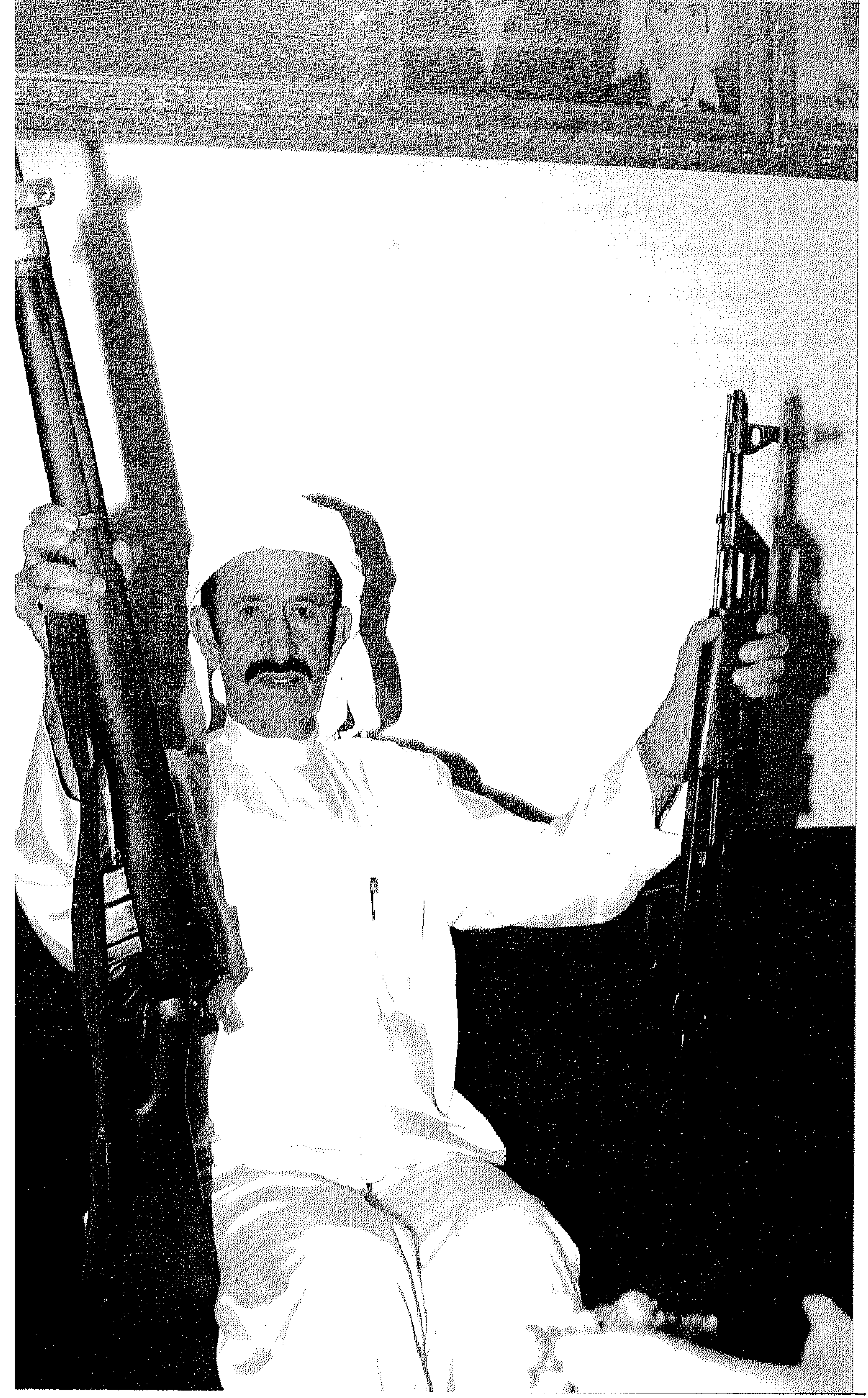
في عام ١٩٦٦م.. قررت الانتقال للعمل على خط إفريقيا.. حيث وصلنا إلى بلاد المهرة في المكلا.. وهناك حملنا بضائع منوعة.. وأبحرنا.. ولما وصلنا إلى منطقة شربتات عند عمان.. ضربنا طوفان رهيب فوجدنا أنفسنا بين الحياة والموت نصارع الموج العاتي.. بينما اللنش صار كأنه قطعة ملح اختفت في الماء بما حملت من بضاعة.. تعلقنا ببعض الأخشاب نحاول النجاة.. كنا عشرة بحارة.. حاولنا أن نتجمع بجوار بعضنا البعض.. رأينا الموت بأعيننا. فقد كانت أسماك القرش التي لا يقل طولها عن أربعة أو خمسة أمتار تفتح فمها تدور حولنا.. ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى أبعدتها عنا.. فهي لا تقترب من شخص يتحرك.. وكلنا كنا نحاول العوم.. لكن من غرق منا

وكان عددهم أربعة رحمة الله عليهم كان كل منهم يغوص في الماء أولا قبل أن يطفو.. وبمجرد أن يغوص.. كانت تتناوشه أسماك القرش وتمزقه.. ونحن نرى بأعيننا ما يحدث ولا نستطيع أن نفعل شيئاً لا لأنفسنا ولا لمن يغرق من جماعتنا.. ثلاثة أيام بثلاث ليال بلا أكل ولا شرب ونحن على هذا الوضع حتى لم يعد لنا أي أمل في النجاة.. ولا قوة للمقاومة أو التعلق بالحياة.. وعندما فقدنا الأمل نهائياً جاءنا فرج الله سبحانه تعالى حيث أرسل لنا سفينة كان عليها محمد بن خالد رحمة الله عليه وكانت متوجهة لليمن.. فرفعنا إلى السفينة ونحن بين الحياة والموت.. ونقلنا إلى منطقة اسمها (سيحوت) تابعة للمهرة..وهناك أكرمونا ووفروا لنا السكن والطعام والملابس.. وبقينا عندهم حتى عاد محمد بن خالد من المكلا وحملنا معه إلى رأس الخيمة. وكان لابد أن نتوجه إلى دبي حيث أصحاب البضاعة التي كانت معنا على اللنش وهي عبارة عن لبان وعومة وصيفة (زيت السمك) وشرحنا لهم ما حدث لنا.. ثم ذهبنا إلى الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم رحمة الله عليه وشرحنا له ما صار.. فأكرمنا وأعطانا قيمة البضاعة وكانت حوالي ٣٠ ألف ربيه سلمناها لأصحاب البضاعة لنسدد ديوننا.

امتحان بالإنجليزي

ويواصل (بو علي) حكاية ذكرياته الشائقة المليئة بالإثارة والتشويق.. والعبرة والدروس.. قال:

في سنة ١٩٥٦م.. كنا في زنجبار.. وكان طريق تجارتنا من زنجبار إلى دار السلام في تنزانيا.. وكان علينا أن نسافر إلى منطقة (سيبو رانجا) وهي منطقة خيران.. المياه فيها ضحلة وكثيرة الصخور وخطيرة على السفن.. وقررت الإدارة الإنجليزية في ذلك الوقت ألا تسمح لأي سفينة بالسفر في تلك المنطقة إلا بعد مثول نوخذتها للاختبار أمام ضابط إنجليزي بواسطة مترجم يسمونه شيخ عمر.. وجاء الدور علينا في الاختبار وكان معي المرحوم راشد بن سعيد الجروان.. سألنا الضابط في البداية: كيف وصلتم إلى هنا؟ وأنابني راشد في الكلام.. قلت: سافرنا من رأس



بو علي وبيده اليمنى بندقية شيخ المهرة وباليسرى رشاش سياد بري

الخيمة إلى البصرة.. ومن البصرة حملنا تموراً وسافرنا بها إلى بومباي، وأنزلنا حمولتنا وأبحرنا إلى كيرالا في الهند حيث نزلنا في منطقة اسمها منجرور.. ومنها حملنا كوبريل (كرميد) وتوجهنا إلى ممباسا.. وفرغنا الحمولة وتوجهنا إلى زنجبار.. ونريد أن نسافر إلى سيبو رانجا، فسألنا

الضابط عن المعدات البحرية التي معنا والتي تمكننا بها من السفر كل تلك المسافات والاتجاهات.. فقلنا له: نحن لا نعرف حتى القراءة والكتابة.. فتعجب.. كيف تسافرون كل تلك المسافات بلا كمال أو سدس أو رادار أو حتى بلد لقياس الأعماق.. ولا رادار أو حتى كومبيوتر بحري.. قلنا : لا نملك أي شيء مما تحدثت عنه.. ولا نملك غير خبرتنا.. تعجب الضابط وقال للمترجم: إنهم في غاية المهارة.. فضابط البحرية عندنا يدرس في الكلية خمس سنوات، وفي الليل يجنح بسفينته على الشاطئ!!.

لا أطيق البُعد عن بلدي

سألنا (بو علي) : كيف رأيت البلاد التي زرتها وكيف كنت تعيش فيها..؟ قال: أنا لم أكن أطيق البعد عن بلدي.. لكن كنت مضطراً لقضاء أيام عديدة تصل إلى الشهور في بعض البلدان في انتظار البضاعة التي لم تكن ميسرة في الغالب.. ولا يعقل أن أقطع كل تلك المسافات وأواجه كل تلك الأخطار بلا بضاعة أنقلنا أو أبيعها وأتعيش من ربعها.. فمكنني ذلك من إجادة عدد من اللغات منها السواحلية والأوردو والملباري والإيرانية.. وتعلمت الكثير من عادات الشعوب وطريقة حياتهم.

أجدت عدد من اللغات منها السواحلية والأوردو والملباري والإيرانية

* *والزواج.. لم تكلمنا عنه ولو بجملة.*

لقد تزوجت أكثر من مرة، وأول زواجي كان من أم علي عام ١٩٤٦م، ووجدت فيها الخير والبركة، وقد رزقني الله منها خمسة أولاد وخمس بنات أكبرهم علي، ثم عبد الله، وإبراهيم ويوسف وعمر. ومن زوجاتي الأخريات أولادي: جمعة، وحسن، وسعيد، وأحمد" مع بنتين.

نواخذا وملاّك السفن

ويتذكر بوعلي أصحاب وأصدقاء المهنة الصعبة وأحبّاء رحلة استمرت خمسين عاماً قضاها بين البحر واليابسة، قال خليفة الفقاعي: كان في الإمارات من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ سفينة تعمل في الأسفار البعيدة بين موانئ الدولة وموانئ الخليج وأفريقيا، وكان أصحاب ونواخذا هذه السفن من أبناء الإمارات، وكان يشهد لهم العالم بالبراعة والخبرة والحنكة في قيادة سفنهم في أعالي البحار، وقد عاصرت عدداً من المعلمين والربابنة من الآباء والأجداد والإخوان، وكنا نقول: معلم لمن هو خبير في الاتجاهات ومجاري البحار بواسطة علم الفلك ومعرفته بالنجوم، والربان هو الخبير بالبر أي المواقع والموانئ والبلدان، وخبير أيضاً في أعماق البحر والمناطق المختلفة. ومن هؤلاء من توفاه الله ومنهم من نسعد بصحبته حتى الآن، أطال الله في أعمارهم، أذكر منهم: عبد الله بن سالم بن جاسم، وعبد العزيز بن عبد الله، وجاسم بن سالم بن كلبان، وعلي بن سالم بن جاسم، وعلي بن يوسف البزي، وعلي بن سعيد الشامسي وولده سعيد بن علي الشامسي، ومن منطقة المعيريض برأس الخيمة: محمد بن حميد بن دلموك صاحب (بوم) كان يعمل عليه يوسف الحمر كنوخذا، وجاء من بعده يوسف عبد الله الحسن وعبد الكريم عبد الله الحسن ويوسف غريب، وهم نواخذه وملاكي سفن، والإخوان: إسماعيل وعلي وإبراهيم أولاد جكه، ويشاركهم عبد الرحمن العري، وهؤلاء كانت لديهم أبوام وسنابيك تسافر لدول إفريقيا واليمن وباكستان والهند، وكان هناك أيضاً الشيخ أحمد بن حجر وكان يعمل قاضياً في رأس الخيمة ويملك سنبوكا، والنوخذا محمد عبدوه، والإخوة سعيد وأحمد وإسماعيل بوغيث ونوخذاهم محمد علوي، والإخوة: الملا عبد الله، وعيال خالد إبراهيم أحمد، ومحمد وعبد الرحيم وكانوا يمتلكون مراكب للسفر، وناصر وعلي وحميد الزعابي وكانا يمتلكان جالبوتا اسمه (البابور) وتقتصر رحلاته على موانئ الإمارات فقط، وأيضاً من ملاّك السفن في منطقة المعيريض برأس الخيمة كان حميد وسالم أبناء مصبح المهيري، وحمد محمد البادي وحمد بن عبد الله، وحمد بن عبد الله البدر، وسيف بن محمد البدر



أمام نموذج محمل في بيته

وعلي بن حسين المناعي وإخوانه إبراهيم وجبر وولدهم أحمد بن علي المناعي، وإبراهيم السامان وخليفة وراشد حمر عين، وحمد بن عبيد حمر عين وسلطان بن حميد بن مويزه وأحمد بن حميد بن مويزه وعلي بن حميد بن مويزه وحميد بن سلطان بن مويزه، وخالد وشقيقه مطر وأولاد محمد المطر، ومحمد مطر المطر، وأحمد وشقيقه إبراهيم أولاد خالد المطر.

ويتذكر خليفة الفقاعي رفقاء المهنة من أبناء رأس الخيمة فيقول: كان من بينهم عبد الله بن سالم بن رابوي وإبراهيم بن سالم بن الكيت ومحمد بن عبد الله بن دسمال وكان يمتلك أكبر بوم في منطقة رأس الخيمة واسمه (النامسة)، وعلي المفتول وأبناؤه عبيد وعيسى وراشد وسعيد، وسلطان بن سيفان وعلي بن يوسف سيفان وكان عنده بوم اسمه (الدري)، وجاسم بن راشد وكان لديه سنبوك اسمه (الفيل)، والنوخذا إبراهيم بن موسى وولداه يوسف ومحمد، وسعيد بن علي الشرهان وابنه عبد الله الشرهان، وسالم بن حسن الشرهان وولداه عبد الله وعلي، وكان كل منهم يمتلك من سفينتين إلى ثلاث سفن، ومحمد بن سالم وكان شريكاً لمحمد بن صالح في جالبوت أطلقا عليه اسم (سودة)، ومحمد كان وزيراً لدى الشيخ سلطان بن سالم حاكم رأس الخيمة في ذلك الوقت. وإبراهيم عكيه وعلي بن حسن رقيط وعلي بن سعيد بن توبر.

ويتذكر بوعلي زملاء المهنة في خورفكان التي كانت تلي رأس الخيمة -من وجهة نظره- في الاهتمام بالبحر والأسفار إلى الموانئ القريبة والبعيدة، ويذكر منهم النواخذا عبد الله الميرزا وأولاده علي الميرزا ويوسف الميرزا وكان يمتلك خمسة أبوام ويعمل لديه من ٧٠ إلى ٨٠ بحاراً،

ومحمد بن صالح وأبناؤه أحمد محمد صالح ويوسف محمد صالح وعلي محمد صالح وأحمد بن علي من أصحاب الأبوام المعروفة (ميمون) و(الخالدي) و(ياردبلة)، وكان يعمل لديهم ١٢٠ بحاراً، وقد توفي محمد صالح رحمة الله عليه في لامو بالصومال بسبب المرض، وكان حجي محمود صالح وأولاده وهم جاسم وحمود وهؤلاء من النواخذا المعروفين وصاحب أكبر بوم في الإمارات على حد قول بوعلي، وكان اسمه (رشدان)، وكانت آخر سفراته إلى مقديشيو حيث حمل من هناك كمية كبيرة من الفحم وأبحر بها إلى الكويت، وفي الطريق صادفتهم عواصف عاتية فانحرفوا ليلاً إلى راس حافون وهناك غرقت السفينة بمن عليها.

ولأن خليفة الفقاعي كانت تربطه علاقات قوية بكل البحارة والنواخذا في الإمارات فهو يتذكر النواخذا وأصحاب السفن في أم القيوين أيضاً الذين يذكرهم بالخير ويعدد أسماءهم: خلف بن سلطان بن معلا صاحب سنبوك (غالب)، وقوم الزرعوني وكانوا أصحاب أبوام وجوالبيت ونوخذاهم كانوا من (كنك) ومن (جسم).

وفي الشارقة كنت أعرف شامس القريدي وخلف القريدي وعبيد بن سعيد الجروان وإخوانه محمد وسيف وراشد وعلي وولده راشد كانوا كلهم نواخذا، ومحمد بن خلفان الرويمة، وكان نوخذا ثم أصبح قبطاناً في إحدى الدوريات البريطانية بالخليج لكبر خبرته في البحر، وكذلك عيال الشامسي ومحمد وراشد أيضاً وعمران بن تريم وخميس بن سامو صاحب (الكوتية) المعروفة.

وفي دبي كانت السفن المعروفة تعود إلى محمد بن ماجد الغرير، وحمد بن ماجد الفطيم ومحمد بن ماجد الفطيم، وراشد بن عبد ا لله الصريع الشهير بالشيراوي، وقد سمي بذلك لأنه كان نوخذا لتاجر كبير في دبي اسمه الشيراوي، وبعدها صار نوخذا لمحمل الشيخ محمد بن حشر المكتوم، ومحمد بن مطر بن لاحج وهو من أقدم النواخذا الذين سافروا إلى الهند وأفريقيا، وشقيقه سعيد بن لاحج كان من صناع السفن وكان مديراً للجمارك أيضاً، وعيال حارب: أحمد وكان مدير الجمارك في خور الشندغة، ومحمد بن أحمد بن حارب والد عبد الله وسعيد بن حارب، وجدهم حارب بن حارب وهو الأساس في التجارة والبحر، وعلي الخلافي وأحمد الغرير وحمد بن فهد وعبيدان بن سلوم ومحمد بن سلوم ومطر بن خريطان، ومن أشهر أهل البحر في دبي أيضاً جمعة بن عبد الله الأملح وولده رحمة بو جابر، وسيف بن محمد بالقيزي وخليفة بن سلوم وأخوه محمد وولد أخوهم محمد بن عبيد بن سلوم، وسعيد بن محمد الختال المهيري وأولاده محمد وأحمد، والحجي إبراهيم بن حسن، كل هؤلاء كانوا من صناع وملاك السفن في دبي، أما ثاني بن علي غليطة وأخوه أحمد وخليفة الخلافي وقاسم شاهين وبخيت محمد بختيار فكانوا نواخذا وملاك سفن.

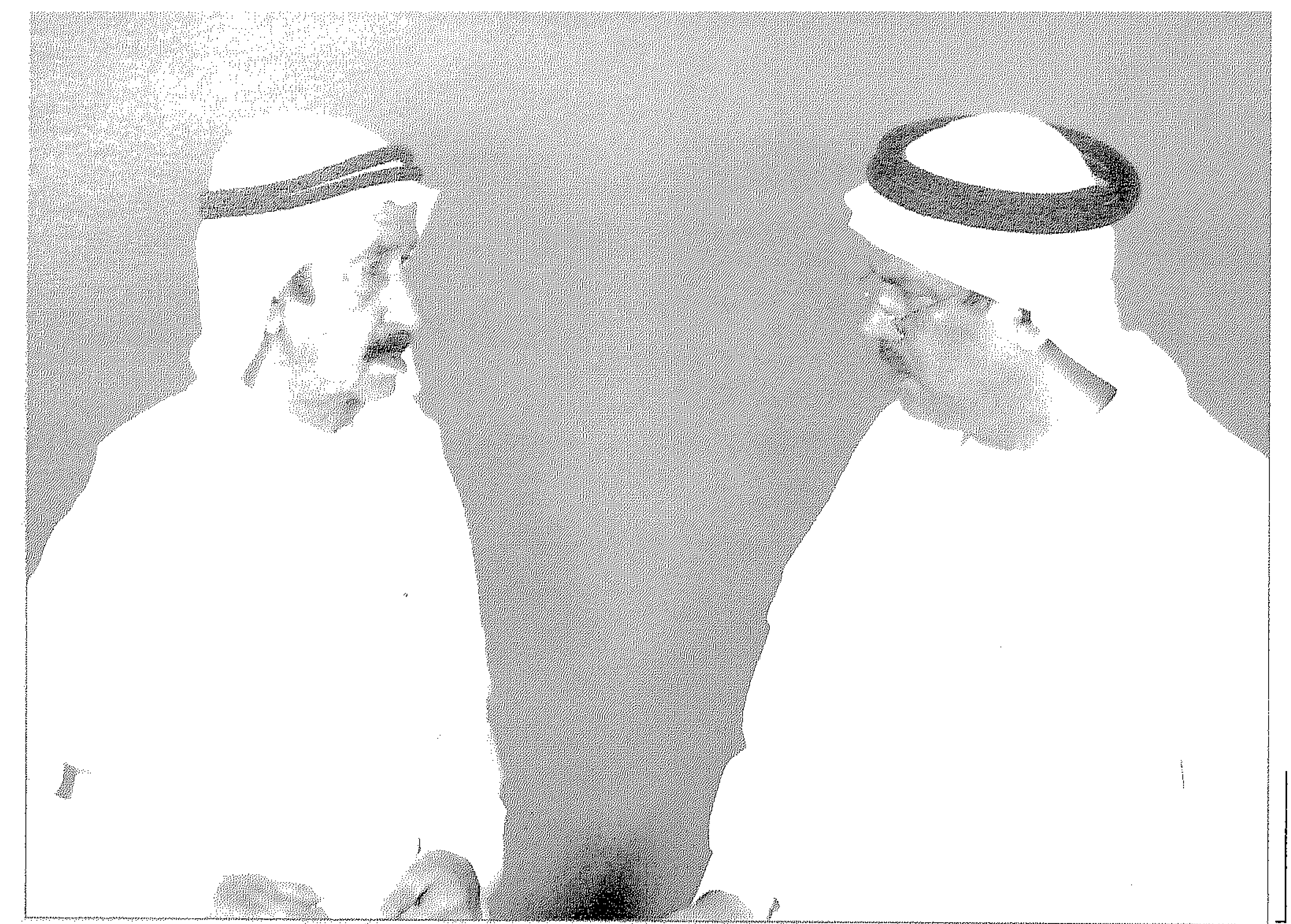
وفي أبوظبي كانت جوالبيت وسفن الغوص لخلف بن عبد الله العتيبة وأدبنه أحمد وجابر راشد الهاملي ومحمد عبد الله القمزي وغيرهم تتحرك في الغالب بين موانئ الخليج والحال نفسه بالنسبة لسفن حامد بن بطي الذي اشتريت منه جالبوتا قبل ٤٠ سنة.

ومن أشهر النواخذا وملاك السفن في أم القيوين كان الشيخ خلف بن سلطان المعلا، ومن ملاك الخشب كان: محمد وعبد الرحيم خردقوه الزرعوني وسيف بن صفوان آل علي وأولاده عبد الله ومحمد.

وفي عجمان كانت عائلة بن لوتاه من كبار أهل البحر، وكانوا ملاكاً ونواخذا وطواويش، منهم الرجل المعروف بالسيرة الطيبة في البر والبحر الحاج سعيد بن أحمد بن لوتاه، ومعه هلال بن أحمد بن لوتاه، وعبيد بن ناصر بن لوتاه، وجمعة المعي السويدي وكان عنده جالبوت اسمه المعي لذلك أطلقوا عليه المعي.

ومن أشهر صناع السفن في رأس الخيمة محمد بن راشد المهيري وعبد الرحمن حسن الأستاذ وحمد بن صراي من فريج هل ميان، ومحمد بن عبد الله بوحاجي، وفي الشارقة خميس بن ساحوه، وفي أم القيوين محمد خميس بو هارون، وفي عجمان شطاف العود وولد أخته عبيد شطاف، وفي دبي محمد بن مطر بن لاحج وأخوه سعيد.

ومن أشهر ملاك السفن كان إبراهيم بن سالم الكيت، وعبد الله بن سالم الرابوي، ومحمد بن عبد الله بن دسمال، وعلي المقتول وأولاده عيسى



حوار بين بو علي مع ولده عبد الله في صورة حديثة

وراشد وعبيد وسعيد وكان عندهم بوم يسمى (النمر)، وعلي بن حسن رقيط وكان عنده بوم اسمه (المباركي)، وسعيد بن علي الشرهان الذي اشترى بوماً من أولاد خردقوه في أم القيوين وكان نوخذا المحمل أخوي من الرضاعة علي بن عبد الله الشرهان وكان اسم البوم (سوق البيادير). وأنا كان عندي محمل اسمه إمارات ٢، اشتريته من عبيد بن جمعة بن سلوم، وهو معروف بعبيدان بن سلوم، ومحمل آخر سميته توكل اشتريته من سنغافوره، ومحملان الأول اسمه الخالدي، والثاني اسمه أيمن صنعتهما في مليبار، ومحمل اسمه ممتاز وهو موجود حالياً عند عيال بن حارب ضمن مطعم البوم في خور دبي.

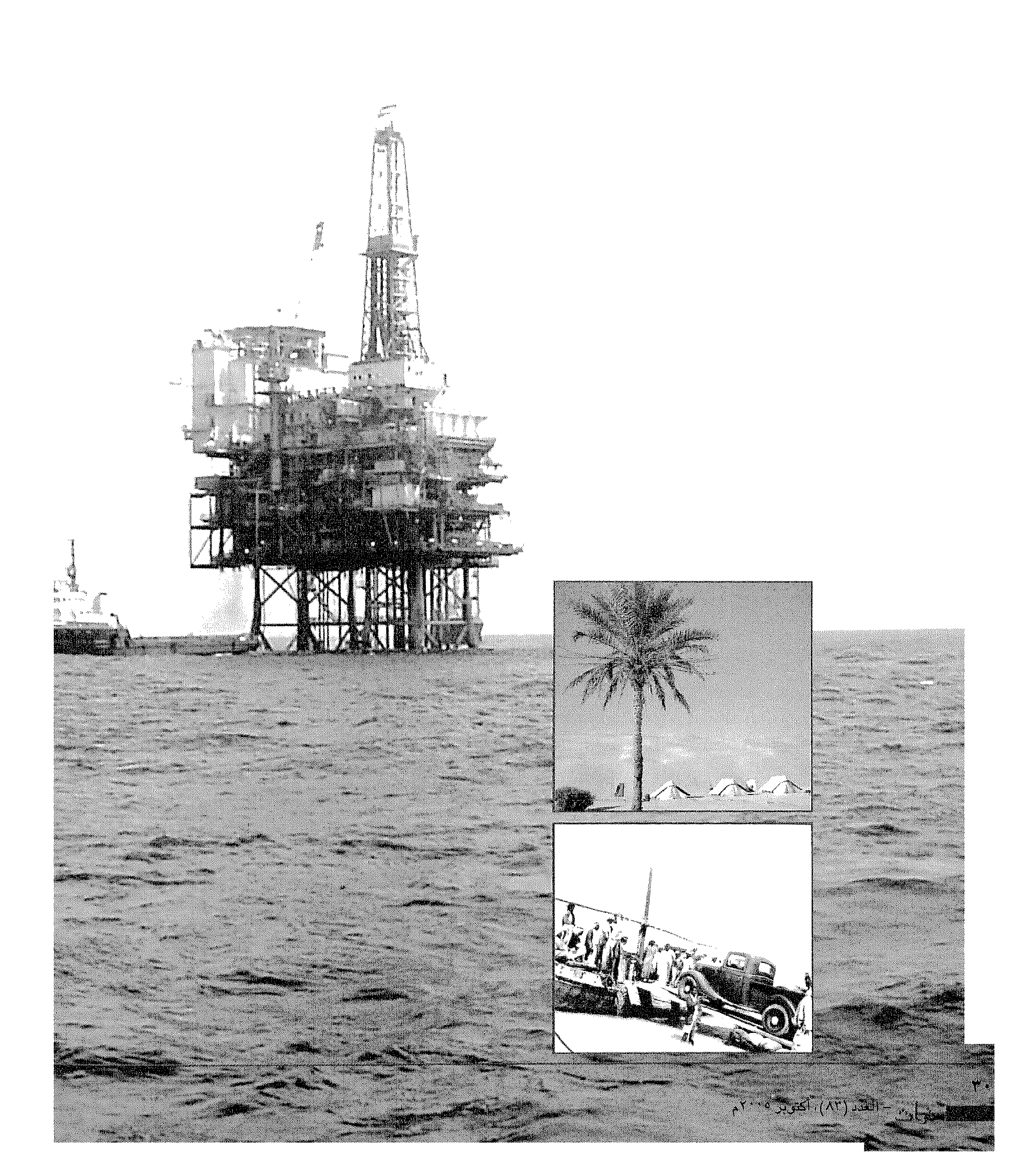
هذا باختصار عن النواخذا وملاك السفن الذين أعرفهم، وأرجو أن يعذرني من لم تسعفني الذاكرة بذكر اسمه، فهم كلهم إخوة وأحباب وزملاء مهنة وكد وتعب، ووصلت العلاقة بيني وبين كثيرين منهم إلى حد الصداقة، والصديق وقت الضيق كما يقولون، لذلك كانت علاقاتنا جميعاً قوية ومتينة، رحم الله من تُوفي منهم وأطال الله في عمر من بقي وأعطاهم الصحة والعافية.

قلنا لبوعلي في نهاية اللقاء:

دائماً عندما نتحدث مع كبار السن يقولون لنا إن أيام زمان كانت جميلة وأخير عن هذه الأيام في بعض الأمور.. فما رأيك أنت؟

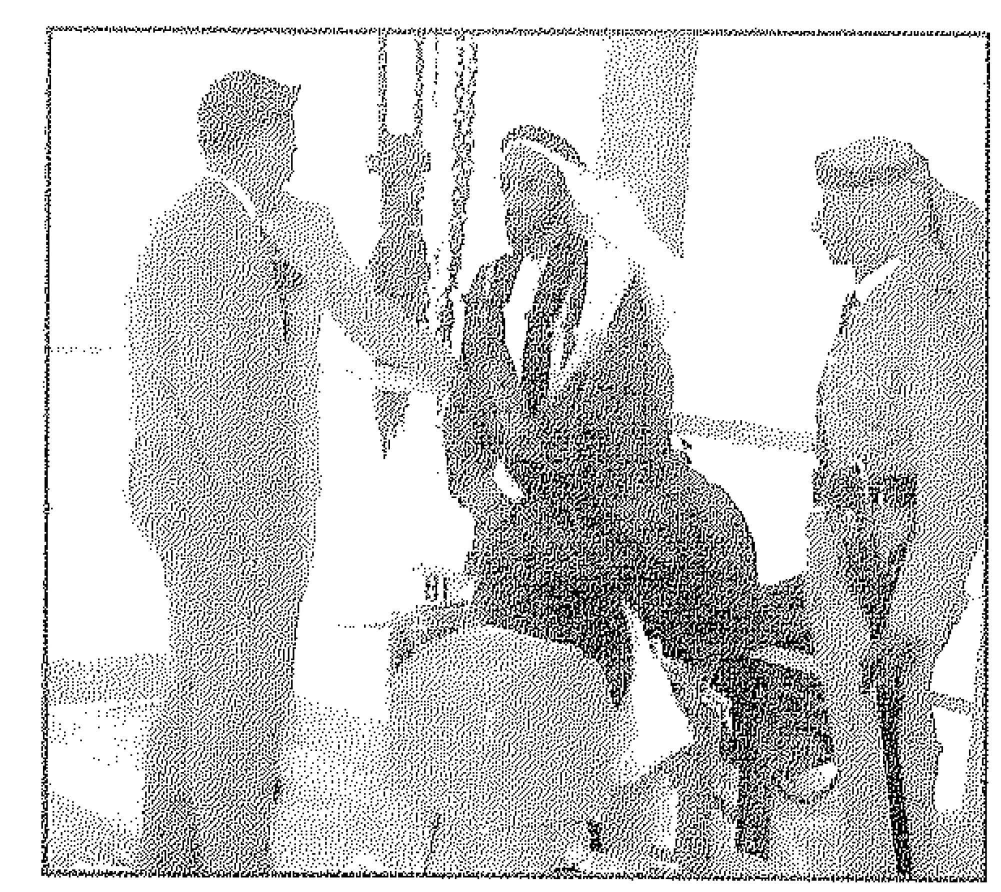
– الله لا يعيد تلك الأيام.

كان هذا الجواب هو المختصر المفيد لكلام بوعلي.. ولكنه أضاف موضحاً: الناس في الماضي كانت تعيش حياة في غاية الصعوبة ومهما قلت أو وصفت فلن أعبّر لك عن تلك الأيام.. فكيف تكون أخير من الوقت الحالي الذي ننعم فيه بكل شيء.. رحم الله الشيخ زايد وفر لنا الكثير من الخير والراحة.. وعلى خطاه الآن يسير صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة وأخوه الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة وإخوانهما أصحاب السمو الشيوخ حكام الإمارات.. لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى الخير الكثير، وإذا قلنا إن أيام زمان أخير عن الوقت الحالي فقد جحدنا نعمة الله علينا.. ومهما قيل إن النفوس كانت طيبة والتقارب بين الناس كان أكثر.. لكن هذا ليس مبرراً لأن نجحد النعمة التي نحن فيها الآن.. نسأل الله أن يديمها علينا وأن يبارك لنا فيها وأن يمد في أعمال أصحاب السمو الشيوخ ويوفقهم لما فيه خير الوطن والمواطن.■

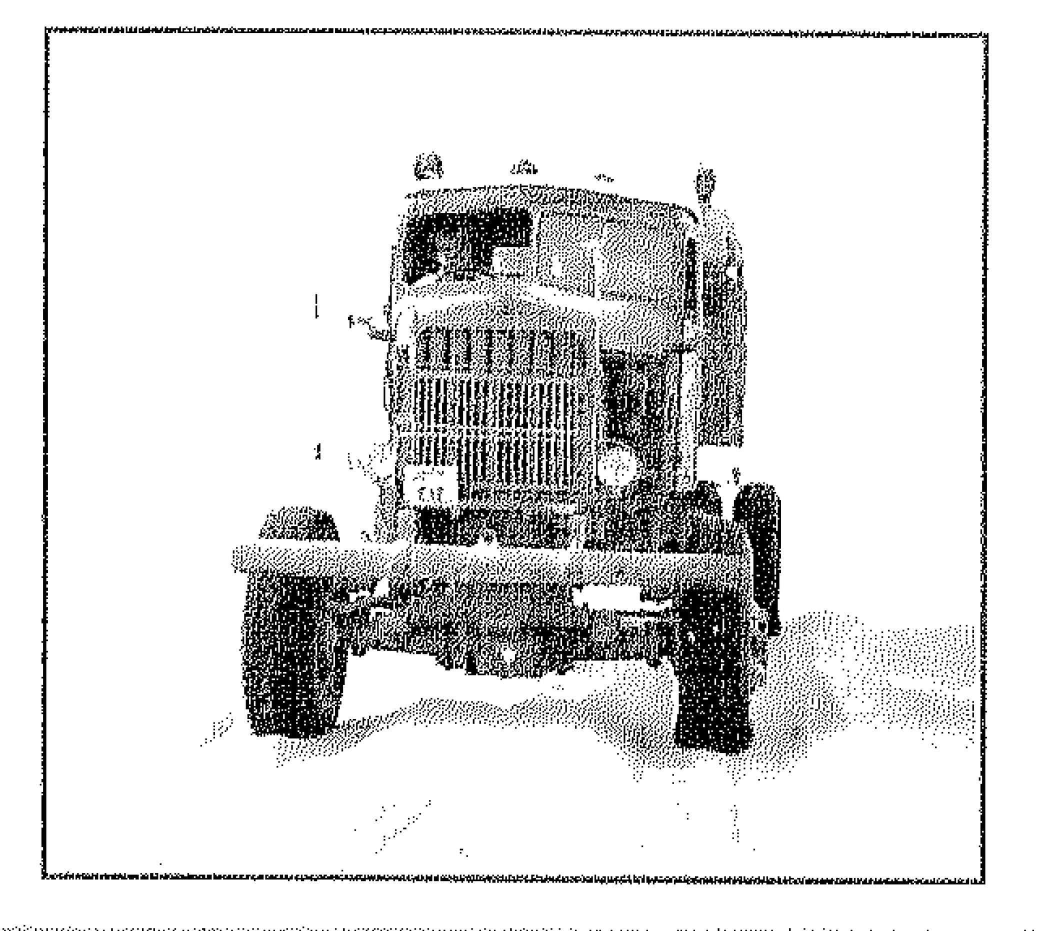




قصة البحث عن النفط في الإمارات







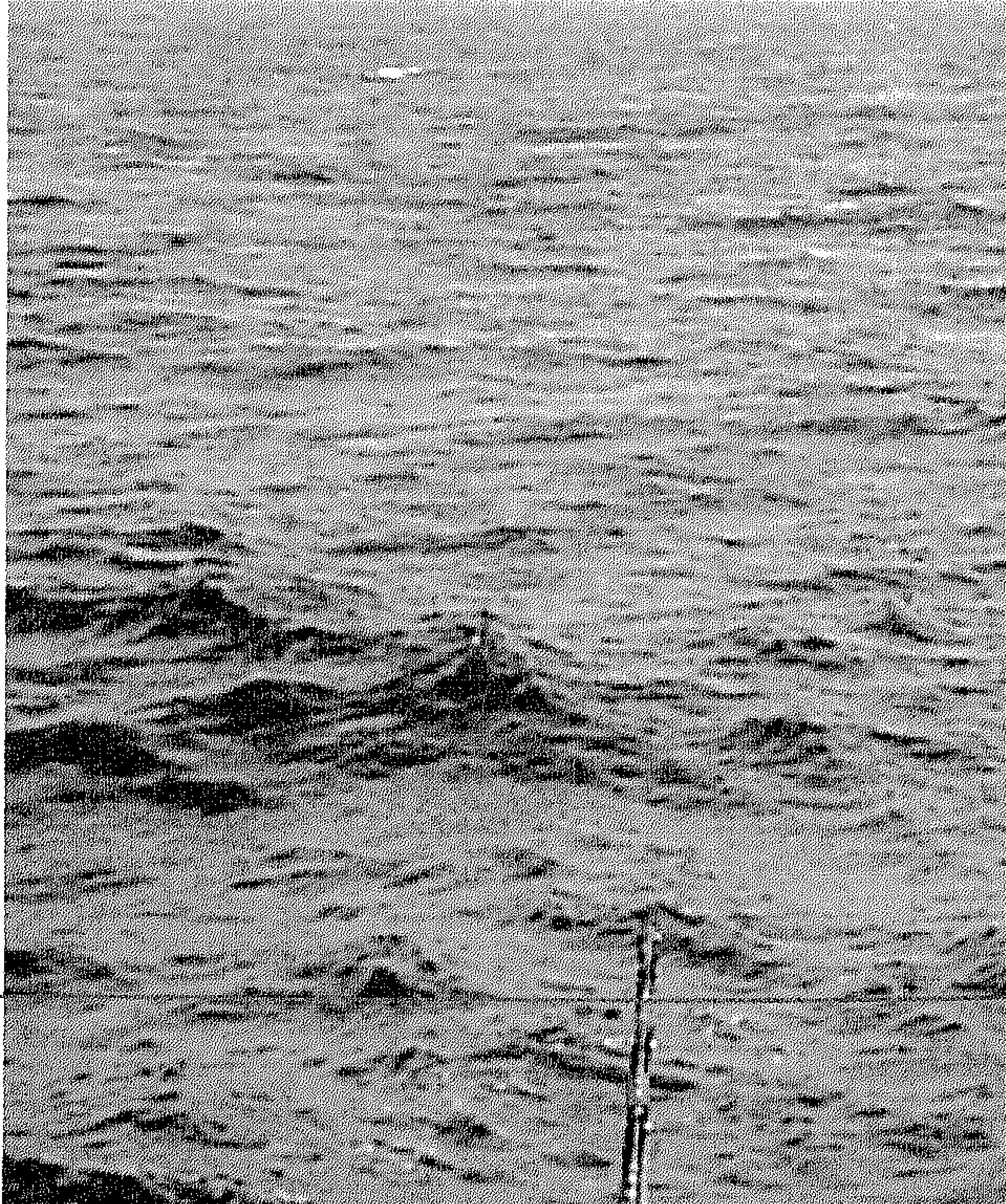
■ خليفة سيف الطنيجي *

يعدُّ النفط شريان الحياة في العصر الحالي لأهميته في دوران عجلة الإنتاج في العالم الصناعي، حيث أحدث اكتشاف النفط ثوره هائلة أدت إلى إيجاد تطور وقفزات حضارية كبيرة على وجه الكرة الأرضية للعديد من المجتمعات البشرية خاصة تلك التي تم اكتشافه فيها.

لقد عرف أهل الخليج العربي بوجود النفط منذ آلاف السنين، إلا أنهم لم يدركوا بالطبع أن هذا المورد الطبيعي سوف يحظى بالقيمة الكبيرة التي يتمتع بها اليوم.

فقد لاحظت الحضارات القديمة في كل من العراق وإيران وجود تسربات طبيعية للزفت من مكامن النفط القريبة من سطح الأرض، وتدلّ المكتشفات الأثرية أنه تم استغلال هذه التسربات في الحضارتين السومرية والبابلية.

أما التسربات من قاع البحر فكانت تظهر على شكل كرات صغيرة من الزفت تلقي بها الأمواج إلى الشواطئ، وكان سكان الشواطئ يستعملونها لكسوة الأواني الفخارية وما شابهها لمنع تسرب السوائل منها، وظهر ذلك الاستخدام أيضا في الاكتشافات الأثرية بدولة الإمارات.



---

* باحث في التراث والتاريخ
altunaiji1@yahoo.com

أما اكتشافه لأول مرة بشكل اقتصادي فكان في إيران[1] بمسجد سليمان في ٢٦ مايو ١٩٠٨م، ومن ثم توالت اكتشافات الذهب الأسود من العراق[2] إلى البحرين والسعودية والكويت فقطر، وإلى إمارات الساحل المتصالح، وقد سبق ذلك الاكتشاف سعي بريطانيا وهي القوة المسيطرة على المنطقة في ذلك الوقت، من خلال أروقة الأجهزة الإدارية سواء أكانت في لندن أو في الهند أو بالخليج للحصول على تعهدات للتنقيب عن النفط من حكام إمارات الساحل المتصالح والتي ظهرت بوادرها في ٨ سبتمبر ١٩٢١م، بينما تمّت تلك التعهدات على يد المقيم السياسي في الخليج العربي تريفور في مايو ١٩٢٢م[3]، من حاكمي دبي وأبوظبي والتي حصرت إعطاء ومنح الامتيازات النفطية على الشركات المعتمدة من قبل بريطانيا، حيث اختلف الاتفاق مع حاكم أبوظبي باعتباره من أهم حكام إمارات الساحل ولحجم إمارة أبوظبي الكبير مقارنة مع ما يسيطر عليه حكام الإمارات الأخرى من ساحل أو صحراء مقارنة بأبوظبي. بينما كان تعهد حاكم الشارقة في ١٧ فبراير وحاكم رأس الخيمة في ٢٢ فبراير ١٩٢٢م، وفي ١٠ مايو ١٩٢٢م حصل وكيل المقيم السياسي في الشارقة على تعهد شيخ أم القيوين بالموافقة على التنقيب عن النفط في أراضيه، وسبقه حاكم عجمان في ٤ مايو ١٩٢٢م، مع التعهد بأنه إذا ما ظهر النفط في أراضيهم فإنهم لن يمنحوا أي امتياز لأي أجنبي عدا من تحددهم لهم الحكومة البريطانية.

وفي أكتوبر ١٩٢٥م زار عدد من الجيولوجيين التابعين لشركة بترول الانجلوفارسية وهم: ليس وغراي وعبدالله ويليامسون[4] إمارة الشارقة في رحلتهم إلى مسقط على ظهر السفينة البخارية خوزستان، وقد توقفوا في إمارة رأس الخيمة، وسمح لهم حاكمها بزيارة سفوح الجبال ليوم واحد فقط بهدف اكتشاف وأخذ العينات للتنقيب عن النفط.

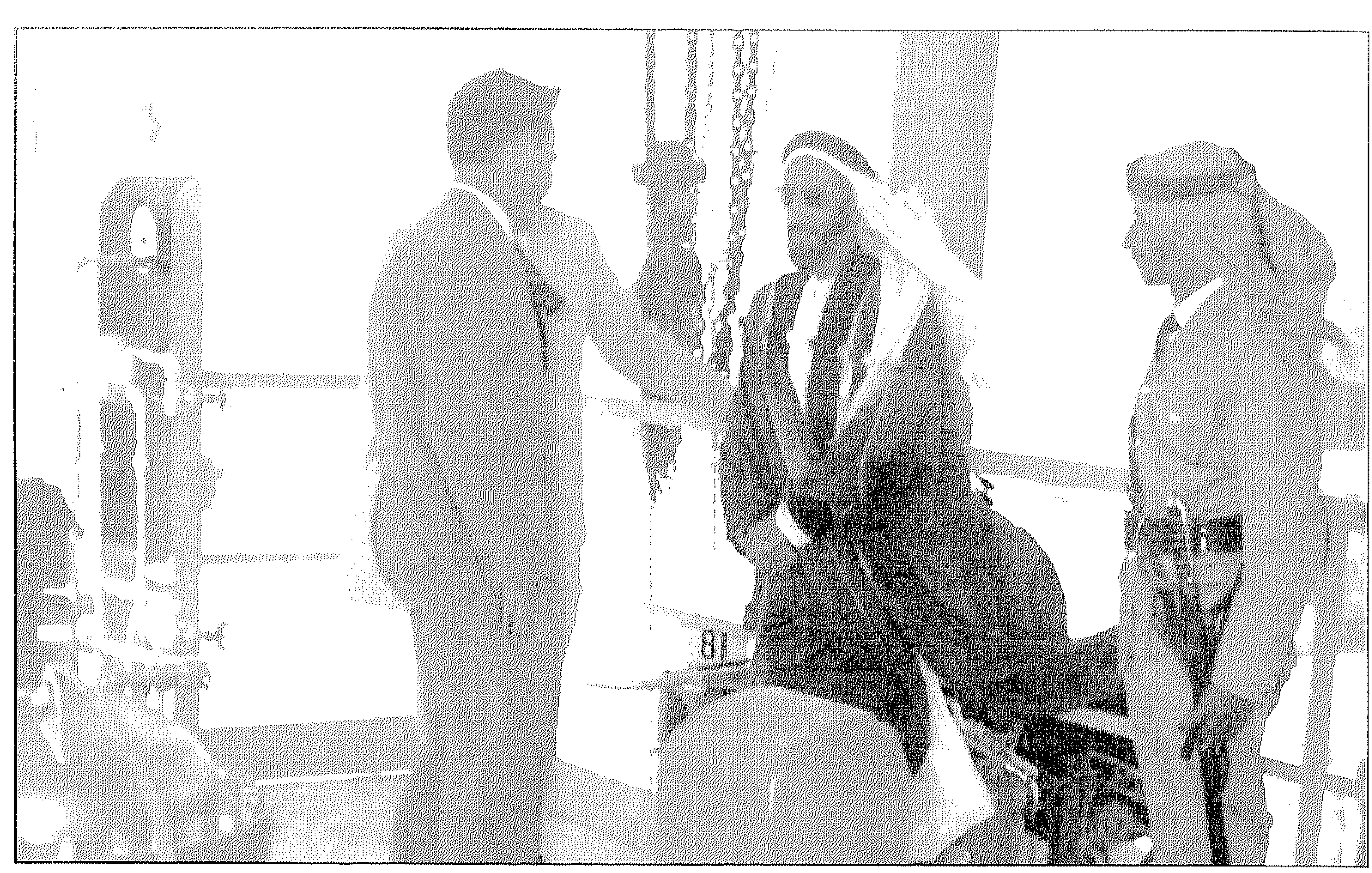
ولم يكن ضياع فرصة عقد امتيازات بترولية بريطانية مبكرة يعود فقط إلى إهمال من جانب الشركات البريطانية، أو خطأ أطلقه الجيولوجيون البريطانيون في تسرع حينما قرروا عدم وجود نفط على الساحل العربي من الخليج، مع أنه لم تتهيأ لهم فرص البحث والكشف العلمي اللازمين لهذا القرار، بل يعود ذلك الفشل أيضاً إلى سياسة المقيم السياسي البريطاني في الخليج، الذي منع الباحثين عن النفط سواء كانوا بريطانيين أو غير بريطانيين من دخول إمارات الساحل بحجة واهية، وهي تخلف المنطقة وعزلتها الطويلة، كما أسهم حظر زيارة الأجانب وضعف رأسمال شركات التنقيب عن النفط في تأخير امتيازات التنقيب، واستمر موقف حكومة الهند البريطانية على هذا المنوال حتى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين.

التنافس بين شركات النفط:

كان ظهور البترول في البحرين عام ١٩٢٧م وتصديره عام ١٩٣٢م على يد شركة أمريكية يمثل صدمة للدوائر البريطانية، ثم قامت منافسة غير جادة بين شركة كاليفورنيا وشركة الانجلوفارسية على امتياز الأحساء في السعودية عام ١٩٢٣م، وكانت نتيجة المنافسة فوز شركة كاليفورنيا بالامتياز، وهنا احتدم التنافس بين الشركات البريطانية والأمريكية في الكويت وانتهى الأمر بتناصف الامتياز، ثم جاء دور الإمارات حيث نشط البريطانيون في سبيل الحصول على امتيازات البترول في مواجهه المنافسة الأمريكية، وفازت بالامتيازات الأولية في الفترة ١٩٣٥-١٩٣٩م شركة (امتيازات بترول الساحل المهادن)، وهي شركة متفرعة عن الشركة الأم (بترول العراق).

وفي ظل التنافس الشديد بين شركات النفط الممثلة للدول الكبرى من بريطانيا وأمريكا للحصول على امتيازات التنقيب على النفط في إمارات الساحل، ظهرت مراسلات بين حاكمي إمارة رأس الخيمة ودبي من جانب ومع شركة النفط الأمريكية من جانب آخر، لذا عمدت الحكومة البريطانية ممثلة بالمقيم السياسي البريطاني في المنطقة إلى دفع حاكم إمارة دبي، عندما علمت بالاتصالات التي تجريها شركة النفط الأمريكية (كاليفورنيا اربيان ستاندر اويل كومبني)، للاجتماع معه في البحرين لإقناعه بالعدول عن فكرة منح أي امتياز للشركات الأمريكية، وقد نجح المسعى البريطاني في إقناع حاكم دبي.

ونتج عن التنافس مع الأمريكيين في الحصول على امتيازات النفط، واهتمامات الشيوخ باكتشاف النفط في إماراتهم وكذلك سياسة الضغط من قبل المقيم السياسي في الخليج، أن نشطت الشركات البريطانية وتكوّنت في أكتوبر ١٩٣٥م شركة فرعية جديدة اسمها (شركة الامتيازات البترولية المحدودة)، وكان



الشيخ شخبوط في زيارة إلى محطة تصدير النفط في جبل الظنة

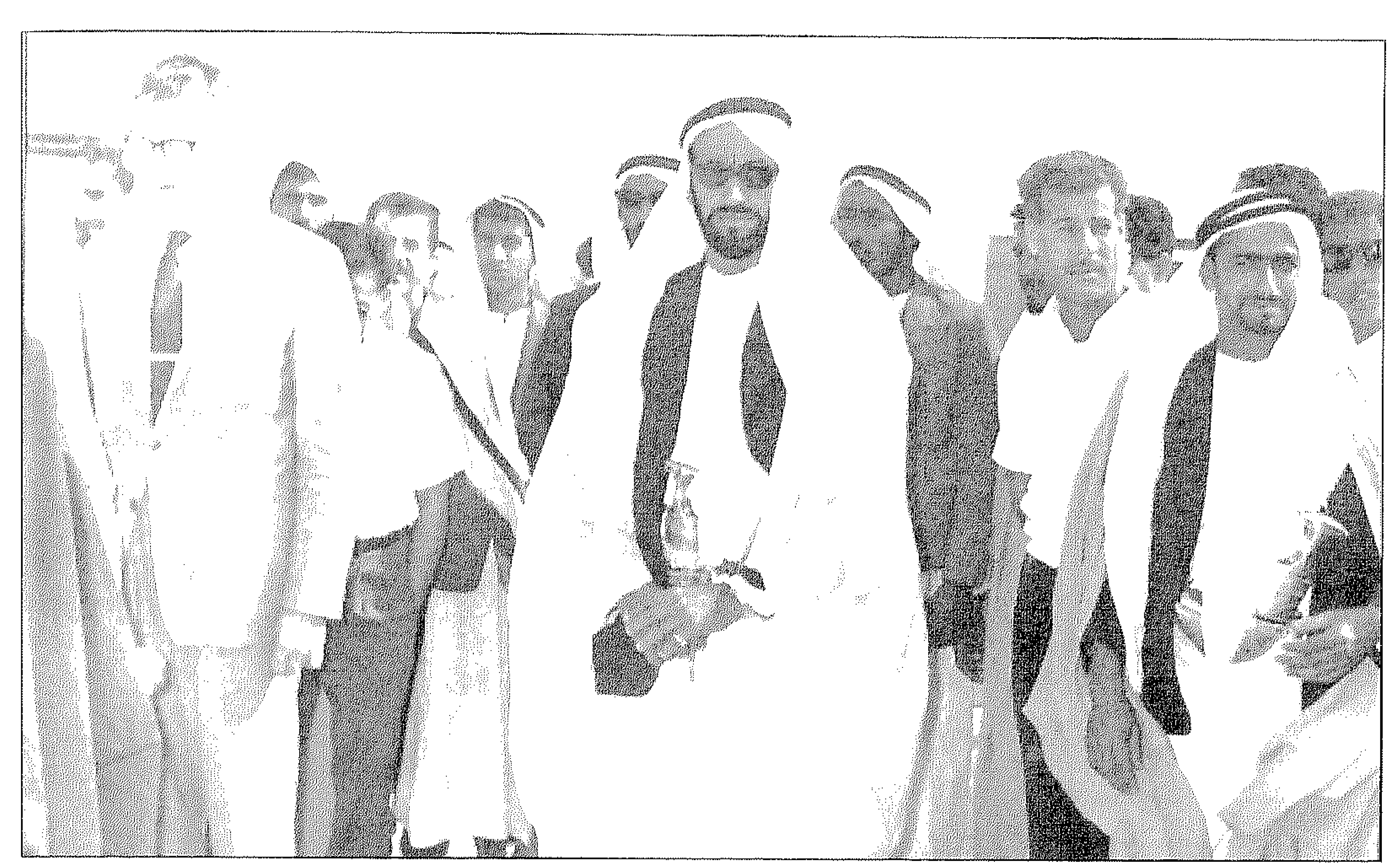
مقرها الرئيس في البحرين، وسرعان ما أنشأت هذه الشركة شركة أخرى وليدة سمّيت (شركة تطوير بترول الساحل المتصالح) برأسمال قدرة ١٠٠ ألف جنية إسترليني، وفي نوفمبر ١٩٣٥م نجحت الشركة الجديدة في الحصول على امتياز مدته عامين في كل من رأس الخيمة والشارقة وأبوظبي ودبي، وفي يناير ١٩٣٦م وافق شيخ عجمان بعد إلحاح، ولكن شيخ أم القيوين رفض بحجة أن ما قدم له من مال لم يكن مساوياً لما قدم إلى حاكم أبوظبي.

وقد وضعت بريطانيا شروطاً على الشركات لكي تمارس عمليات التنقيب في إمارات الساحل منها: أن يكون العاملون في منطقة الساحل المتصالح بريطانيون، وأن يلتزم فريق المسح بتعليمات المقيم السياسي البريطاني، وأن يعطي حاكم الإمارة التي ستعمل فيها فرق المسح ضماناً خطياً بمسؤوليته عن حماية الفريق، وضرورة الحصول على تصريح من الحكومة البريطانية قبل الدخول في مفاوضات مع الحاكم، وأن يتم الحصول على تصديق الحكومة البريطانية على الامتياز الذي تحصل علية الشركة.

أول الامتيازات في دبي

لقد كان أول امتياز نفطي خطفته الشركة الوليدة الجديدة في منطقة الساحل المتصالح كان في ٢٢ مايو ١٩٣٧م في إمارة دبي، حيث وقّع حاكم الإمارة الشيخ سعيد بن مكتوم (١٩١٢-١٩٥٨م) الاتفاقية مع هولمز مندوب الشركة بحضور هكنيوتام مندوب المعتمد السياسي في البحرين، وكانت مدة الاتفاقية ٧٥ عاماً، منحت التوقيع على الاتفاقية شيخ دبي مبلغ ٦٠ ألف روبية، وكان على الشركة أن تدفع له ٢٠٠ ألف روبية خلال ستين يوماً بعد العثور على البترول بكميات تجارية، وبالإضافة إلى هذا كان على الشركة أن تدفع سنوياً مبلغ ٣٠ ألف روبية، وتضمن دفع مبلغ لا يقلّ عن ٩٠ ألف روبية عند العثور على النفط، وتقرر أن يكون سعر النفط الخام ٣ روبيات لكل طن، وروبيتين لكل ألف قدم مكعب من الغاز الطبيعي، الذي سوف تقوم الشركة بإنتاجه وبيعه، كما حصل حاكم دبي على دخل آخر من جراء تأجير الأرض التي ستقيم عليها الشركة مبانيها، وقد أخبر هولمز الشيخ سعيد بأن الشركة سوف تفتح حساباً باسمه في البنك الشرقي بالبحرين لإيداع المبالغ، لعدم توفر خدمات البنوك في منطقة الساحل المتصالح بعد[٥].

وقد جاء نص الاتفاقية على النحو التالي «هذه هي اتفاقية معقودة في دبي، الجزيرة العربية، في الثاني والعشرين من مايو ١٩٣٧م، بين معالي الشيخ سعيد



الشيخ زايد يتفقد مرافق تصدير النفط

بن مكتوم آل حشر في ممارسته لصلاحياته كحاكم لدبي، الجزيرة العربية، أصالة عن نفسه ونيابة عن ورثته وخلفائه وباسمهم الذين تقع عليهم الآن أو في المستقبل مسؤولية السيطرة على إمارة دبي والتحكم بها كطرف، ومع شركة الامتيازات البترولية المحدودة، وهي شركة مسجلة في بريطانيا العظمى بموجب أحكام قانون الشركات لعام ١٩٢٩م، وحلفائها والمتنازل لهم عن حقوقها كطرف ثان».

إمارة الشارقة:

منح حاكم إمارة الشارقة في ١٧ ديسمبر ١٩٣٧م امتياز لتنقيب عن النفط لشركة الامتيازات البترولية المحدودة، والذي يغطي إمارة الشارقة بما فيها جميع الجزر والمياه الإقليمية باستثناء المنطقة التي يستخدمها سلاح الجو الملكي البريطاني، كما تنص على أنه لدى تحديد الحدود الإقليمية للإمارة مستقبلاً ستصبح المنطقة التي يغطيها الامتياز ذات حدود مشتركة مع الحدود التي سيجرى ترسيمها، ويستلم الحاكم دفعة سنوية قدرها ١٤٠ ألف روبية إلى حين اكتشاف النفط بكميات تجارية، والشركة ملزمة بموجب الجدول بمباشرة الحفر خلال تسع سنوات، مع حق تحويل الامتياز إلى شركة تطوير بترول الساحل المتصالح. في حين منح وصي كلبا امتياز التنقيب إلى شركة تطوير بترول الساحل المتصالح في ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨م، ويغطي الأراضي الخاضعة لحكومة كلبا ومياهها الإقليمية، ويحصل الحاكم مقابل التوقيع على دفعة سنوية قدرها ٢٤ ألف روبية إلى حين اكتشاف النفط بكميات تجارية[٦].

وفي ديسمبر ١٩٣٨م منح حاكم إمارة رأس الخيمة إذناً بالتنقيب إلى الشركة ذاتها لمدة سنتين ونصف السنة أولاً، ثم عدّل الإذن ومدّد إلى عام ١٩٤١م، مع حصول الحاكم على مبلغ وقدره ٣٥ ألف روبية سنوياً إلى حين اكتشاف النفط أيضاً.

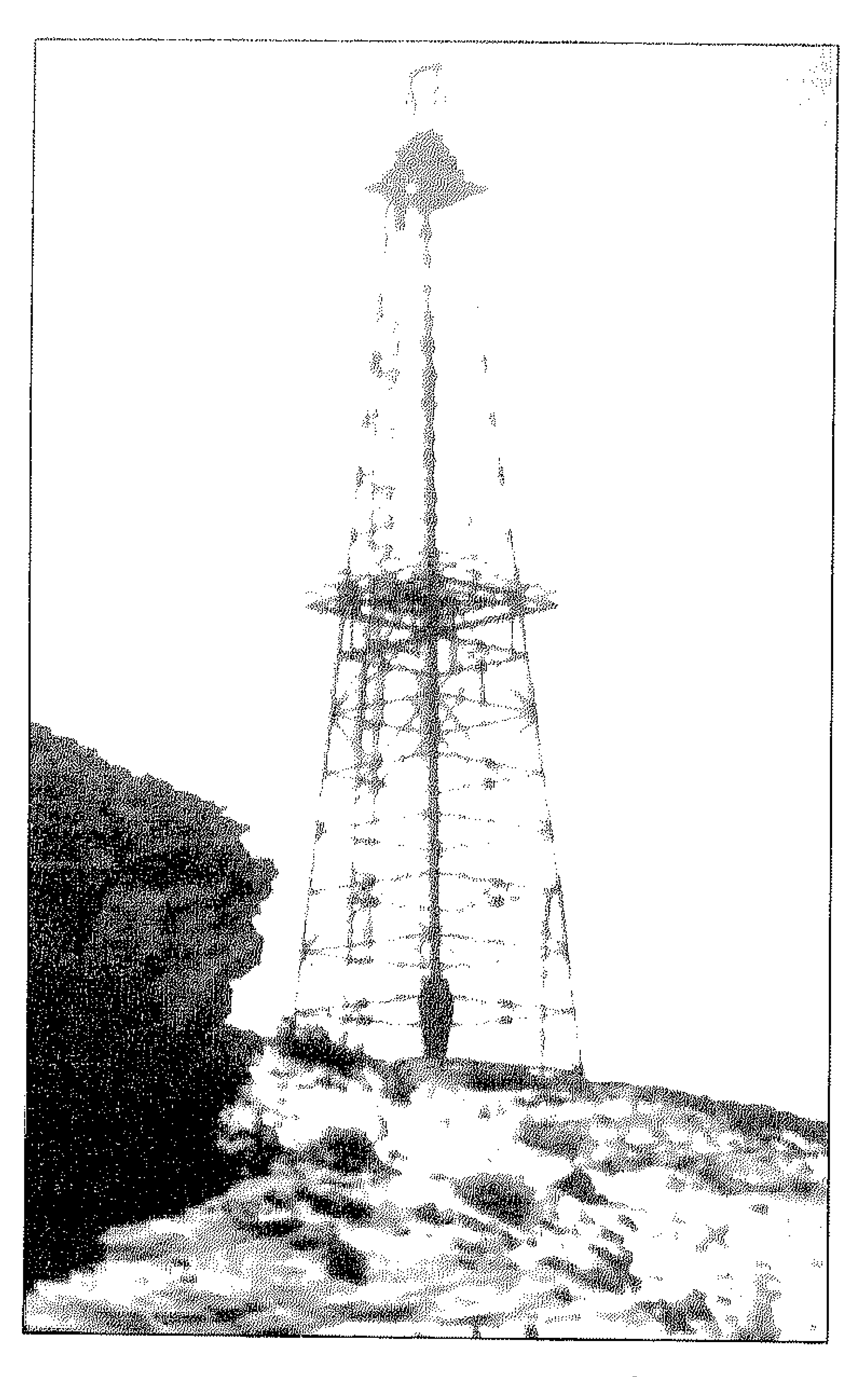
النفط في أبوظبي

طوال حقبة الثلاثينيات من القرن المنصرم، رفض الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي (١٩٢٨-١٩٦٦م) قبول التوصيات البريطانية على علاّتها حول نصوص امتياز التنقيب مع الإمارة والعقود مع شركات النفط، وكثيراً ما كان إصراره وتمسكه بموقفه يحقق له مصالح إمارته في نهاية المطاف، فلقد رفض الشيخ شخبوط بفطنته وبعد نظره التوقيع على العقد الأول الذي عرض عليه، إذ كان يعتقد أن البريطانيين يمكن أن يدفعوا أكثر من

المبلغ المنصوص عليه في العقد المذكور، حيث طالب بدفع مبلغ وقدرة ٤٧٥ ألف روبية كل عام بالإضافة إلى مبالغ نظير تأجير الأراضي للتنقيب وأن يكون له مندوب يمثله في لندن بمرتب ممتاز، وأن تبدأ أعمال التنقيب عن النفط فوراً وخلال عامين، غير أنه بسبب مساومته وإصراره على شروطه قد أثار استياء السلطات البريطانية، ما حدا بالمقيم السياسي الرائد فاول أن يمارس ضغوطاً كبيرة على الشيخ شخبوط، وفي غضون مفاوضات امتياز التنقيب اتهم الحاكم زوراً بالتقصير، كما رفض البريطانيون منحه تصريحات للقيام برحلات خارج حدود إمارة أبوظبي كأسلوب للضغط، ولكن مع تدخل الوسطاء من الحكام وإخوان الحاكم وبهدف اللحاق بالإمارات الأخرى الموقعة على اتفاقية التنقيب، فقد أنصت إلى صوت الإجماع بهدف أن يعمّ الخير الجميع ووافق الشيخ شخبوط على أفضل الاتفاقيات لإمارات الساحل في ١١ يناير ١٩٣٩م[٧]، حيث كانت مدة الامتياز ٧٥ عاماً من تاريخ الامتياز وتشمل كافة أقاليم أبوظبي من الجزر والمياه الإقليمية التابعة لها وحقوق أبوظبي في أي منطقة محايدة مجاورة لها يتفق عليها مستقبلاً، ودفع مبلغ قدره ٣٠٠ ألف روبية خلال ثلاثين يوماً من توقيع الاتفاقية، ومبلغ ١٠٠ ألف روبية في نهاية كل عام بعد توقيع الاتفاقية حتى تاريخ اكتشاف النفط بكميات تجارية، بالإضافة إلى مبلغ ٢٠٠ ألف روبية عند العثور على النفط بكميات تجارية، بحيث يدفع ٣ روبيات لكل طن من النفط المستخرج وبحد أدنى لمجموع الريع قدره ٢٥٠ ألف روبية عن العامين الأولين، ثم مبلغ ٥٠٠ ألف روبية عن كل عام يليه، كما حمل الاتفاق في طياته اشتراطاً على أنه لا يجوز لشركة النفط تنفيذ أية أعمال في المناطق المستعملة والمخصصة كالمساجد أو المباني ذات الأهمية الدينية أو المقابر. لقد أظهر تأخر الشيخ شخبوط في التوقيع على امتياز التنقيب الفطنة المترسخه لدى حكام إمارة أبوظبي من خلال تجارب الحكم، ومبدأ التشاور مع إخوانه الشيخ زايد والشيخ هزاع والشيخ خالد، حيث حصل على أعلى سقف من الشروط لصالح الإمارة وشعبه من شركات التنقيب عن النفط.

امتياز التنقيب في باقي الإمارات:

منح حاكم إمارة عجمان شركة تطوير بترول الساحل المتصالح حقوق التنقيب بالإمارة لمدة تصل إلى ست

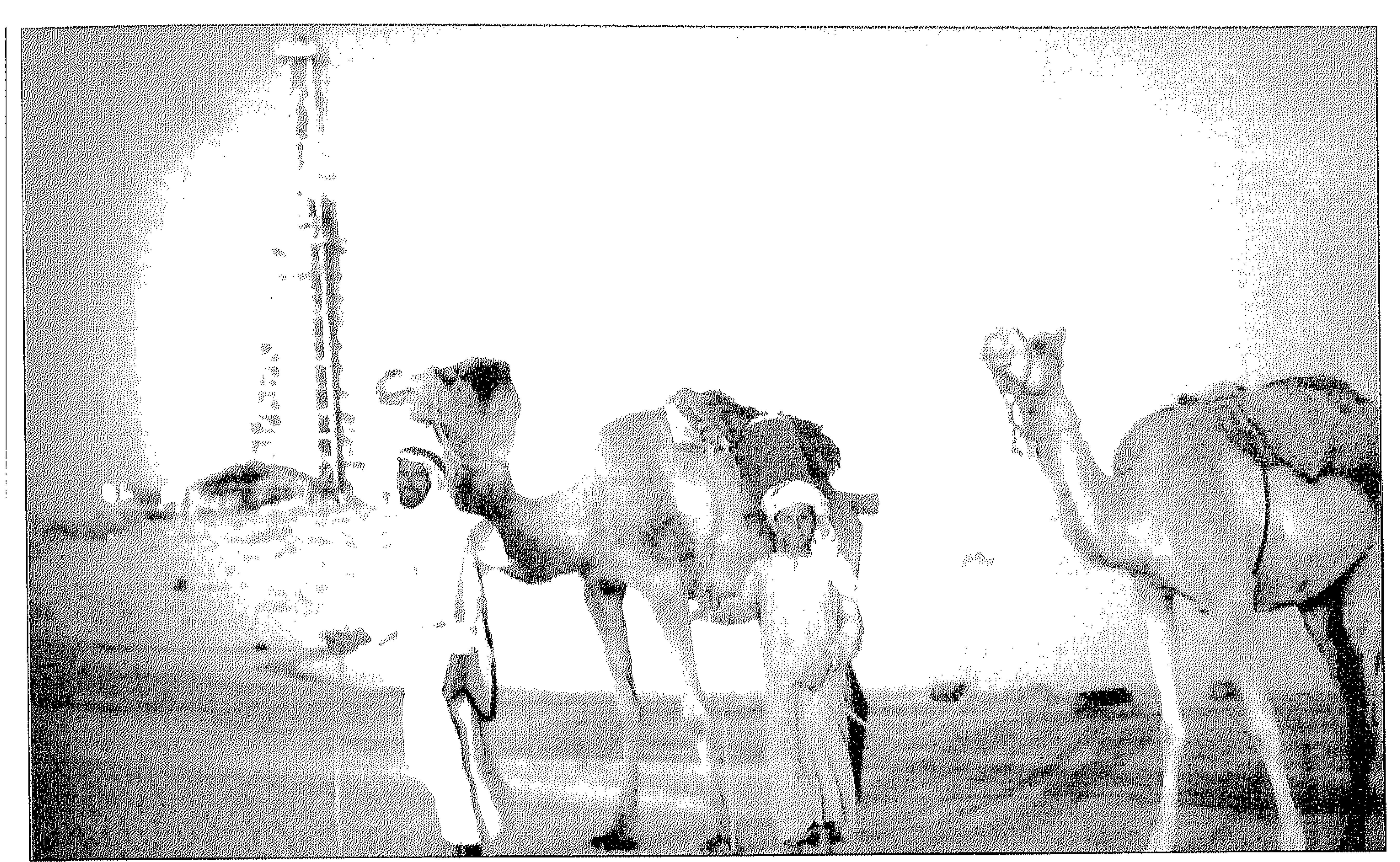


بئر «رأس صدر- ١» الذي حفر عام ١٩٥٠م

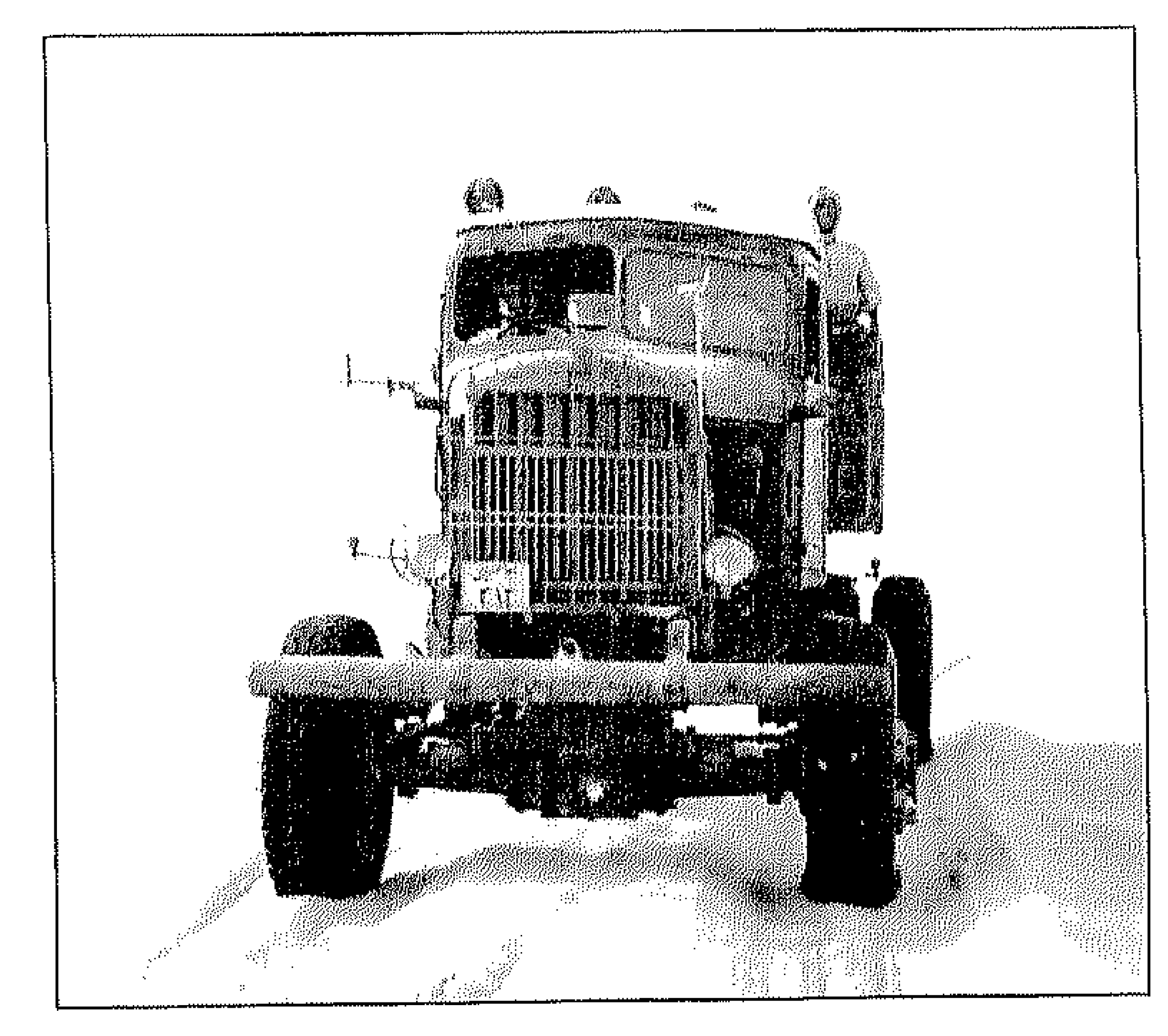
سنوات عام ١٩٣٩م، ويغطي الامتياز كامل أراضي الإمارة بما فيها المياه الإقليمية وقاع البحر، وتم تجديده بعد مضي ست سنوات ليصبح لمدة ٧٥ عاماً، مقابل دفعة أولى قيمتها ١٥٠ ألف روبية مع دفعة سنوية قدرها ٥٠ ألف روبية إلى حين اكتشاف النفط.

وفي آخر المطاف قام حاكم إمارة أم القيوين على الرغم من معارضته توقيع اتفاقية طويلة الأمد بالتوقيع اتفاقية التنقيب في ٢٠ مارس ١٩٤٥م، بحيث يتم دفع مبلغ سنوي قدره ٢٤ ألف روبية إلى حين اكتشاف النفط بكميات تجارية، وليس هنالك التزام من جانب الشركة بمباشرة أعمال الحفر ضمن مهلة محددة. وكانت إمارة الفجيرة في ذلك الوقت تتبع إمارة الشارقة، وبعد ظهورها عام ١٩٥١م وقّع حاكمها على اتفاق للتنقيب هو الآخر عام ١٩٥٣م بذات الشروط تقريباً.

فيما يتعلق بعقود النفط الأولى في إمارات الساحل المتصالح فقد كانت السلطات البريطانية تنوب عن شركات النفط البريطانية وتمثل مصالحها، وليس



بدوي وابنه يمران بالقرب من حقل باب عام ١٩٦٠م



شاحنة من طراز «سكاميل» تسير باتجاه حقل مربان

مصالح الإمارات المتصالحة، إلا أن شركات النفط بدأت تدفع مبالغ أصبحت دخلاً مهماً للحكام من أجل إدارة وتسيير الحكم بالإمارة، وكانت هذه المبالغ في حقيقة الأمر رسوماً غير مستردة مقابل منح هذه الشركات حق التنقيب عن النفط، مما أشعر حكام الساحل بالقوة الواعدة التي تكمن بين أيديهم لإدارة الحكم، في ظل مورد جديد وواعد بمستقبل مشرق لكافة شعوب المنطقة، وهو شعور انعكس نتيجة لاكتشاف النفط في دول الجوار بفترة زمنية عن إمارات الساحل، وظهر تأثيره الكبير والملموس على الحياة اليومية لتلك الشعوب والحكام.

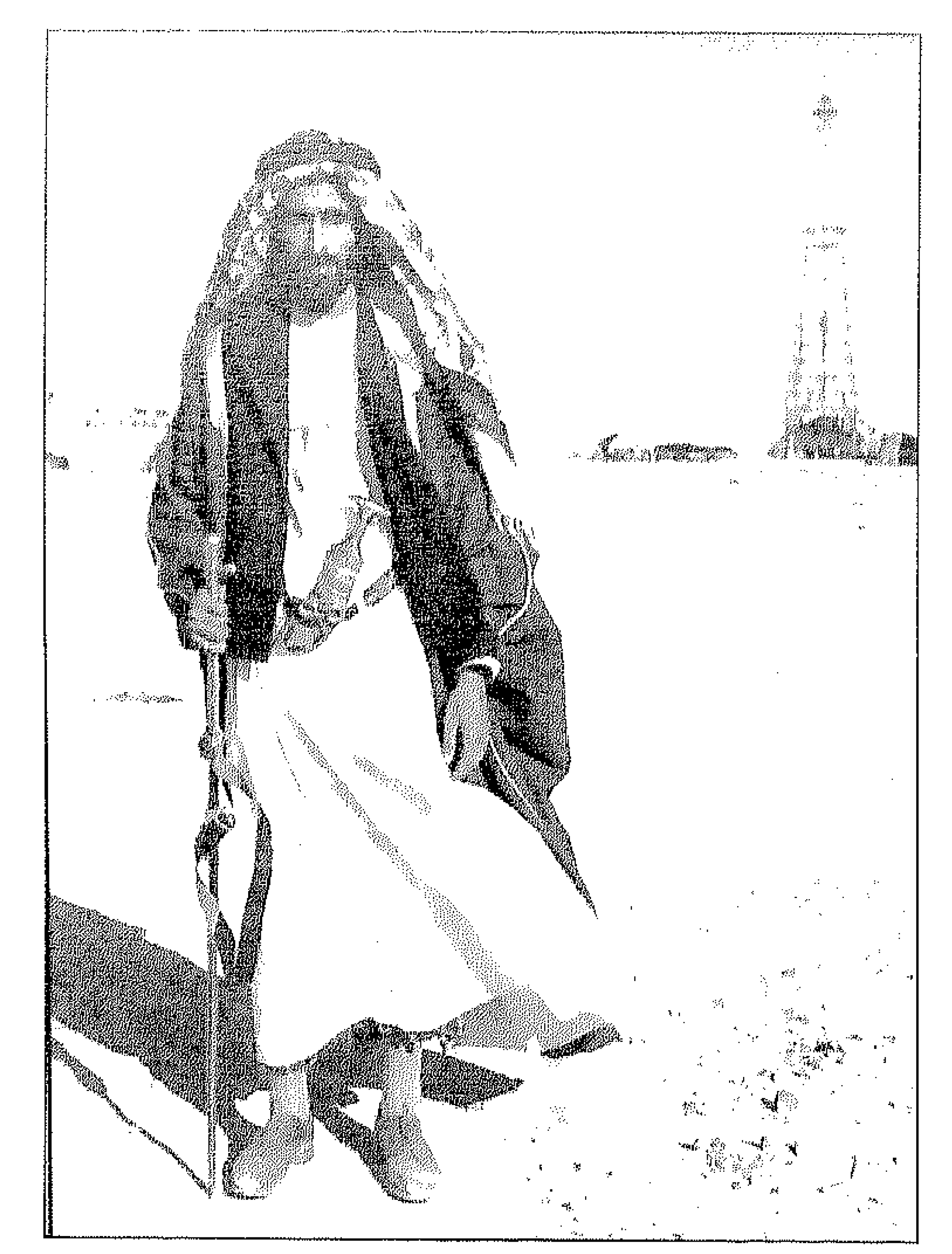
زايد وامتيازات التنقيب

لقد شكّل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الساعد الأيمن لأخيه الشيخ شخبوط «رحمهما الله» في إدارة دفة الحكم بإمارة أبوظبي، حيث كان يزجي له النصح والإرشاد والتوجيه الأخوي، ففي إمارة أبوظبي أبدى الشيخ شخبوط اهتماماً ملحوظاً بعمل فريق المسح والتنقيب، وكان يأمل بصفة خاصة أن تؤدي أبحاث الفريق الجيولوجي إلى اكتشاف مصادر للمياه العذبة في المناطق الصحراوية، بالإضافة إلى المهمة الرئيسة الملقاة على عاتق الفريق وهي التنقيب عن النفط، فإلى جانب زياراته إلى مواقع عمل الفريق في جبل حفيت، كلّف الشيخ شخبوط شقيقه الشيخ زايد، بمرافقة أعضاء الفريق في بعض رحلاتهم للاستفادة من معرفته الوثيقة بأساليب الحياة في الصحراء وسكانها من البدو، فعلى الرغم من أن الشيخ زايد كان في بداية العشرينات من عمره آنذاك، إلا أنه كان قد أظهر بالفعل قدرات متميزة أكسبته احتراماً واسع النطاق.

وكان من ضمن المهام التي نفذها الشيخ زايد في هذا المجال، قيامة في شتاء عام ١٩٣٦-١٩٣٧م بمرافقة

خبيرين جيولوجيين تابعين لشركة تطوير بترول الساحل المتصالح ومترجم و١٦ من البدو، في رحلة إلى غرب وجنوب غرب أبوظبي، وقد هيأت أمثال تلك الرحلات للشيخ زايد أول احتكاك له مع صناعة النفط، إذ تمكن سموه «يرحمه الله» من خلال تلك الرحلات والمحادثات التي كان يجريها مع ممثلي الشركة، أن ينمي للمرة الأولى رؤيته للمكاسب التي يمكن أن يجلبها اكتشاف النفط إلى إمارة أبوظبي وشعبها. وقد أثمر المسح الجيولوجي الأول عن امتياز كامل للتنقيب عن النفط في إمارات الساحل وفي أبوظبي على وجه الخصوص.

عند نهاية هذه السطور تكون الحرب العالمية الثانية قد تدافعت سحبها متطايرة لتنذر العالم بالجحيم الكبير من جراء الاقتتال في أرجاء المعمورة، والتي ألقت بظلالها على امتيازات التنقيب في منطقة إمارات الساحل، لتجبر شركات النفط على التوقف القسري إلى حين أن تضع الحرب أوزارها عام ١٩٤٥م لإعادة العمل باتفاقيات التنقيب عن الذهب الأسود.



الشيخ شخبوط يحضر حفر البئر الأول في أبوظبي

الهوامش:

١) بدأت المحاولات الأولى لاستكشاف النفط في منطقة الخليج في مارس ١٨٧٢م حيث أعطى الشاه ناصرالدين امتيازاً لرويتر للتنقيب عن المعادن بما في ذلك البترول لمدة ٧٥ عاماً.

٢) يعود تاريخ امتياز البترول في العراق إلى عام ١٩١٤م أي قبل ظهور جمهورية العراق بنحو ٧ أعوام، حيث أنشئت الشركة التركية البترولية برأسمال بريطاني ألماني عثماني.

٣) نص التعهد على «أتعهد بألاّ أباشر استثمار النفط في بلادي بنفسي أو قبول أي عرض من أي جهة دون استشارة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ومصادقة الحكومة البريطانية».

٤) مترجم للرحلة، وهو بريطاني عاش في العراق واعتنق الإسلام وكان على دراية باللغة العربية.

٥) انظر مجلة تراث العدد ٧٤ يناير ٢٠٠٥م لمزيد من المعلومات عن ظهور البنوك في منطقة الإمارات.

٦) ظهرت كلبا كإمارة مستقلة عن إمارة الشارقة بين عامي ١٩٣٦م، ١٩٥٢م.

٧) حيث وقع معه الاتفاقية السيد همسلي لونغريغ المدير العام لشركة تطوير بترول الساحل المتصالح المحدودة وهي شركة بريطانية مسجلة في لندن وتكون الاتفاق من ١٧ بنداً.

المراجع:

١- إبراهيم محمد شهداد: تطورات العلاقة بين شركات النفط ودول الخليج العربية منذ عقود الامتياز الأولى حتى عام ١٩٧٢م، مطابع الوطنية ١٩٨٥ قطر.

٢- جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الثالث، دار الفكر العربي ٢٠٠١م.

٣- عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة توثيقه دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ١٩٨٣م.

٤- عبدالقوي فهمي محمد، مشيخات الساحل العماني، رسالة دكتوارة غير منشورة، ١٩٨٨م.

٥- على محمد راشد: الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمان وبريطانيا ١٨٥٦-١٩٧١م اتحاد كتاب وأدباء الإمارات الشارقة، ٢٠٠٤م.

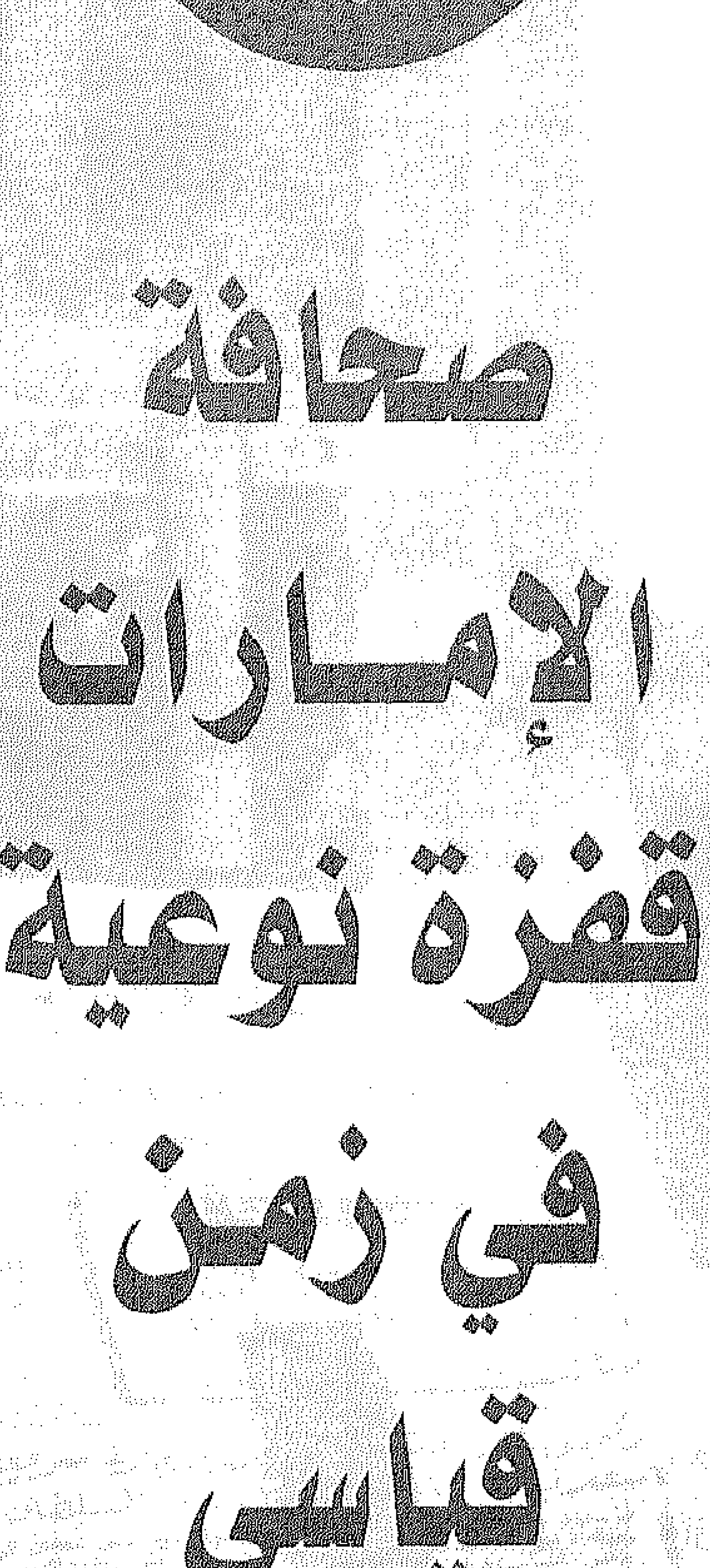
٦- مانع سعيد العتيبة: البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٠م.

٧- محمد مرسي عبدالله: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، در القلم ١٩٨١م.

٨- محمد مرسي عبدالله: تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مختارات من أهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧-١٩٦٥م، الجزء الأول والثاني، مركز لندن للدراسات العربية ١٩٩٧م.

٩- محمد فارس الفارس: الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ٢٠٠٠م.

١٠- أيام زمان في أبوظبي: تاريخ أدكو ١٩٣٦-١٩٧١، ٢٠٠١م.



بمناسبة ٢٠ أكتوبر:

صحافة الإمارات قفزة نوعية في زمن قياسي

في العشرين من شهر أكتوبر.. تحل ذكرى صدور جريدة الاتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة كأول جريدة رسمية.. وكان صدورها في البداية أسبوعياً.. والهدف منه تغطية نشاطات أبوظبي.. ومتابعة وتغطية مباحثات الاتحاد. وفي ٢٢ أبريل ١٩٧٢م تحوّلت إلى جريدة يومية.. ثم توالى صدور الصحف والمطبوعات في دولة الإمارات.

في هذا البحث يلقي سمير خليل محمد سلامة الضوء على نشأة الصحافة في دولة الإمارات العربية المتحدة من الناحية التاريخية.

سمير خليل محمد سلامة *

ترجع جذور الصحافة العربية إلى استيراد أولى المطابع في القرن السابع عشر عندما استورد لبنانيون سنة ١٦١٠م مطبعة للكتب الدينية إلى دير (مار قزحيا) في شمال لبنان لأنه بدون المطابع لا يمكن للصحف أن تأخذ طريقها إلى الانتشار والتداول، وبالتالي فوجود المطابع وتقدمها المطرد نحو التحسن هما أساس فكرة الصحافة الحديثة. وانطلقت الصحافة العربية الحديثة من مصر عام ١٧٩٩م عندما أنشأ نابليون بونابرت نشرة (الحوادث اليومية) لنشر أخبار مصر ولتبليغ الأوامر للمصريين. وأصدر والي مصر (محمد علي الكبير) العام ١٨٢٧م جريدة (جورنال الخديوي) التي تحوّلت إلى جريدة (الوقائع المصرية) في العام ١٨٢٨م وبدأت شمس الصحافة في الارتفاع في العالم العربي فظهرت في الجزائر وسوريا ولبنان وتونس وباقي الدول العربية تباعاً، ولكن الصحافة العربية انطلقت في بداياتها بهدف واحد هو تحرير الأمة من السلطة الغربية التي تسيطر على العالم العربي، ولم تخرج الصحافة الإماراتية منذ نشأتها عن هذا النهج بل سارت على الدرب بكل ثبات وثقة.

نشأة الصحافة الإماراتية

كان للهيمنة البريطانية على إمارات الساحل تأثير سلبي على مجمل الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لإمارات الساحل، وعملت بريطانيا على إضعاف قدرات مجتمعات الإمارات بإحكام السيطرة عليها وإخضاعها لإدارتها ومصالحها وفرضت عزلة قاسية عليها، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وخوفاً من انتشار الوعي والثقافة اللذين يهددان استقرار هيمنتها في المنطقة. واستمرت العزلة على ما هي عليه بل وزاد الوضع سوءاً بعد الحرب العالمية الثانية، ولم تعن بريطانيا بتطوير المجتمع أو تقديم رعاية ثقافية أو اجتماعية أو صحية، فكانت معدلات الأمية تتجاوز ٩٥٪. وقد اعترف بذلك جورج طومسون وزير الدولة البريطاني عقب زيارته للمنطقة لوزير الخارجية البريطانية عام ١٩٦٤م فقال: «على الرغم من تمتعنا لمدة ١٥٠ عاماً بوضع ممتاز في هذه الإمارات ظلت الحالة الاقتصادية في معظمها سيئة للغاية، ومن المؤكد أن هذه الإمارات لقيت في هذا الجانب معاملة أسوأ بكثير من بقية مستعمراتنا». ولقد ذكر هذا الاعتراف وزير الخارجية البريطاني في مذكرته التي قدمها للجنة سياسة الدفاع بمجلس الوزراء البريطاني بخصوص معونة الجامعة العربية عام ١٩٦٤م.

وعلى الرغم من هذا إلا أن الشعر الشعبي –الذي يطلق عليه (الشعر النبطي) والمستمد من اللغة العربية– شكّل أكثر وسائل الاتصال أهمية حينئذٍ في الإمارات، وكان عنصراً رئيساً في اتصال العرب ببعضهم وربطهم بثقافتهم، فكان يحتوي على كل مظاهر حياة القبيلة وأنشطتها خاصة غزواتها ومعاركها.

صحافة منذ خمسة قرون

ويرى الأديب عبد الغفار حسين، أحد رواد الصحافة الإماراتية، أن منشأ الصحافة وبداياتها في منطقة الخليج العربي يرجع إلى نحو خمسة قرون مضت، حيث كان ربابنة السفن يكتبون روزنامات يومية تتداول بينهم، وفي مقدمة من كتب هذه الروزنامات التي تشبه التقارير اليومية ابن رأس الخيمة الملاح شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي أتقن التحدث بعدة لغات حيث كان يسجل فيها يوميات رحلاته البحرية وأخبارها ويتناقلها ربابنة السفن الأخرى.

صحافة عربية

ولكن مجتمع الإمارات لم يعرف الصحافة إلا من خلال صحف أخرى دخلت إليه بدون ضجيج أو احتجاج من أحد، وقد حرص أبناء الإمارات خاصة الذين نالوا قسطاً من التعليم والثقافة على متابعتها لإدراكهم أهميتها في تنمية الوعي الثقافي، وكانت الصحف المصرية أولى هذه الصحف التي دخلت البلاد مع السفن المارة بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩م وانتعاش الحركة في الخليج وسواحله، بالإضافة إلى الصحف التي كانت تأتي من الموانئ القريبة من الإمارات مثل البصرة والبحرين وبومباي مع المسافرين، أو عبر الوكلاء المحليين مثل عيسى بن صالح القرق وعبد الله العلي الصانع، بالإضافة

* باحث في التاريخ والتراث

إلى الصحف التي كانت تأتي من بلاد الشام بعد إنشاء الخط الصحراوي بين دمشق وبغداد عام ١٩٢٤م، ومن زيارات أهل الفكر من أبناء العراق وسوريا ومصر لإمارات الساحل مثل الشيخ رشيد رضا وعبد العزيز الثعالبي. وقد حرص أبناء الإمارات على الاشتراك في هذه المجلات والصحف التي كانت تصل عبر البريد الذي بدأ خدماته في دبي عام ١٩١٢م، رغم أنها كانت تأتي متأخرة شهراً أو أكثر من تاريخ صدورها حسب ما ذكره السيد إبراهيم المدفع.

وبالإضافة إلى ما سبق كان هناك عاملان شهدهما مجتمع الإمارات وساهما في دخول الصحف العربية:

الأول: ازدهار اقتصاد إمارات الساحل في بداية القرن العشرين، وكانت نتيجته ما قام به المصلحون في الإمارات وهم تجار اللؤلؤ الذين أسسوا المدارس من مالهم الخاص مثل تاجر اللؤلؤ خلف بن عتيبة الذي أسس مدرسة في أبوظبي عام ١٩٠٣م، ومحمد بن أحمد بن دلموك تاجر اللؤلؤ الذي أسس المدرسة الأحمدية في دبي في العام نفسه وغيرهما من المدارس، فكانت ثمرة هذه المدارس البعثات العلمية التي انطلقت أولاها عام ١٩١٥م على يد الشيخ علي بن محمود صاحب أول مدرسة في الشارقة، فأوفد أول دفعة من الشباب لاستكمال دراستهم على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في قطر على حسابه الخاص، وكان منهم الشيخ مبارك بن سيف الناخي وابن منطقة المعيريض في رأس الخيمة الشيخ محمد بن سعيد بن غباش الذي أصبح أول خريج في الإمارات بعد أن أكمل تعليمه في الأزهر وعاد من مصر إلى الإمارات في سنة ١٩٢٢م، وهما وغيرهما من أعضاء البعثة سيكون لهم دور بارز في نشأة الصحافة الإماراتية كما سنرى لاحقاً.



عبد الله عمران

خالد محمد أحمد

الآخر: في أوائل الأربعينات من القرن الماضي بدأت النهضة بالكويت، وتأثرت بها الإمارات كنتيجة طبيعية لالتحام المجتمع الكويتي بالمجتمع الإماراتي جغرافياً وسياسياً واجتماعياً. لذلك تطلع إليها أبناء الإمارات كرائد في عمليات التحديث خاصة في مجال التعليم والثقافة، وتطلع أبناء الإمارات لتلقي العلم في الدول المجاورة، كما طلب حكام الإمارات المساعدة في مجال التعليم، فقدم إلى الإمارات معلمون من الكويت عام ١٩٥٣م، وذكر محمد بن حميد البسطي في مقابلة أجراها معه الباحث والإعلامي عبد الله عبد الرحمن أن ابن مدينة غزة الفلسطينية محمود الجعفراوي هو أول مدرس بعثته الكويت بعد اتصالات بين صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم الشارقة وحكومة الكويت. كما جاء المعلمون من مصر وغيرها عام ١٩٥٤م، وساعدت هذه الدول الطلبة الراغبين في مواصلة دراستهم، وكان من أوائل الخريجين الجامعيين من أبناء الإمارات معالي أحمد خليفة السويدي الذي حصل على إجازته العلمية عام ١٩٦٦م وعيّن رئيساً للديوان الأميري في أبوظبي عام ١٩٦٧م. ومع هؤلاء المعلمين الوافدين جاءت الصحف المصرية والكويتية وغيرها وقامت بوظائفها الإعلامية لأهل الإمارات.

سباق.. نحو الصحافة

ويذكر المؤرخ عمران بن سالم العويس في مقابلة أجراها معه عبد الله عبد الرحمن أنه في أوائل الخمسينات تأسست جمعية خيرية أهلية للمساهمة في دفع الحركة التعليمية والنهضة الاجتماعية إلى الأمام على يد مجموعة من المواطنين المقتدرين مثل سلطان بن علي العويس، وتريم عمران، وجمعة الماجد، ومحمد سعيد الملا وغيرهم، مما كان له تأثير كبير في

زيادة الوعي الثقافي بالإمارات وزيادة الإقبال على الصحف، حتى أن الحصول على الصحف التي كانت تصل إلى (المكتبة الأهلية) -أول مكتبة في دبي أسسها عبد الله الرستماني وأخوه عبد الواحد في بر دبي- كل أسبوع مسألة سبق خاصة «ذكر عبد الله علي الطابور في كتابه (تطور المؤسسات الإعلامية في دولة الإمارات وأثرها في التنمية الثقافية) أن أول مكتبة في الإمارات ظهرت في الشارقة عام ١٩٠٧م وأطلق عليها اسم (المكتبة التيمية المحمودية) وأسسها الشيخ علي بن محمود، والمكتبة (التيمية الثانية) التي أسسها السيد إبراهيم بن محمد المدفع، والمكتبة (القاسمية) التي أسسها صاحب السمو الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة».

ومن الصحف العربية التي كان يتلقفها أبناء الإمارات (العروة الوثقى) لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وصحف الرسالة والشورى والهلال من القاهرة، والأيام ومجلة (حبزبوز) الفكاهية السياسية من العراق، وأم القرى والإصلاح والمنهل والخليج العربي من المملكة السعودية، والمقتطف والشهاب والحياة من سورية، ومجلة الكويت من الكويت التي كان من أبرز المشتركين فيها الشيخ سعيد المكتوم من دبي، والشيخ محمد بن عبد السلام قاضي دبي، والشيخ عبد الله الحريفي من الشارقة، وإبراهيم حاجي أحمد بستكي من دبي، وهؤلاء وغيرهم ذكرت أسماؤهم في مخطوط باليد لعبد العزيز الرشيد صاحب المجلة، عبارة عن قائمة تحتوي على أسماء المشتركين فيها.

ولقد تعلق أبناء الإمارات بالصحافة رغم عدم صدورها في بلادهم، فكتبوا إلى صحف عربية وغير عربية، ومن الشخصيات الإماراتية التي كتبت للصحف العربية السيد عبد الله المانع الذي كان مراسلاً لمجلة (العرب) في الهند التي أصدرها عبد المنعم حسن العدوي قبل انفصال باكستان عن الهند. والشيخ محمد بن سعيد بن غباش الذي كان يكتب على شكل استفسارات لمجلة (منار الإسلام) التي كانت تصدر في مصر، والشيخ مبارك بن سيف الناخي الذي كان يكتب مقالات لها، وأحمد بن حسن. ومجلة (الكويت) التي نشرت قصائد للشاعر مبارك بن حمد العقيلي.

أول من اقتحم عالم الصحافة

ويذكر الدكتور محمد مرسي عبد الله أن مبارك الناخي كان يرسل أخبار ساحل الإمارات إلى مجلة (الفتح) التي كان يصدرها محب الدين الخطيب في القاهرة، وكان مبارك أيضاً يهاجم الإنجليز وسياساتهم ويرسل الأخبار إلى مسقط ومن هناك ترسل بالبريد. والطريف أن شركات الملاحة الإنجليزية كانت تقوم بمهمة التوصيل.

ومن الذين كانوا مشتركين في مجلة (الفتح) الشيخ سلطان بن شخبوط من أبوظبي، والشيخ سلطان بن سالم من رأس الخيمة، وإبراهيم المدفع من الشارقة، والشيخ مانع بن سهيل من دبي، وأحمد خلف العتيبة من أبوظبي وغيرهم ممن يمكن اعتبارهم، أو هم بالفعل، أول من اقتحم عالم الصحافة بحثاً عن الثقافة. إضافة إلى بعض التجار الذين كانوا يقرأون المجلة مع مجلة أخرى بعنوان (الثورة) كان يصدرها الفلسطيني محمد علي الطاهر الذي كان يعيش في مصر.

ومن الكتّاب المواطنين لمجلة (الرسالة) المصرية الأديب أحمد بن علي بن عويس شقيق المرحوم الشاعر سلطان العويس، والدكتور أحمد أمين المدني الذي كان يكتب لمجلة (الأديب) اللبنانية عندما كان طالباً في جامعة كيمبردج سنة ١٩٦٠م، كما كان المرحوم أحمد بن علي العويس يراسل مجلة (صوت البحرين)، ومجلة (الرسالة) المصرية حسبما ذكر السيد محمد القرق، والسيد أحمد بن سلطان بن سليم الذي كان يكتب لمجلة (الشباب) المصرية التي كان يصدرها محمد علي طاهر.

خلاف.. وفتوى

وهنا لا بد أن نذكر حادثة مهمة وقعت في دبي إثر دخول الصحف والمجلات المصورة إلى الإمارات وهي انقسام مثقفي دبي عام ١٩٣٠م إلى فريقين: الأول: اعترض على الانكباب على قراءة الجرائد والمجلات الأسبوعية إضافة إلى المجلات المصورة التي تنشر صور النساء، ورأوا أن الواجب الانصراف إلى مطالعة كتب السُّنّة والتفسير والفقه ليحصل الخير والتطور. أما الفريق الآخر فتلخص رأيه في أن الخير في الجرائد حتى وصل الأمر بينهم إلى مشاحنة وخلافات عنيفة تجاوزت الحدود كما ذكر عبد الله عبد

الرحمن. وعلى ذلك قام أحد المثقفين وهو الشيخ أحمد حسن بالكتابة إلى الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) يشرح فيها الخلاف ويطلب من الشيخ المشورة والإفتاء في الصواب والخطأ في الخلاف.

صحافة.. بخط اليد

ثم ظهرت الصحف في إمارات الساحل وكانت تكتب بخط اليد وتوزع على من يعرفون القراءة والكتابة. وتمثل رسالة السيد حسن بن عبد الرحمن المدفع الصادرة من الهند في ١٤ شوال من العام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) والمرسلة إلى ابن عمه السيد إبراهيم بن حمد بن عبد الله المدفع أول خيط يؤرخ لبداية العمل الصحفي في الإمارات.

فقد كان إبراهيم بن محمد المدفع يحرر صحيفة ويكتبها ويوزعها بنفسه وأسماها (عمان) وخصصها بأخبار المنطقة التي تشمل حالياً دولة الإمارات وسلطنة عُمان، وكانت توزع بين شيوخ الشارقة (أعضاء الأسرة الحاكمة) وعلى بعض الأصدقاء. وأشار المدفع في لقاء مع مجلة الأزمنة يوم ٩ يناير ٢٠٠٠م أنه كان يتتبع الأخبار في الصحف التي تصله ويقوم بعكسها في (عُمان). ولكن توقفت (عُمان) بعد عام واحد من صدورها لأسباب غير معروفة. ويذكر (بلال البدور) الأديب المعروف، الأمين العام لندوة الثقافة والعلوم في دبي، أن عدداً من الأدباء والشعراء شارك في تحرير (عُمان) مثل المؤرخ عبد الله بن صالح المطوع، وأحمد بن حديد، ومبارك بن سيف الناخي، وحميد بن عبد الله الكندي، وحمد بن عبد الرحمن المدفع.

وتذكر الرسالة الصادرة من الهند إلى السيد إبراهيم بن محمد بن عبد الله المدفع أنه كان يصدر صحيفة أخرى بجانب (عُمان) اسمها (العمود) وهي مجلة فكاهية كان متأثراً فيها بمجلة (حبزبوز) الفكاهية العراقية.

صحيفة النخي

ومن إمارة أبوظبي، ومدينة العين تحديداً، انطلقت في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي صحيفة باسم (النخي) كان يكتب أخبارها شخص يدعى مصبح بن عبيد الظاهري -الذي يعتبر أول وأقدم من مارس مهنة الصحافة في الإمارات- على ورق الأكياس حيث كان يمتلك دكاناً صغيراً في مدينة العين يقدم فيه المشروبات ويبيع النخي (الحمص) ويتطوع بقراءة الصحيفة لمن لا يجيد القراءة والكتابة، ويقال إنه كان يقوم بذلك ليجتذب الناس لدكانه الذي كان يعاني من الكساد في العشرينات، ويدعم هذا الرأي الحالة الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها الإمارات في تلك الفترة، ولكن عندما بدأ الظاهري في التورط بكتابة أخبار سياسية تناقلتها إحدى صحف البحرين أصبح قلقاً من احتمال لجوء البريطانيين إلى وضع العراقيل أمام نشاطه التجاري، فقرر في أواخر الثلاثينات إيقاف إصدار (النخي). ويقول مصبح بن عبيد الظاهري: «أنا أول من أدخل الصحافة إلى العين. لا أعرف مصدر هذه الهواية إلا أنني وجدت أكياس الورق التي أضع فيها التسالي بيضاء، ومن هنا جاءتني فكرة أن أكتب تحياتي على هذه الأوراق لكل من يشتري، ثم تطورت إلى السؤال عن الأهل والأولاد، ثم إلى كتابة صحيفة متخصصة ضمنتها أخبار الحوادث وجرائم قطاع الطرق وأخبار المواليد والأعراس، وأخبار الوفيات وغيرها من الأخبار الاجتماعية، وكنت أنظمها بشكل جميل واضح، كل خبر حسب أهميته، فالخبر الرئيس كان عن نشاط الحاكم ثم أخبار القبائل وإحصائية يومية بعدد القادمين والمغادرين من مدينة العين وإليها».

ويتضح مما سبق أن الإمارات عرفت الصحافة الأهلية قبل الحكومية وأن (النخي) تعتبر أول نشرة إعلانية في الإمارات.

وفي عام ١٩٣٣م عاد مرة أخرى إبراهيم بن محمد المدفع وأصدر مع بعض الشباب من دبي والشارقة نشرة يومية كانوا يكتبونها بخط اليد بمعونة من شباب البحرين وسمّوها (صوت العصافير) وكتابها من المواطنين مثل حسن المدفع ومحمد الشرفا، ومن الخليجيين مثل عبد الله الصانع من الكويت، وعبد الرحمن المعاودة من البحرين. وكان إبراهيم بن محمد المدفع يقوم بتعليق (صوت العصافير) على باب مجلسه ليقرأها المارة، ورداً على هذه النشرة التي كانت تنتقد الأوضاع بأسلوب لاذع وتهاجم التدخل الأجنبي الذي كان يعمل على تثبيت أقدامه في الشارقة عام ١٩٣٨م أصدر جاسم الكضماوي ممثل دار الاعتماد نشرة أخرى تكتب باليد أو بالآلة الكاتبة، وأصبحت (صوت العصافير) أقرب إلى الصحف السرية.

العلم نور

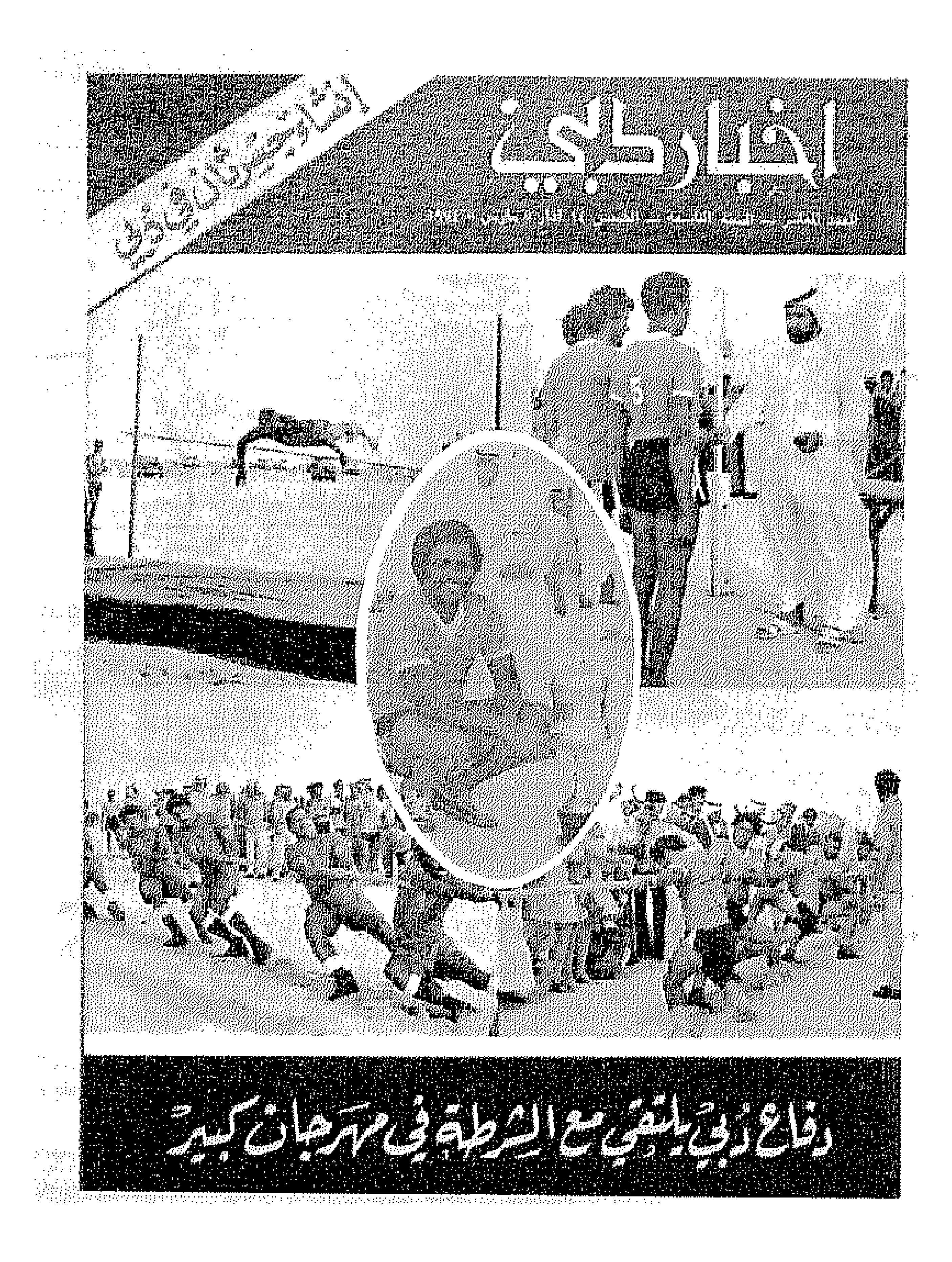
ولا بد من الإشارة هنا إلى مجلة (الاتحاد البريدي) التي صدرت عام ١٩٥٥م، ومجلة (العلم نور) التي صدرت كأول مجلة نسائية مدرسية في الشارقة عام ١٩٦٢م، ودخلت أول مطبعة إلى الإمارات عام ١٩٥٨م على يد محمد الرضوان في دبي، وقد طوى إنشاؤها صفحة من تاريخ صحافة الإمارات التي كانت تكتب باليد وفتحت صفحة جديدة ساعدت على انتشار الصحف في الإمارات وتداولها.

الديار

وفي عام ١٩٦١م أصدر حميد بن ناصر العويس وعبد الله بن سالم العمران وعلي محمد الشرفا نشرة تسمى (الديار)، وكانت تطبع بالاستنسل، إلا أن بلال البدور ذكر أنه في أوائل الستينات أصدر كل من حميد بن ناصر العويس وعلي محمد الشرفا، وعبد الله بن سالم العمران نشرة سميت (الديار العمانية) كان سكرتيرها معالي علي بن محمد الشرفا، يتولى إخراجها وطباعتها ونسخها في منزله، وكانت تتناول قضايا المنطقة وتدعو إلى توحيد أجزاء الخليج في كيان موحد وإلى معالجة القضايا الملحة، وقد صدرت حسب تاريخ العدد الثاني منها في عام ١٩٦٤م وكانت نصف شهرية، ويتضح من العدد الرابع منها أنها كانت تصدر من النادي الشرقي بالشارقة أحد الأندية التي كانت قائمة في ذلك الوقت والذي اندمج مع النادي العُماني ليكونا نادي الشعب حالياً، ومن كتابها حسن بن عبد الله النومان والمؤرخ عمران بن سالم العويس، بالإضافة إلى بعض المواطنين الذين كانوا يكتبون بأسماء مستعارة مثل (المواطن –مواطن من أم القيوين – ابن الساحل) ومن الجدير بالذكر أيضاً أن (الديار العُمانية) كانت تحتوي على الكاريكاتير.

أخبار دبي

وفي عام ١٩٦٥م فكّر أمين صقر مدير مكتبة دبي (مصري الجنسية) في أن تصدر بلدية دبي نشرة أسبوعية تهتم بأخبار البلدية وتسمى (مجلة أخبار دبي) وبعد إجازة اقتراحه تولى هو تحريرها، واستمرت حتى مارس ١٩٨٠ لتفسح المجال لإصدار جريدة (البيان) كما سيأتي فيما بعد، ولكن (أخبار دبي) كانت أول مطبوعة دورية في الإمارات بالمعنى المطلق لكلمة مطبوعة، وأسهمت في إبراز عدد من



الكتاب المواطنين الذين كانوا يكتبون فيها بصفة دائمة أو شبه دائمة مثل عبد الغفار حسين، والدكتور أحمد أمين المدني، وموزة سالم، ومريم المنصوري وغيرهم، بالإضافة إلى بعض الأقلام العربية من مدرسين وعلماء وغيرهم، وأعادت نشر بعض الأعمال الأدبية للأدباء العرب مثل نجيب محفوظ، ونزار قباني، وفدوى طوقان.

اليقظة

كما أصدر نادي العروبة في أوائل الستينات والذي أُقيم على أنقاض النادي الثقافي الرياضي بجهود (صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة) الطالب آنذاك مجلة غير دورية تعنى بالشباب اسمها (اليقظة) ولكنها توقفت بعد ثلاث سنوات بسبب قلة الموارد المالية، وكانت تطبع بدبي في مطابع خليفة النابودة.

– وفي أبريل عام ١٩٦٨م صدرت (الجريدة الرسمية) بأبوظبي، وفي يونيو من نفس العام صدرت (أخبار رأس الخيمة)، ولكن عبد الله الطابور يذكر في كتابه (تطور المؤسسات الإعلامية في دولة الإمارات وأثرها في الحياة الثقافية) أن (أخبار رأس الخيمة) صدرت في عام ١٩٦٩م وتحوّل اسمها إلى (مجلة

رأس الخيمة) بإشراف المرحوم سيف بن سعيد بن غباش، وسيف الجروان، وبعض المثقفين.

الاتحاد

– وفي ٢٠ أكتوبر عام ١٩٦٩م صدرت لأول مرة جريدة (الاتحاد) قبل يوم واحد من وصول حكام الإمارات إلى مدينة أبوظبي لعقد اجتماعهم الخامس من أجل بحث أسس قيام الاتحاد المنشود، وكان يشرف عليها عدد من موظفي دائرة الإعلام بإمارة أبوظبي على رأسهم المرحوم عبد الله الطائي وكيل وزارة الإعلام بالإمارة آنذاك، ويعاونه عبد الله النويس وزكي نسيبة، وصدرت (الاتحاد) في أول الأمر أسبوعياً، وكانت تطبع في بيروت لعدم وجود مطابع صحفية بأبوظبي في ذلك الوقت حتى عام ١٩٧٢م وتوزع مجاناً، وتحوّلت إلى جريدة يومية في ٢٢ أبريل عام ١٩٧٢م، وانفصلت عن دائرة إعلام أبوظبي قبل قيام دولة الإمارات، وتبعت وزارة الإعلام بعد قيام الاتحاد، ثم انفصلت عنها في عام ١٩٧٧م لتكون مؤسسة مستقلة هي (مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر)، ويرأس تحريرها خالد محمد أحمد.

– وفي شهر مايو ١٩٧٠م أسست دائرة الإعلام في أبوظبي صحيفة تصدر أسبوعياً باللغة الإنجليزية من أربع صفحات وأُطلق عليها اسم (أخبار أبوظبي) (ABU DHABI NEWS)، وكأخواتها كانت تطبع في بيروت حتى عام ١٩٧٢م حيث بدأت تطبع في أبوظبي، وفي عام ١٩٧٣م غيّرت اسمها إلى (UNITED EMIRATES NEWS) وغيّرته مرة أخرى إلى (EMIRATES NEWS) وتحوّلت إلى يومية في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٥م وهي متوقفة عن الصدور حالياً.

– وفي يوليو عام ١٩٧٠م صدر العدد الأول من مجلة (الشروق) التي كانت تصدر شهرياً وتطبع في الكويت فاتحة صفحاتها لكتّاب وأدباء وفنانين بدأوا حروفهم الأولى من أمثال علي محمد راشد، ونورة سالم الشامسي، وعبد العزيز علي العويس، ولكن لأن (لسانها طويل) حسب وصف المعتمد البريطاني وبناءً على ضغوط منه، فقد توقفت بعد عام من بدء الإصدار ثم عادت لتشرق من جديد في يوم ٢٧ نوفمبر عام ١٩٨٠م.

الخليج

– وفي يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠م صدرت صحيفة



الاتحاد

مرحباً برواد الاتحاد

عظمة حاكم أبوظبي يأمل بأن يقوم الاتحاد قبل نهاية السنة
ويقول إن اتحاد الإمارات هو توفير الأمان والاطمئنان في الخليج

(الخليج) التي تعتبر أول صحيفة تصدر عن مؤسسة أهلية في الإمارات أسسها الأخوان تريم وعبد الله عمران –اللذان كانا قد تخرجا لتوّهما من جامعة القاهرة– كصحيفة يومية لتلاحق الأحداث الجارية بسرعة جارفة، وكانت تطبع في الكويت لعدة أسباب منها وجود الإمكانيات هناك، بالإضافة إلى وجود صداقات لأصحاب (الخليج) مع الكويتيين. ونظراً لاتجاه الصحيفة نحو وحدة الخليج العربي وكشف نوايا شاه إيران وبريطانيا في المنطقة صادرها وليم لويس المعتمد البريطاني ومنع توزيعها أكثر من مرة، وكان يتم توزيع (الخليج) بعد عمل الترتيبات اللازمة لوصولها من الكويت في يوم صدورها على عدد من البيوت في الشارقة وغيرها من موظفين وتجار ومدرسين وأطباء وتوقفت (الخليج) في فبراير عام ١٩٧٢م عن الصدور لأسباب مالية وتقنية وسياسية خاصة من المعتمد البريطاني، ولانشغال مالكيها في الحياة السياسية الوطنية، حيث أصبح عبد الله عمران وزيراً للتعليم في الحكومة الاتحادية وأخوه تريم كان أول سفير للدولة في مصر وممثل الدولة في جامعة الدول العربية.

ثم أُعيد إصدار (الخليج) في ٥ أبريل ١٩٨٠م، ولكن بطباعة إماراتية هذه المرة وليس كويتية، وعادت معها




الخليج

إعلان دولة الإمارات العربية

زايد رئيس للاتحاد

راشد نائب للرئيس

ومكتوم بن راشد رئيس للوزراء

بإجماع الأصوات... وامتناع أمريكا

مجلس الأمن يدين قرار الإبعاد

ويطالب إسرائيل بإعادة الزعماء الثلاثة

الشارقة.. بطل الكأس

مرة أخرى الشكوى والاحتجاجات، ولكن هذه المرة من إيران والولايات المتحدة الأمريكية، فحدثت المواجهات ومن أشدها الرسالة المؤرخة بـ ١١ فبراير عام ١٩٨٤م التي وجهتها السفارة الأمريكية إلى السيد راشد عمران رئيس تحرير (الخليج) المدير العام المسؤول واعتبرت فيها أن ما تنشره (الخليج) نوع من العداء للولايات المتحدة، وتدخل اتحاد الصحفيين العرب إلى جانب الصحيفة وأعلن مساندته لها ولحقّها وحريتها في التعبير. كما وجهت بعض الدول العربية انتقادات لـ (الخليج) أيام الحرب العراقية الإيرانية لأنها حسب ذكر هذه الدول تتناول أخبارها ولكنها تركز على السلبية منها فقط.

– ومن الصحف التي صدرت في السبعينات من القرن الماضي بالإمارات جريدة (الوحدة) التي صدرت عن مؤسسة الظفرة للطباعة الأهلية في ٦ أغسطس ١٩٧٣م كصحيفة أسبوعية، ثم تحولت بعد شهر من صدورها إلى جريدة يومية ويملكها السيد راشد عويضة. وجريدة (الفجر) كان يملكها السيد راشد عبد الله وكانت أسبوعية منذ صدورها في ٧ مارس عام ١٩٧٥م حتى تحولت إلى يومية عام ١٩٧٨م، وجريدة صوت الأمة لصاحبها أحمد سلطان الجابر، وجريدة (الوثبة) لصاحبها محمد ماجد السويدي، بالإضافة إلى عدد من المجلات التي تتبع الأندية والمؤسسات والوزارات.

البيان

– وفي ١٠ مايو ١٩٨٠م صدر العدد الأول من الصحيفة اليومية (البيان) لتصبح الصحيفة الخامسة الناطقة باللغة العربية التي تصدر في الإمارات، وأصدرت دائرة إعلام دبي قراراً بتحويل العاملين في (أخبار دبي) لصحيفة (البيان). وقد اختلف حول سبب تسميتها بـ (البيان) ولكن المرجح أن المسمى مقصود به البلاغ وقول الحق وإبلاغ الحقيقة للناس.

– وفي عام ١٩٧٨م تأسست صحيفة (الخليج تايمز) الصادرة بالإنجليزية من دبي.

– وفي عام ١٩٨٦م أصدرت دبي صحيفة إنجليزية أخرى هي (الجلف نيوز).

– وفي إبريل عام ١٩٩٦م صدرت في الشارقة صحيفة يومية (ذي جلف توداي) (THE GULF TODAY) وهي الشقيقة لصحيفة (الخليج).

– وفي ديسمبر عام ٢٠٠١م صدرت صحيفة يومية أخرى وهي (أخبار العرب).

صحافة إعلانية

– كما بدأ في عام ٢٠٠١م ظهور صحف إعلانية متخصصة في الإمارات مثل (الوسيط)، و(الوسيلة)،

و(الأوائل).

- وبالنسبة للمجلات التي تعتبر من الوسائل الصحفية الهامة لأنها تأخذ من الكتاب عمقه ومن الصحيفة تنوع مادة التحرير فيها، فقد صدر عدد كبير منها أسبوعي عام ومتخصص، ولكن نسبة كبيرة منها توقفت عن الصدور بعد فترة بسيطة مثل مجلتي (أخبار البترول والصناعة)، و(الشرطة والأمن العام) في عام ١٩٧٠م، وفي عام ١٩٧١م صدرت مجلة (الإعمار)، ومجلة (درع الوطن) اللتان لا تزالان مستمرتين حتى يومنا هذا، وصدرت في ديسمبر ١٩٧١م (الجريدة الرسمية) للإمارات مع قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وأصدرت جمعية النهضة النسائية بأم القيوين في عام ١٩٧٣م مجلة نسائية نصف حولية سميت مجلة (العهد الجديد) وترأست تحريرها الشيخة مريم المعلا، وصدرت مجلة (الظفرة) في ٢٦ يناير عام ١٩٧٤م كمجلة عربية جامعة، وفي عام ١٩٧٨م أصدرت اللجنة الثقافية بجمعية الاتحاد النسائي في الشارقة مجلة فصلية أطلق عليها اسم (صوت المرأة)، وأشرفت على تحريرها (عائشة المدفع). كما صدرت مجلة (هي) في يناير عام ١٩٧٨م، وهي مجلة نسائية ثم توقفت وعادت للصدور شهرياً بشكل مؤقت في النصف الثاني لعام ١٩٧٨م، وانتظمت في الصدور شهرياً عن مؤسسة الوحدة. وفي ٣١ مارس ١٩٧٩م صدرت مجلة (زهرة الخليج) النسائية الأسبوعية عن مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، وفي ٢٨ فبراير عام ١٩٧٩م أصدرت مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر مجلة أسبوعية للأطفال باسم (ماجد). كما صدرت في يوم ٨ مارس عام ١٩٧٩م في الشارقة مجلة أسبوعية سياسية باسم (الأزمنة العربية)، وفي عام ١٩٧٩م أيضاً صدرت مجلة الشروق عن دار الخليج للطباعة والنشر وتوقفت بعد إصدار ١٢ عدد منها لتعاود الصدور في ٩ أبريل ١٩٩٢م، كما صدرت عن دار الخليج مجلة (كل الأسرة) الأسبوعية في ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣م، و(مجلة الأذكياء) في ٩ أبريل ١٩٩٦م، وصدر في ٤ أبريل ١٩٩٩م العدد الأول من مجلة (الصدى) الأسبوعية في دبي. وغير ما سبق كثير جداً من المجلات والدوريات العامة (أخبار الخليج المصورة - يناير ١٩٧٤م أسبوعية بالشارقة) ومنها الذي يهتم بمجالات محددة مثل الاقتصاد (آفاق اقتصادية - يناير ١٩٨٠ فصلية من اتحاد غرف التجارة والصناعة في أبوظبي)، والرياضة (السيارة العربية ١٩٨٨م شهرية من دبي)، والشباب (كشافة الإمارات - ديسمبر ١٩٨٩م فصلية من أبوظبي)، والتربية والتعليم (إقرأ - فبراير ١٩٨٤م من دبي)، والمرأة والأسرة (درة الإمارات - أكتوبر ١٩٩٠م شهرية تصدر عن جمعية نهضة المرأة الظبيانية)، والقانون (الجريدة الرسمية لدولة الإمارات - ١٩٧١م شهرية تصدر من وزارة الدولة لشؤون مجلس الوزراء)، والدين (درع الإسلام - يناير ١٩٨٨م فصلية من مديرية التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة)، والفنون (القافلة - ١٩٧٧م فصلية عن جمعية الفنون الشعبية)، والبلديات (بلدية العين - يونيو ١٩٨٦م شهرية من بلدية العين توقفت وعادت للصدور عام ١٩٨٨م)، والأدب والفكر (المنتدى - أغسطس ١٩٨٣م شهرية تصدر عن نادي دبي الأدبي في دبي)، والإحصاء (الكتاب الإحصائي السنوي ١٩٦٨م لدائرة التخطيط بأبوظبي)، والطيران المدني (مطار أبوظبي ١٩٨٨م، فصلية عن إدارة الطيران المدني بأبوظبي باللغتين العربية والإنجليزية)، والسياسة (الدبلوماسي - ١٩٨٠م فصلية من وزارة الخارجية)، والشرطة والأمن (الشرطة - ١٩٧١م شهرية من إدارة العلاقات العامة بوزارة الداخلية في أبوظبي)، والعلوم البحتة (نشرة جماعة التاريخ الطبيعي - ١٩٧٧م فصلية من أبوظبي باللغتين العربية والإنجليزية)، والعلوم التطبيقية (منبر التمريض - ١٩٨٧م شهرية من مدرسة التمريض في أبوظبي)، والمجال العسكري (درع الوطن - أغسطس ١٩٧١م شهرية من مديرية التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة في أبوظبي)، والهندسة (المهندس - ١٩٨٣م سنوية من الجمعية الهندسية بكلية الهندسة جامعة الإمارات)، والاجتماع (شؤون اجتماعية - ١٩٨٤م فصلية من الشارقة)، والإدارة (الإدارة والتنمية - ديسمبر ١٩٨٩م شهرية من أبوظبي)، والتاريخ (وثائق ووقائع دولة الإمارات - ١٩٧٢م سنوية من أبوظبي)، والإسكان (الإعمار - ١٩٧١م شهرية عن دائرة الإعلام بوزارة الأشغال العامة والإسكان في أبوظبي)، والأطفال (ماجد - ١٩٧٩م أسبوعية من أبوظبي)، والمعاقين (المنال - مايو ١٩٨٧م شهرية من مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية)، والآثار (الآثار في دولة الإمارات - ١٩٧٦م غير منتظمة من إدارة الآثار والسياحة في العين)، والبريد (الاتحاد البريدي

العربي - ١٩٥٥م ربع سنوية في دبي، وكانت تصدر في بداية الأمر في القاهرة)، والزراعة (مجلة الإمارات للعلوم الزراعية - مايو ١٩٨٩، سنوية من كلية الزراعة بجامعة الإمارات)، والسياحة (مجلة السياحة - ديسمبر ١٩٧٥م نصف سنوية عن إدارة الآثار السياحية في العين)، والحاسب الآلي (الكمبيوتر والتكنولوجيا - ديسمبر ١٩٩١م شهرية من أبوظبي)، والديكور (بيت الإمارات - ١٩٨٧م فصلية من الشارقة)، والمجال البحري (المجلة البحرية - مارس ١٩٨١م فصلية من الشارقة).

وفي الختام لا بد أن ننوه بما يلي:

- ذكر الأستاذ المرحوم تريم عمران، في حوار أجرته معه مجلة (الرافد) في يناير ١٩٩٤م حول بدايات الصحافة في الإمارات، «أن الاتجاه إلى الصحافة كان يأتي في سياق (مفهوم رسولي) أي أن مفهوم (الرسالة) طغى تماماً على العناصر الأخرى المكونة للعملية الإعلامية بمفهومها السائد اليوم».

- ذكر عبد الرحمن أنه وجدت نسخة أصلية من العدد الأول لجريدة (الأهرام) المصرية الصادرة يوم السبت ٥ أغسطس عام ١٨٧٦م محفوظة في أرشيف الشاعر والأديب المعروف باسم سالم بن علي العويس المتوفى في أواخر الخمسينات والذي يعتبر من طلائع المثقفين في الإمارات.

نتائج

نستنتج مما سبق:

«أ» أن الصحافة في الإمارات مرت بثلاث فترات أو مراحل هي:

١- مرحلة ما قبل الصحف الإماراتية التي يمكن أن نقول إنها تبدأ بحفر قناة السويس عام ١٨٦٩م وتمتد حتى أواخر العشرينات ومطلع الثلاثينات من القرن العشرين.

٢- مرحلة الصحف الإماراتية الأولية أو البدائية، وتبدأ من مطلع الثلاثينات وتمتد حتى أوائل السبعينات من القرن الماضي.

٣- مرحلة الصحف الإماراتية الحديثة وتبدأ من مطلع السبعينات من القرن الماضي وحتى اليوم.

«ب» أن الإمارات عرفت الصحافة الأهلية قبل الصحافة الحكومية.

«ت» أن العنصر النسائي في الإمارات ساهم بفاعلية في نشأة الصحافة المحلية وإثرائها ومن هذا العنصر موزة سالم ومريم المنصوري وغيرهن.

«ث» أن مثقفي الإمارات كان لديهم وعي ناضج بقيمة الرسالة التنويرية والإعلامية والثقافية للصحافة كوسيلة اتصال جماهيري فعال وكمنبر للتعبير عن الأفكار والآراء والمشاعر والموهبة، والدليل على ذلك رسالتا الشيخ مبارك ١٩٢٨م، وأحمد حسن ١٩٣٠ لمجلة (المنار)، وحوار المرحوم تريم عمران لمجلة (الرافد).

«ج» أن أبناء الإمارات كان لديهم اتصال وثيق وانفتاح على ثقافات البلاد العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر لارتباط المنطقة وشعوبها بالهاجس العربي بدليل احتفاظ الشاعر سالم بن علي العويس بالنسخة الأولى الأصلية من جريدة (الأهرام) المصرية. ■

المراجع:

١- صحيفة الخليج، ٥ يونيو ٢٠٠٤م.

٢- الدكتور يوسف الحسن (سيرة البدء - فصل من كتاب إعلام الإمارات - الخليج والشروق).

٣- صحيفة البيان، ٢٦ نوفمبر ١٩٩٩م.

٤- الدكتور محمد مرسي عبد الله (دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها).

٥- مجلة (أحوال) العدد الثاني، يوليو ٢٠٠١م.

٦- عبد الله النويس (وسائل الإعلام في دولة الإمارات العربية المتحدة).

٧- عبد الله عبد الرحمن (الإمارات في ذاكرة أبنائها - الحياة الاجتماعية - الجزء الثالث).

٨- عبد الله عبد الرحمن (الإمارات في ذاكرة أبنائها - الحياة الثقافية - الجزء الأول).

٩- عبد الله علي الطابور (تطور المؤسسات الإعلامية في دولة الإمارات وأثرها في الحياة الثقافية).

١٠- عبد الله الطابور (رسائل الرعيل الأول من رواد اليقظة في الإمارات - الجزء الأول - مدخل عام لملامح اليقظة).

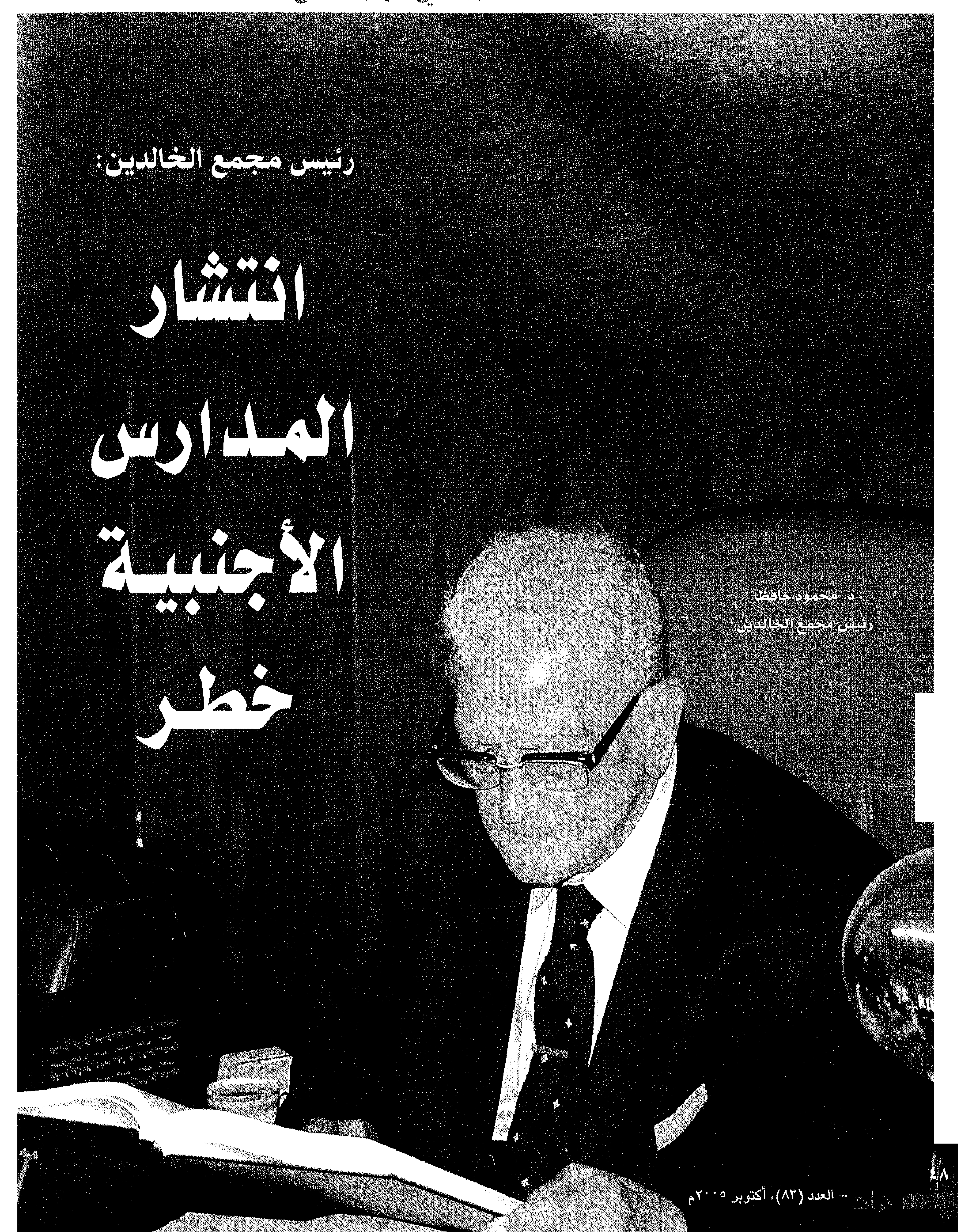
١١- الدكتور يعقوب يوسف الحجي (الشيخ عبد العزيز الرشيد - سيرة حياته).

١٢- أحمد نفادي (صحافة الإمارات النشأة والتطور الفني والتاريخي).

١٣- إبراهيم راشد (التكنولوجيا والصحافة في دولة الإمارات).

١٤- مجلة (الرافد)، العدد الثاني، يناير ١٩٩٤م.

١٥- الدكتور يوسف الحسن (سيرة البدء - فصل من كتاب إعلام الإمارات - الخليج والشروق).



رئيس مجمع الخالدين:

انتشار المدارس الأجنبية خطر

د. محمود حافظ
رئيس مجمع الخالدين

■ القاهرة - محمد هارون:

مجمع الخالدين ليس اسماً فقط، بل تاريخاً ممتداً بدأت سطوره من الإمام محمد عبده وهو مستمر بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مروراً بالعصر الحالي الذي يترأس فيه الدكتور محمود حافظ مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

كان هدف المجمع عند إنشائه: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، والنظر في أصول اللغة العربية وأساليبها لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها، ويبسط تعليم نَحْوها وصَرْفها، ويُيسّر طريقة إملائها وكتابتها، ودراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية وكذلك دراسة الأعلام الأجنبية، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية، وبحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة.

في هذا الحوار نلتقي رئيس مجمع الخالدين الأستاذ الدكتور محمود حافظ دنيا، الذي قضى أربعين عاماً من عمره المديد بين أركان المجمع، والذي كانت ومازالت إسهاماته العلمية تثري الحياة الثقافية ليس في مصر فقط، بل في العالمين العربي والإسلامي، فقد وصل عدد الأبحاث التي قام بها إلى ١٦٣ بحثاً مختلفاً.

عن البداية والمشوار الطويل،ودور المجمع ومستقبل اللغة العربية كان هذا الحوار.

**** لنتحدث أولا عن البداية والنشأة؟***

– ولدت في شهر يناير عام ١٩١٢م في بيت خلف قصر عابدين، وعلى مقربة من سراي آل عبد الرازق الذين ينتمي إليهم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر، وبعد عامين من مولدي نزح والدي –وكان يعمل بالنيابة– إلى إسنا بصعيد مصر. بعد ذلك، وتحديداً في عام ١٩١٧م انتقل والدي إلى الإسكندرية، وبعدها بعامين عاد إلى بلده فارسكور عندما قامت ثورة ١٩١٩م لينضم إليها، وكان والدي محامياً، وكان يملك ناصية اللغة العربية، وكان خطيباً مفوهاً التفت حوله جمهرة من الناس والمثقفين في فارسكور وقاموا بتجمعات كبيرة ضد الإنجليز، ومن هنا كانت بدايتي الحقيقية، ثم التحقت بكُتّاب الشيخ ريحان، وحفظت جزءاً كبيراً من القرآن، ثم التحقت بناءً على طلب أعمامي –وكانوا يعملون في القضاء الشرعي– بمعهد دمياط الديني، وقضيت به عامين، وحفظت فيه مزيداً من القرآن الكريم، فاستقام اللسان، ثم التحقت بمدرسة فارسكور، وكان مستوى اللغة العربية في التعليم جيداً جداً، وبعد الحصول على الشهادة الابتدائية انتقلت إلى المدرسة السعيدية الثانوية في القاهرة، وقد قبلت في القسم الداخلي مجاناً لتفوقي، وقد وجدت بالمدرسة طبقية واضحة من التي حاربها الرئيس جمال عبد الناصر، فلقد كان أبناء الباشوات يمثلون ثلة مع بعضهم، ومع بداية الدراسة أعجب بي الأستاذ أمين راجي عبد الشافي، وكان معلم اللغة العربية، خاصةً وأنني كنت خطيب وإمام مسجد السعيدية، وكان لهذا المعلم مواقف أثَّرت فيَّ بشكل مباشر.

كرامة المعلم

**** هل تذكر لنا بعض هذه المواقف؟***

– أذكر أن الأميرة عين الحياة –وهي أخت السلطان حسين كامل– كان لها ولدان في القسم الداخلي بالمدرسة، وكانت لهما شقة بمفردهما، وكانت تأتي لهما السيارة بالأكل الفاخر يومياً، وحدث ذات يوم أن دخل أحدهما إلى الفصل بدون ارتداء الطربوش، فقال له الأستاذ أمين: أين الطربوش؟ فأومأ الولد إيماءة لم تعجب الأستاذ، فما كان منه إلا أن ذهب إلى الناظر، وقال له: إما عقاب هذا الولد أو استقالتي، فجاءت الأميرة إلى ناظر المدرسة، وعندها استدعوا المدرس قال لها بكرامة. إن كنتِ تريدين أن تعلمي ابنكِ تعليماً خاصاً فليكن في بيتك أو قصرك، أما هنا فالكل سواسية، فلم يعجبها الرد، خاصةً عندما سمعت كلمة سواسية والتي ظنتها سبةً في حقها، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى وزير المعارف علي شمس، الذي نَصَرَ المدرس، وطلب من الأميرة أن يقدم أبناؤها الاعتذار المناسب للمدرس، وقد كانت هذه الحادثة نموذجاً لما يجب أن يكون عليه التعليم.

■■

المجمع أثبت قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة

■■



الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»



الدكتورة سهير القلماوي

(٣) شهور في كلية الطب

*** وماذا عن المرحلة الجامعية؟ ولماذا اخترت قسم علم الحيوان عموماً؟**

- بعد تخرجي في المدرسة السعيدية دخلت كلية الطب، ولم استمر بها إلا ثلاثة شهور فقط، وبعدها نصحني مجدي ناصف -مدير مكتب لطفي السيد باشا مدير جامعة القاهرة- بالالتحاق بكلية العلوم التي كانت جديدة في هذا الوقت، وقال لي إن مستقبلها سيكون باهراً، وإنني سأتمكن من السفر إلى الخارج، وفي نفس الوقت كانت والدتي تريدني أن أصبح (حكيماً لأعطيها الحقن!) ولكنها خضعت لرغبتي، وبالفعل حصلت على درجة البكالوريوس عام ١٩٣٥م، وعيّنت معيداً بقسم علم الحيوان، وكان ذلك بناءً على رغبتي، لأنه الأقرب إلى الطب ولأنني أحب الحيوانات منذ طفولتي، وقد كنت أول مصري يسجل لدراسة الحشرات في الجامعات المصرية، وفي عام ١٩٣٧م سافرت إلى جامعة لندن والمتحف البريطاني، وحصلت على الماجستير وعدت إلى مصر بعد أن قامت الحرب العالمية الثانية، وكنت قد جمعت كل ما يلزم لدرجة الدكتوراه، وبالفعل حصلت على درجة الدكتوراه.

*** متى انضممت إلى مجمع اللغة العربية؟**

- في عام ١٩٦٥م انضممت إلى المجمع كخبير، وفي عام ١٩٧٧م انتُخبت عضواً بالمجمع.

المرأة والمجمع

*** إذن فقد عاصرت قضية عدم دخول «بنت الشاطئ» إلى المجمع، خاصةً وأن الآراء اختلفت حول هذه القضية؟**

– كان رئيس المجمع وقتها د. إبراهيم مدكور، قد دعاني في مرة من المرات، وقال لي إن هناك ضغطاً شديداً من حرم الرئيس المصري الراحل أنور السادات حتى يتم السماح بدخول سهير القلماوي إلى المجمع، وقال لي: إن «بنت الشاطئ» أفضل منها، فقلت له وقتها: نرشح الاثنتين، وعندما سمع بذلك مصطفى مرعي –وهو شيخ المحامين– قال. «على جثتي»، وعندما تم الترشيح.. حصلت سهير القلماوي على صوت، وحصلت بنت الشاطئ على صوتين.

*** وما هو موقفك من دخول المرأة المجمع؟**

– أنا مع دخول أية امرأة إلى المجمع تكون في مستوى بنت الشاطئ التي كانت ستصبح إضافة كبيرة للمجمع، وكان ظلماً بيِّناً أنها لم تدخل، فقد كانت على مستوى عالٍ في اللغة والأدب والشريعة.

تحقيق الأهداف

*** وهل ترى أن المجمع قد حقق الأهداف التي أنشئ من أجلها؟**

– بالطبع، فقد أثبت المجمع أن اللغة العربية من حيث اتساعها وشمولها وثراؤها وافية بمطالب العلوم والفنون وحتى المصطلحات الحديثة والمستحدثة، وقد قام المجمع بجمع مائتي ألف مصطلح في جميع الفروع والعلوم على اتساعها، مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء والجيولوجيا والنفط، والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والتربية وعلم النفس، وغيرها بجانب اللغويات من لغة ونحو وأصول، فالمجمع قام بدور كبير بالنسبة للمصطلحات، فهناك ١٨ معجماً، و٢٩ لجنة تجتمع أسبوعياً وتقوم بدراسة المصطلحات والرجوع إلى المعاجم القديمة والحديثة، وأحياناً تقوم بتعريب بعض هذه المصطلحات، وقد ثبت أيضاً أن اللغة العربية قادرة على استيعاب أحدث العلوم من هندسة وراثية وتكنولوجيا حديثة وعلوم فضاء، فقد اتسعت اللغة لكل ما هو حديث ومستحدث، وأنا ضد من يقول بأن اللغة العربية لا تفي بالعلوم الحديثة.

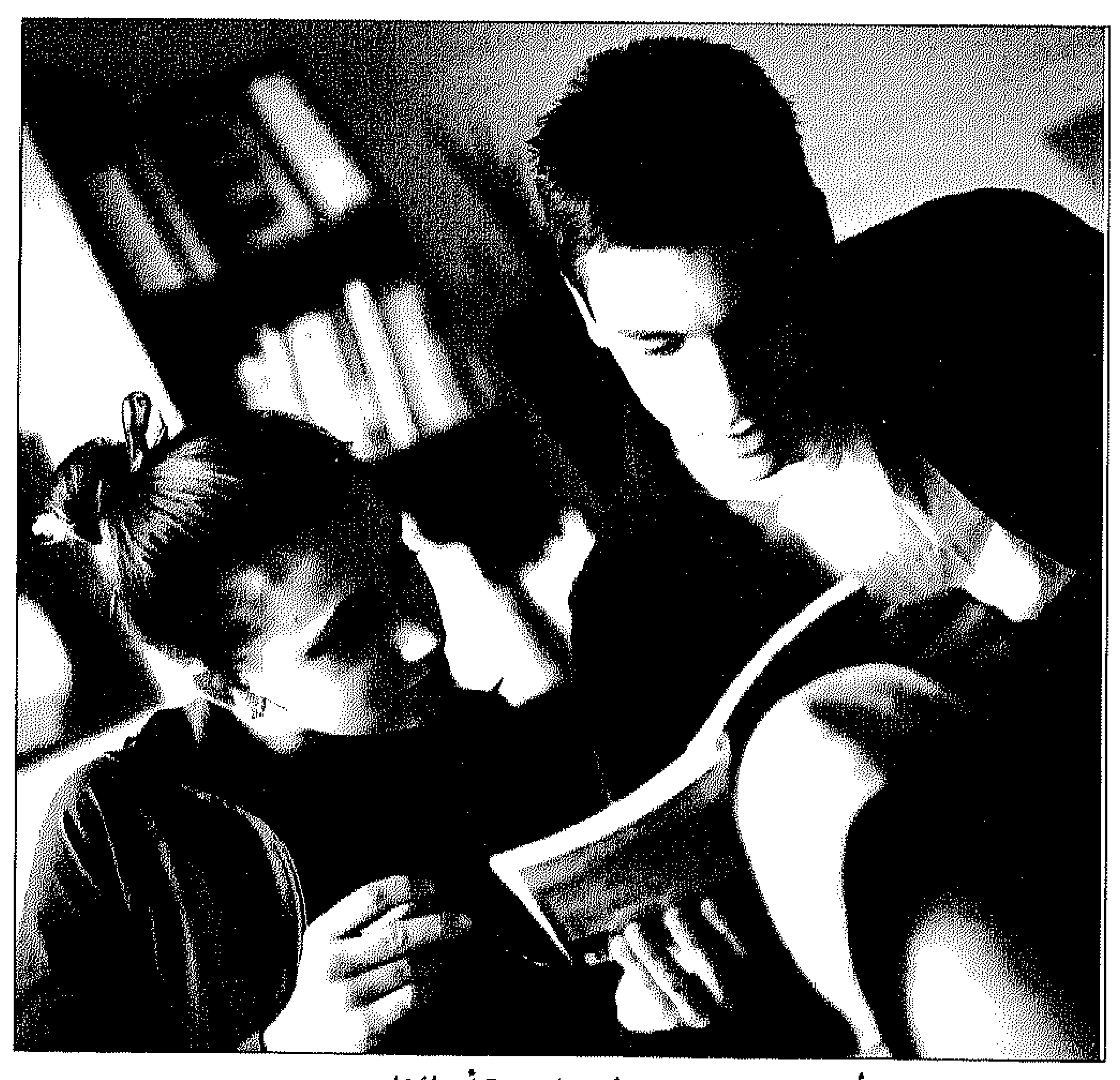
هجمة ضد اللغة العربية

*** ولكن كيف ترى واقع اللغة العربية الآن؟**

– تتعرض اللغة العربية منذ سنوات لهجمة شديدة من المتربصين بها، فالأطفال يتعلمون الآن بلغة أجنبية، وقامت المدارس الأجنبية بجعل اللغة العربية هامشية، فهي من القلة بحيث لا تشفي علة، كما أن هناك العديد من الجامعات الأجنبية التي أُنشِئت بعد الجامعة الأمريكية من فرنسية وكندية وإنجليزية، وهناك غيرها سيتم إنشاؤه في الفترة القادمة، حتى أن الطلب على إنشاء هذه الجامعات وصل إلى عشرين طلباً من دول متفرقة، والخطورة أن خريجي هذه الجامعات الأجنبية سيكون انتماؤهم في المستقبل لتلك الجامعات واللغات التي تعلموها، وستتأثر هويتهم تأثراً كبيراً بجهلم للغة العربية، خاصةً وأن مجال العمل سيكون أوسع أمامهم في مقابل هؤلاء الذين يتعلمون في المدارس المصرية، فقد وصل عدد الطلاب الذين يتعلمون بالإنجليزية حوالي ٥٠٠ ألف طالب في مختلف الكليات وأقسام الإنجليزي وغيرها، وفي الامتحانات تجد اللغة الإنجليزية المستخدمة ركيكة جداً، ولا تمت إلى الإنجليزية بصِلة.

> **(٢٠٠) ألف مصطلح في جميع العلوم قام المجمع بدراستها وتعريبها**

بالإضافة إلى انتشار اللغات الأجنبية بلغة عربية مكتوبة ومنطوقة، مع أن هناك قانوناً يمنع هذا، ومن الأسباب أيضاً العزوف عن الترجمة وتراجعها في الآونة الأخيرة، وتراجع القراءة بصفة عامة.



المدارس الأجنبية تهديد خطير لهوية أبنائنا

يهودي ومسيحي ومستشرقون في أول مجمع للغة العربية



الإمام محمد عبده

كان إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحقيقاً لفكرة راوَدَتْ كثيراً من أعلام اللغة، والعلم، والأدب، في مصر، وبذلوا في سبيل تحقيقها جهوداً تَواصَلَتْ، منذ أواخر القَرن التاسع عشر، وتمثَّلتْ في محاولات إنشاء مجامع أهلية: منها مجمع أُنشئ بدار البكري في القاهرة عام ١٨٩٢م، وكان من أبرز أعضائه: الإمام محمد عبده، والشيخ محمد توفيق البكري، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، ولكن هذا المجمع توقف بعد أشهر قليلة.

ثم أنشئ مجمع بدار الكتب المصرية عام ١٩١٦م، دعا إلى تكوينه مدير هذه الدار الأستاذ أحمد لطفي السيد، الذي كان كاتب سرِّه، وأُسندتْ رئاسته إلى الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر، ثم إلى الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر من بعده، وكان من أعضائه الشيخ أحمد الإسكندري، والأستاذ حفني ناصف، والشيخ حمزة فتح الله، والأستاذ عاطف بركات، ثم توقف هذا المجمع حين قامت ثورة ١٩١٩م.

ولكن الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي بمصر ظلت حيَّة متجددة، حتى صدر مرسوم ملكي بإنشائه في ديسمبر عام ١٩٣٢م، ثم صدر مرسوم ملكي آخر في أكتوبر عام ١٩٣٣ بتعيين أعضائه العاملين المؤسِّسين، وكان عددهم عشرين: عشرةً من المصريين، وعشرةً من

أمُّ اللغات

*** وما هو العلاج لهذا التدهور في اللغة العربية؟**

– اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولا يمكن أن نقول عليها إنها تدهورت، فهي لغة عظيمة، وباقية إلى يوم الدين، وقد شهد بذلك المستشرقون المنصفون، فقد قال المستشرق جرونياوم في مقدمته لكتاب (تراث الإسلام): «إن اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر، وهي لغة عبقرية، لا تدانيها لغة في الاشتقاق الذي ينبع من ذات اللغة، مما جعلها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة»، ويقول المستشرق الألماني بروكلمان: « إنه بفضل القرآن الكريم بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تبلغه أية لغة أخرى». وهناك ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هي أُمُّ اللغات وأصل الكلام، بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها، ويؤيد هذا الرأي أن عدد الجذور في اللغة العربية يزيد عن ١٦ ألف جذر، بينما في اللغة السكسونية يزيد قليلاً عن ألفي جذر، في حين لا تحتوي اللغة اللاتينية إلا على ٨٠٠ جذر فقط، مع ملاحظة أن اللغة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب تجل عن الحصر.

وعلى أية حال فمجمع اللغة العربية يقوم بدور كبير في اتصاله بالهيئات والمؤسسات بالدولة، خاصةً الإعلام، والتليفزيون، والإذاعة، في محاولة للحفاظ على اللغة العربية وإجادتها، وبالنسبة للغة الصحافة فهي لغة جيدة، وعلى مستوى الوطن العربي يقوم اتحاد المجامع اللغوية بدور كبير في الحفاظ على اللغة العربية ويقيم الندوات والمؤتمرات والاجتماعات في هذا الصدد لدعم اللغة العربية والتعريب.

العربية في التعليم قبل الجامعي

*** لكم اهتمام خاص بالتعليم قبل الجامعي، فما هي اقتراحاتكم للنهوض باللغة العربية في هذه المراحل التعليمية؟**

– لا بد أن يستقر في أذهان القائمين على تدريس اللغة العربية والمخططين لمناهجها الدراسية وأهدافها أن اللغة العربية عنصر أساسي من مقومات

العرب والمستعربين وهم من مصر: محمد توفيق رفعت، الشيخ محمد الخضر حسين، الشيخ إبراهيم حمروش، أحمد الإسكندري، علي الجارم، الشيخ حسين والي، الدكتور منصور فهمي، أحمد العوامري، الدكتور فارس نمر، الحاخام حايم ناحوم. ومن سوريا: محمد كردعلي، الشيخ عبد القادر المغربي، ومن لبنان: عيسى اسكندر المعلوف، ومن تونس: حسن حسني عبد الوهاب، ومن العراق: الأب انستاس ماري الكرملي، ومن بريطانيا: هاملتوت ألكسندر جب، ومن ألمانيا: الدكتور أوجست فيشر، ومن فرنسا: لويس ماسينيون، ومن هولندا: أ.ج. فنسنك، وبعد ثلاثة أشهر عين مستشرق آخر بدلا عنه هو اينوليتمان من ألمانيا.

وقد اختير الأستاذ محمد توفيق رفعت رئيساً للمجمع، والدكتور منصور فهمي كاتب سرٍّ له. وفي عام ١٩٤٠م صدر مرسوم ملكي بتعيين عشرة أعضاء مصريين. وفي عام ١٩٤٦م صدر مرسوم ملكي آخر بتعيين عشرة أعضاء مصريين آخرين، فبلغ أعضاء المجمع العاملين أربعين عضواً.

وبهذه الصبغة العالمية في تكوين أعضاء المجمع العاملين - دون تقيد بجنسية أو دين- ينفرد بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن سائر المجامع في العالم كلِّه !

وفي ٣٠ من يناير عام ١٩٣٤م عقد أعضاء المجمع أول جلسة لهم، واستهلّوا دورتهم المجمعية الأولى في وضع لائحة المجمع الداخلية، وتكوين لجانه، واستكمال جهازه العلمي، والإداري، والمالي.

وتوالت الدورات المجمعية منذ عام ١٩٣٤م حتى الآن، حيث أخذ المجمع يُواصل نشاطه، ويُنَمِّيه، ويُطَوِّره، ويَتَّسعُ به، حتى يُؤدى رسالته المجمعية المنشودة، بتحقيق أغراضه الواردة في قانونه، الذي نصَّ على أن المجمع هيئة علمية، لها شخصية اعتبارية، واستقلال مالي وإداري، ولرئيسه سلطة الوزير في كل شؤونه: العلمية، والمالية، والإدارية.■

الأمة والشخصية العربية، وأنها لغة القرآن الكريم والتراث الحضاري الإسلامي، وأنها وعاءٌ للمعرفة بكل جوانبها، ووسيلة للتفكير والتعبير، لا مجرد مادة مستقلة بذاتها للدراسة، ويجب أن يتم التنسيق بين مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم الثلاث لإيجاد تكامل يوحد غايتها، وكذلك العمل على تيسير قواعد النحو، وإصدار معاجم لغوية، والارتقاء بمستوى مُدَرِّسي اللغة العربية، واستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة كالحاسوب في تعليم اللغة العربية، وكذلك ضرورة التنسيق المستمر بين المجمع والقائمين على التعليم للاستفادة من المجمع في النهوض باللغة العربية، وكذلك الدعوة بأن تكون لغة الإعلام هي اللغة العربية الصحيحة.

العيد الماسي

***** *وما هي خطة المجمع في الفترة القادمة؟*

- من ضمن أعمال الخطة المستقبلية للمجمع ضرورة الاهتمام باللجنة الثقافية، وإنشاء موسم ثقافي ثري يدعى إليه كل المشتغلين بالثقافة والعلوم والآداب، كما أننا نعد للعيد الماسي للمجمع، وسندعو إلى هذه الاحتفالية جميع قادة الفكر في مصر والعالم، ورؤساء المجامع اللغوية في الوطن العربي، وأساتذة الجامعات العربية والعالمية، وستكون هذه الاحتفالية تظاهرة علمية كبيرة تبين دور المجمع وإنجازاته على مدى تاريخه.

توثيق الصلة بالمجتمع

***** *هل هناك خطة لتقريب المجمع من عامة الناس حتى يشعروا بدوره؟*

- نسعى في هذه المرحلة إلى توثيق الصلة بين المجمع وروافد الإعلام الثلاثة (المسموعة والمقروءة والمرئية)، وسنوزع في الفترة القادمة معاجم المجمع بدون مقابل لدعم حركة التعريب والترجمة في مختلف القطاعات العلمية، وخاصةً الجامعية والتعليمية، كما سنسعى إلى إنشاء معاجم جديدة مثل معجم البيع والميراث، وعلوم الفلك والفضاء، وغيرها، لتنضم إلى مجموعة المعاجم التي أخرجها المجمع على مدار تاريخه.■

اثنان من أساطين الشعر العربي كان لهما مع شهر أكتوبر حدث، أولهما أمير الشعراء أحمد شوقي الذي ولد ومات في هذا الشهر عن عمر يناهز ٦٢ عاماً، وثانيهما الشاعر التونسي النابغة أبو القاسم الشابي الذي انطفأ مصباحه في ٩ أكتوبر ١٩٣٤م ولمّا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره.. بعد عامين من وفاة شوقي.

في هذا العدد، يكتب لنا الدكتور محمد أحمد عبد الهادي عن الخط الوحدوي في حياة أمير الشعراء أحمد شوقي، ويلقي الزميل حمدي نصر إضاءة على حياة شاعر تونس الكبير أبو القاسم الشابي الذي هز الدنيا بأبياته الشعرية والتي أصبحت مثلاً وشعاراً وحكمة كلما لزم الأمر، وهو في ريعان الشباب.



الاتجاه الوحدوي العربي في شعر شوقي

■ د. محمد أحمد عبد الهادي

ولد أحمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة في ١٦ أكتوبر ١٨٧٠م، لأب شركسي وأم من أصول يونانية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر، ولما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح، فحفظ قدراً من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وأظهر فيها نبوغاً واضحاً كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة، وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظاً واستظهاراً، فبدأ الشعر يجري على لسانه.. وكتب شوقي العديد من الدواوين، وعاش حياة حافلة بين العسر واليسر رغم أنه قيل عنه: إنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، لكنه ذاق مرارة هذه الملعقة عدة مرات عندما نفي خارج الوطن حين غضب عليه القصر الذي نشأ فيه.

وما أكثر ما قيل عن أمير الشعراء أحمد شوقي، لكني اخترت الحديث عن الجانب الوحدوي في شعره، فقد سبق عصره في إدراك الفكر الوحدوي العربي منذ أكثر من ثمانين عاماً، وسخر شعره كي تكون الفصحى هي الخطوة الأولى على طريق الوحدة العربية، قبل قيام الجامعة العربية بأكثر من عقدين من الزمان.

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن يظهر على الأدب المصري أي اهتمام بالقضية العربية، بل يمكننا القول إنه كان لا ينظر إليها بعين الرضى. وكانت مصر تتطلع أن تنال بعد الحرب استقلالها التام، والتخلص من الاحتلال البريطاني، كما كان القائمون بالثورة العربية خارج الديار المصرية يعللون النفس بالتحرر من تركيا وتأسيس دولة أو دول عربية ذات سيادة. لكن الحرب لم تسفر إلا عن خيبة في الرجاء. فسلطة الاحتلال عززت إقامتها في وادي النيل والثورة العربية لم تنل بعهد الانفصال عن تركيا غير الانتداب الأجنبي البغيض. وهكذا نشأ في مصر وسائر بلدان الوطن العربي شعور مشترك بما أصابهم جميعا من إجحاف وبلاء. وبتأثير هذا الشعور أخذ الشعر المصري يتحول عن نفوره من القضية العربية، ويقترب أكثر فأكثر منها، مشاركاً شعوبها في كل بلد في سرائهم وضرائهم وآمالهم وآلامهم. وقد عبّر عن ذلك شوقي في قصيدته التي ألقاها على العرب يوم مهرجانه عام ١٩٢٧م إذ يقول:

رب جار تلفتت مصر توليه
سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معزياً بمآقي
وطني أو مهنئاً بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشوق
وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح
وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنّ بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه في عمانه

هذا الشعور العربي المشترك أثارَ كوامن شاعرية أمير الشعراء فتدفقت من يراعه في بضع قصائد رائعة ومنها قصيدتاه في دمشق (النونية والقافية) قال الأولى عام ١٩٢٥م في المجمع العلمي اللغوي بدمشق ومطلعها:

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم أحداث وأزمان

وفيها يبرز دور دمشق وأثره في ازدهار طليطلة وبغداد حاضرة العباسيين وتأثره بتغيير مسجده الكبير الحزين:

لولا دمشق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلى أو المحراب (مروان)
تغير المسجد المحزون، واختلفت
على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته
إذا تعالى، ولا الآذان آذان

ويختم القصيدة بنصيحة تتضمن اتجاهه العربي الوحدوي بقوله:

نصيحة ملؤها الإخلاص، صادقة
والنصح خالصة دين وإيمان
والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام إخوان

أما القصيدة الثانية فقد ألقاها عقب ما أصاب دمشق من الفرنسيين إبان الثورة السورية عام ١٩٢٦م ومطلعها:

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومنها:

لحاها الله أنباء توالت
على سمع الولي بما يشق
تكاد لروعة الأحداث فيها
تخال من الخرافة وهي صدق

إلى قوله:

رباع الخلد ويحك ما دهاها
أحق أنها درست أحق
وللمستعمرين وإن ألانوا
قلوب كالحجارة لا ترق

ثم يلتفت إلى ساسة سورية محذراً إياهم من الاختلاف والتنازع طمعاً في الحكم والسيادة فيقول:

بني سورية اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغروا
بألقاب الإمارة وهي رق
نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

ولشوقي من هذا الباب قصيدة في ذكرى استقلال سورية وذكرى شهدائها في ميسلون ومطلعها:

حياة ما نريد لها زيالا
ودنيا لا نود له انتقالا

وفيها يعزي سورية في شهدائها ويشيد بأبطالها ويقوي بشعره من الرابطة العربية فيقول:

بني البلد الشقيق، عزاء جار
أهاب بدمعه شجن فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقا
وأضحى اليوم بالشهداء غالى
يعظم كل جهد عبقري
أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا إذا دهت الرزايا
كأرحم ما يكون البيت آلا
وقد أنسى الإساءة من حسود
ولا أنسى الصنيعة والفعالا

ثم يقول مشجعاً السوريين على المضي في تعاونهم والتحامهم والتئامهم كالبنيان المرصوص:

بني سورية، التئموا ليوم
خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عنا
وعنكم: هل أذاقتنا الوصالا؟
وهل نلنا كلانا اليوم إلا
عراقيب المواعد والمطالا؟
عرفتم مهرها فمهرتموها
دما صبغ السباسب والدغالا

وفي عام ١٩٣١م، أعدم شيخ شهداء المسلمين والعرب، بطل طرابلس الغرب، عمر المختار، الذي قاتل الإيطاليين قتالاً مريراً ذوداً عن حياض وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً، وأشيع حينذاك أنهم سلكوا في إعدامه سبلاً بشعة، ولم يرحموا سنّه التي نيفت على التسعين. في هذا الصدد نظم شوقي قصيدة مطلعها:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

وفيها يقول منددًا بالحضارة الغربية التي جاوزت الحق فهدمته:

إني رأيت يد الحضارة أولعت
بالحق هدماً تارة وبناء
شرعت حقوق الناس في أوطانهم
إلا أباة الضيم والضعفاء

وفيها يخاطب الشعب الليبي بقوله:

يا أيها الشعب القريب، أسامع
فأصوغ من عمر الشهيد رثاء؟
أم ألجمت فاك الخطوب وصرحت
أذنيك حين تخاطب الإصغاء؟

وكان هذا الشعور بالظلم المشترك الذي أخذ عقب الحرب يتحرك في نفوس أبناء العربية على اختلاف أمصارهم وبيئاتهم من أهم العوامل النفسية التي قربت بعضهم ببعض ودفعتهم إلى التآخي.

وظل شوقي محل تقدير الناس وموضع إعجابهم، حتى فاضت روحه الكريمة في ١٤ من أكتوبر ١٩٣٢م. ■

الشابي..
قيثارة تونس الحزينة

من منا لا يحفظ عن ظهر قلب بيتي الشعر الشهيرين:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي
ولابد للقيد أن ينكسر

فهما من أروع ما قاله أبو القاسم الشابي شاعر تونس العظيم، وكل ما قاله كان رائعا، ومن منا لا يحفظ عن ظهر قلب تلك الشفافية الرائعة التي قال فيها حبا في الوطن:

أنا يا تونس الجميلةُ في لجِّ
الهوى قد سبحت أيّ سِباحهْ
شِرْعتي حُبُّكِ العَميقُ وإنّي
قد تذوّقْتُ مُرّه وقَراحهْ

ولد أبو القاسم الشابي في الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٠٩م في بلدة توزر في تونس.

والده محمد الشابي (١٨٧٩ - ١٩٠١م) سافر إلى مصر وهو في الثانية والعشرين من عمره ليتلقى العلم في الجامع الأزهر في القاهرة. وعاد إلى تونس يحمل إجازة الأزهر بعد سبع سنوات. وتزوج إثر عودته من مصر ورزق ابنه البكر أبا القاسم الشابي، وعمل في سلك القضاء متنقلاً بين أنحاء تونس من سليانه وقفصه وقابس وجبال تالة ومجاز الباب ورأس الجبل وبلدة زغوان حتى عام ١٩٢٩م، حيث فضّل العودة إلى محل إقامته في توزر لأنه مرض مرضاً شعر معه بدنو أجله، وفعلاً لم يعش طويلاً بعد عودته حيث توفي في الثامن من سبتمبر ١٩٢٩م.

تخرج أبو القاسم في جامعة الزيتونه بشهادة القانون سنة ١٩٣٠م، لكنه لم يعمل بها ولا بغيرها، فقد كان يشعر أن قلبه مريض، وازدادت حالته سوءاً فيما بعد، ثم اشتدت عليه الآلام فاضطر إلى ملازمة الفراش مدة. لكنه كان مضطراً لأن يلبي رغبة والده الذي كان يلح عليه بالزواج فتزوج رغم حالته الصحية وأنجب ابنين، وظل يتنقل بين مناطق تونس ومشافيها بحثاً عن العلاج دون جدوى، فقد استفحل المرض وعجز الأطباء عن تفسيره وعلاجه، حتى توفي أبو القاسم الشابي في المستشفى في التاسع من أكتوبر من عام ١٩٣٤م. كان أبو القاسم رقيق النفس، يقظاً، جريئاً، قال الشعر باكراً متأثراً (بالمعرّي)، الذي وجد فيه الملاذ نظراً للتشابه في حالتهما الصحية، تأثر بمدارس التجديد في الشعر بما يتوافق مع روحه القلقة التي تصورت أن الشعر القديم جمود، فراسل جماعة (الدّيوان) في مصر وتعرف على شعراء فرنسا الرومانسيين، وعلى رأسهم (لامرتين)، وفي قاعة (الخلدونية) سنة ١٩٢٨م، ألقى محاضرة عبرت عن روح الثورة عنده ورغبته الجارفة في الخروج عن المألوف، فحمل الطبيعة العربية كل رزايا التخلف عن ركب الحضارة، ونادى بتحرير الشعر العربيّ من كلّ أشكاله القديمة التي اعتبرها رواسب الماضي، منادياً بالاقتداء بالغرب، لكنه كان قاسياً في أحكامه فشكلت تلك المحاضرة صدمة للمحافظين، فكان طبيعيا أن يشنوا عليه حملة ضارية في كل المجالس والمنتديات، لكنه كان عنيداً صدامياً، فواصل حملته، وانطلق إلى جماعة (أبوللو) في مصر حيث وجد في مجلتها ضالته، وقد رحبت به (أبوللو) ونشرت له مجموعة من القصائد، بل إن رئيس تحريرها أحمد زكي أبو شادي طلب منه أن يكتب مقدمة ديوانه (الينبوع). ثم عكف على إعداد ديوانه "أغاني الحياة" لكن الحياة لم تمهله.

وقد أجمع النقاد على أن الشابي حوّل مجرى الشعر في تونس، فخرج به عن المألوف، لكنه استخدم أبنية الشعر العربي المعروفة في بناءِ أشكالٍ جديدة الفكرة والمضمون، بحس شاعري مرهف، جميل الموسيقى، قوي اللغة جيد التعبير، سليم الوزن رائع التشبيهات والصور، التي عبّرت في أحيان كثيرة عن نفسه المضطربة، وانعكاسات ذلك في تمسكه بالأمل، الذي فرضته عليه حالته الصحية.

ومن أشعار الشابي قصيدة (الأبد الصغير) التي قال فيها:

يا قلبُ: كم فيك من دُنْيا محجَّبَةٍ كأنَّها، حين يبدو فجرُها «إرَمُ»
يا قلبُ: كمْ فيك من كونٍ، قد اتّقدتْ فيه الشُّموسُ وعاشتْ فوقهُ الأممُ
يا قلبُ: كمْ فيكَ من أفْقٍ تُنمِّقُهُ كواكبٌ تتجلَّى، ثُمَّ تنعدِمُ
يا قلبُ: كمْ فيكَ من قبرٍ، قد انطفأتْ فيه الحياةُ، وضجَّتْ تحتهُ الرِّمَمُ
يا قلبُ: كمْ فيكَ من غابٍ ومن جَبَلٍ تَدوي به الريحُ أو تسمو به القِمَمُ
يا قلبُ: كمْ فيكَ من كهفٍ قد انبجستْ منه الجداولُ تجري ما لها لُجُمُ
تمشي... فتحملُ غُصناً مُزْهِراً نضِراً أوْ وَرْدَةً لمْ تُشَوِّهْ حُسْنَهَا قَدَمُ
أو نحلةً جرّها التيَّارُ مُندفِعًا إلى البحارِ، تُغنّي فوقه الدِّيَمُ
أو طائراً ساحراً مَيْتًا قد انْفجرتْ في مُقلتيْه جراحٌ جمَّةٌ ودمُ
يا قلبُ: إنك كونٌ مُدْهِشٌ عَجَبٌ
إنْ يُسْأل الناسُ عن آفاقه يَجِمُوا
كأنك الأبَدُ المجهول... قد عَجَزَتْ عنكَ النُّهَى، واكفَهَرّتْ حولك الظُّلَمُ

***

يا قلبُ: كمْ من مسرّاتٍ وأخْيِلَةٍ ولذّة، يَتحَامَى ظِلَّها الألمُ
غَنَّتْ لفَجرِك صوتًا حالمًا، فَرِحاً نَشْوَانَ ثم توارتْ، وانْقضى النَّغَمُ
وكم رأى لَيْلُك الأشباحَ هائمةً مذعورةً تتهاوى حولها الرُّجُمُ
ورَفْرَفَ الألمُ الدّامي، بأجنحةٍ من اللهيب، وأنّ الحزنُ والنَّدَمُ
وكمْ مشت فوقَك الدُّنيا بأجمعِهَا حتَّى توارتْ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيَّدَتْ حولك الأيامُ أبنيةً من الأناشيدِ تُبْنَى، ثم تنهدِمُ

***

تمضي الحياةُ بماضيها، وحاضرِها وتذْهَبُ الشمسُ والشُّطْآنُ والقممُ
وأنتَ، أنتَ الخِضمُّ الرّحْبُ، لا فرَحٌ يَبْقَى على سطحِكَ الطَّاغي، ولا ألَمُ

***

يا قلبُ: كم قد تملّيْت الحياةَ، وكمْ رقّصْتها مَرَحًا ما مَسَّكَ السَّأمُ
وكمْ توشّحْتَ من ليلٍ ومن شفَقٍ ومن صباحٍ تُوشّي ذَيْلَهُ السُّدُمُ
وكم نسجْتَ من الأحلام أرديةً قد مزّقَتْها الليالي، وهْيَ تَبْتَسِمُ
وكم ضَفَرْتَ أكاليلاً مُورّدَةً طارتْ بها زَعْزَعٌ تدوي وتَحْتَدِمُ
وكمْ رسمتَ رسوماً، لا تُشابِهُهَا هذي العوالمُ، والأحلامُ، والنُّظُمُ
كأنها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ، حافِلةً بالحورِ، ثم تلاشتْ، واختفى الحُلُمُ

***

تبلُو الحياةَ فتُبْلِيها وتخلعُهَا وتستجدّ حياةً، ما لها قِدمٌ
وأنتَ أنتَ شبابٌ خالدٌ، نضِرٌ مثل الطبيعة: لا شيبٌ ولا هرَمٌ

***

أما قصيدته المشهورة إذاالشعب يوما فهي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات
وحدثني روحها المستتر
ودمدمت الريح بين الفجاج
وفوق الجبال وتحت الشجر
إذا ما طمحت إلى غاية
ركبت المنى ونسيت الحذر
ومن لا يحب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر
فعجت بقلبي دماء الشباب
وضجت بصدري رياح أخر
وأطرقت أصغى لقصف الرعود
وعزف الرياح ووقع المطر
وقالت لي الأرض لما سألت:
يا أم هل تكرهين البشر؟
أبارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان
ويقنع بالعيش، عيش الحجر
هو الكون حي يحب الحياة
ويحتقر الميت مهما كبر
وقال لي الغاب في رقة
محببة مثل خفق الوتر
يجيء الشتاء شتاء الضباب
شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفئ السحر سحر الغصون
وسحر الزهور وسحر الثمر
وسحر السماء الشجي الوديع
وسحر المروج الشهي العطر
وتهوي الغصون وأوراقها
وأزهار عهد حبيب نضر
ويفنى الجميع كحلم بديع
تألق في مهجة واندثر
وتبقى الغصون التي حملت
ذخيرة عمر جميل عبر
معانقة وهي تحت الضباب
وتحت الثلوج وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يمل
وقلب الربيع الشذي النضر
وحالمة بأغاني الطيور
وعطر الزهور وطعم المطر

ومن قصائده الوطنية قوله:

ألا أيها الظَّالمُ المستبدُّ
حَبيبُ الظَّلام، عَدوُّ الحياة
سَخِرْتَ بأنّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ
وكفُّكَ مخضوبة من دِماهُ
وَسِرْتَ تُشوِّه سِحْرَ الوجودِ
وتبذرُ شوكَ الأسى في رُباهُ
رُوَيدَكَ! لا يخدعنْك الربيعُ
وصحوُ الفَضاءِ، وضوءُ الصباحْ
ففي الأفُق الرحب هولُ الظلام
وقصفُ الرُّعودِ، وعَصْفُ الرِّياح
حذار! فتحت الرَّمادِ اللهيبُ
ومَن يَبْذُرِ الشَّوكَ يَجْنِ الجراحْ
تأملْ! هنالِكَ.. أنّى حَصَدْتَ
رؤوسَ الورى، وزهورَ الأمَلْ
ورَوَّيتَ بالدَّم قَلْبَ التُّرابِ
وأشربته الدَّمعَ، حتَّى ثَمِلْ
سيجرفُكَ السيلُ، سيلُ الدماء
ويأكُلُك العاصفُ المشتعِلْ

وننهي بقصيدته الرائعة التي ضربنا بها مثلاً في البداية عن تونس:

أنا يا تونس الجميلةُ في لجٍّ
الهوى قد سبحت أيّ سِباحةْ
شِرْعتي حُبُّكِ العَميقُ وإنِّي
قد تذوَّقْتُ مُرَّه وقَراحهْ
لستُ أنصاعُ لِلنّواحي ولو مـ
ـتُّ وقامتْ على شبابي المناحةْ
لا أبالي.. وإنْ أُريقَتْ دِمائي
فَدِمَاءُ العشاق دَوْمًا مُباحةْ
وبطول المَدى تُريكِ الليالي
صادقَ الحُبِّ والوَلاَ وسَجاحة
إنّ ذا عصرُ ظلمةٍ غير أنّي
من وراء الظلام شمتُ صبَاحهْ
ضَيّع الدهرُ مَجْدَ شعبي ولكـ
ـن ستردُّ الحياةُ يومًا وشاحهْ

إحياء التراث الشعبي بين المنهجية والعبقرية

■ د. أحمد حسين الصغير *

التراث الشعبي يعبّر عن شتى المعارف الشعبية التي أبدعها وصاغها المجتمع عبر تجاربه الطويلة، متمثلة في العادات والتقاليد

والقيم والفنون والحرف التي يتداولها الأفراد ويتعلمونها بطريقة عفوية،

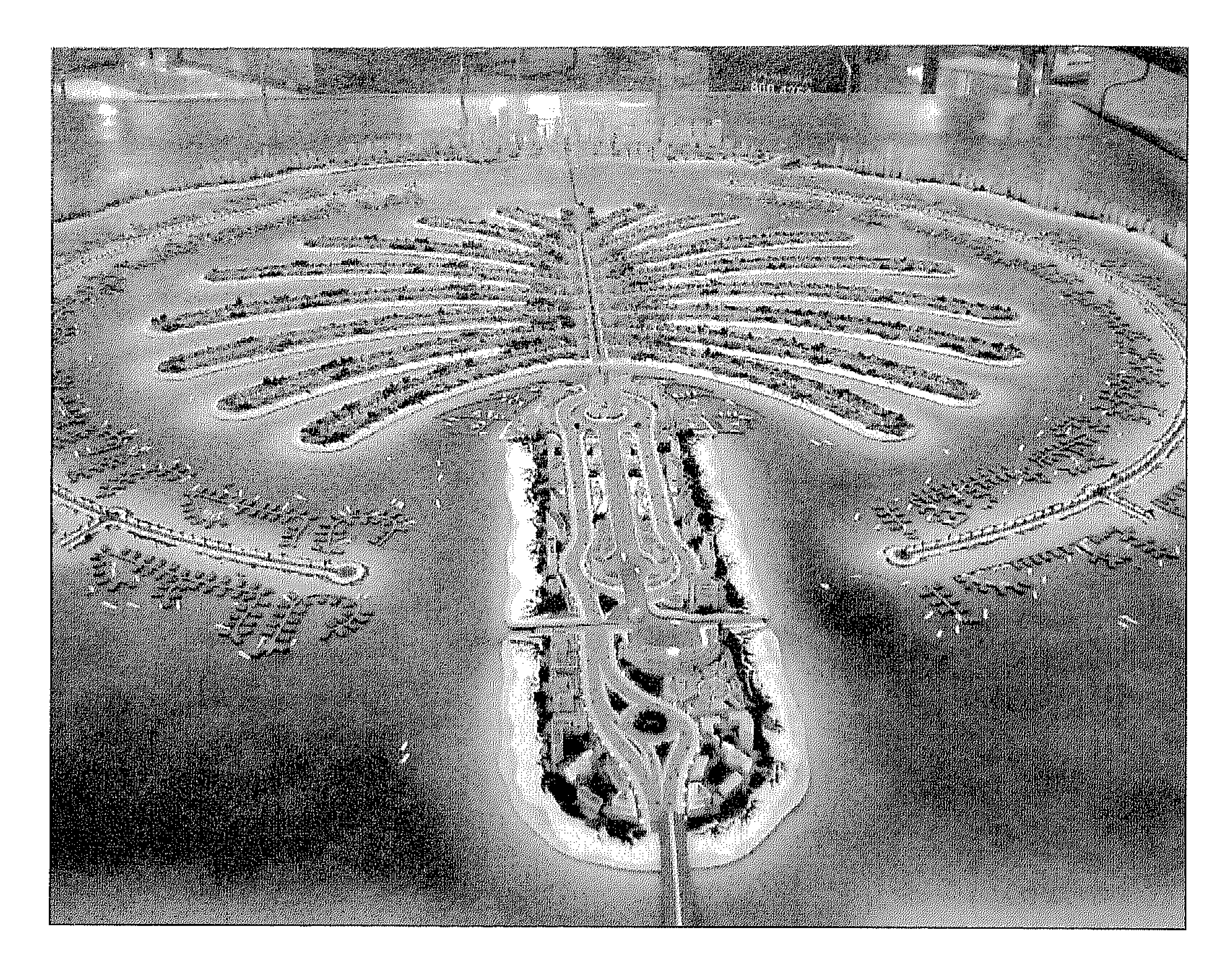
ويلتزمون بها في سلوكهم وتعاملهم،

ويقسم البعض التراث الشعبي إلى:

تراث شعبي مادي كالمساكن الشعبية والقلاع والحصون والأبراج والمزارات والأواني والحلي والأسواق والألعاب الشعبية وغيرها،

وتراث شعبي: معنوي كالعادات والتقاليد والأمثال والحكايات والألغاز والأحاجي والأشعار وكل أشكال الإبداع الشعبي.

* أستاذ مساعد بكلية التربية- جامعة الإمارات

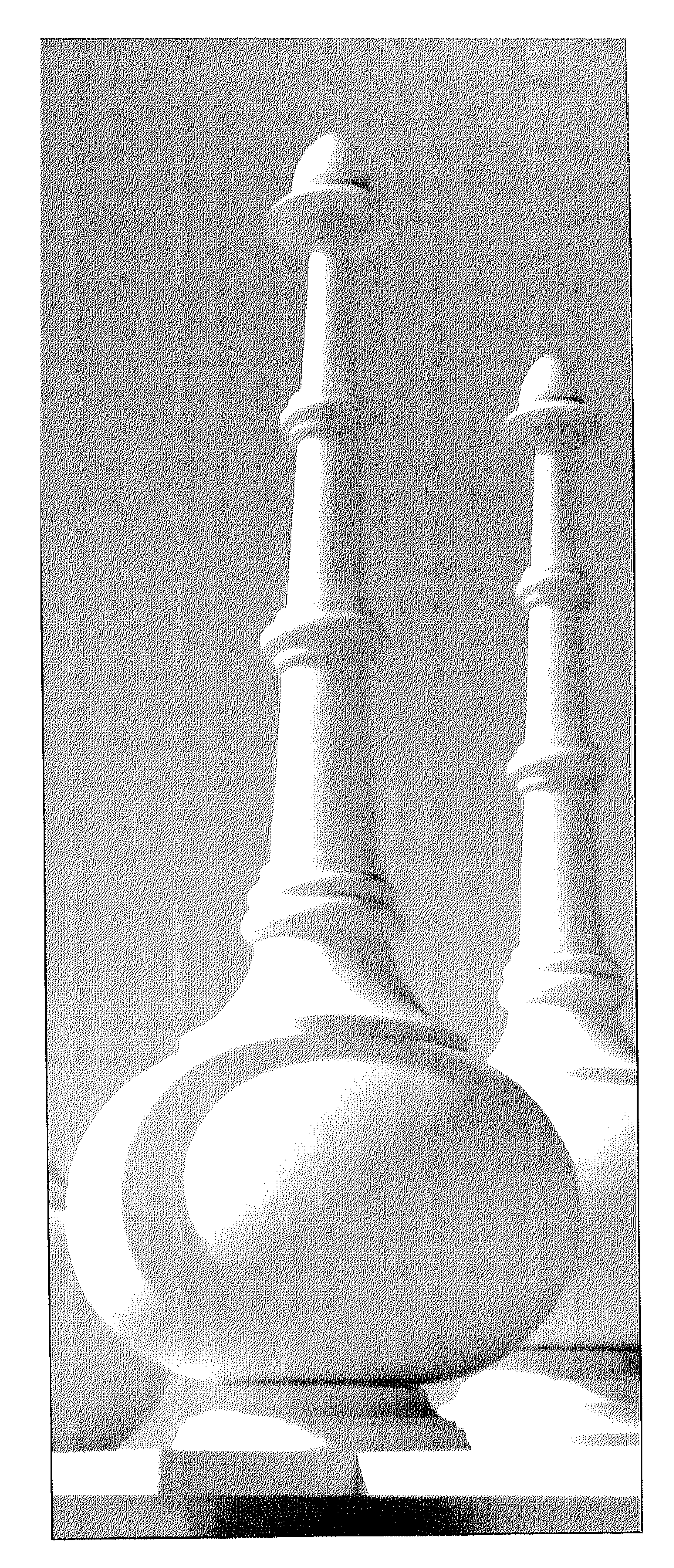


ويعد إحياء التراث الشعبي وبعثه من جديد، في عصر الإنترنت والسماوات المفتوحة والثورات المتلاحقة والتطورات التي غيرت وجه الحياة على سطح المعمورة، يعد سباحة ضد التيار، فهناك من يرى أن الاهتمام بالتراث الشعبي هو اهتمام بماض لم يعد يساير روح العصر، ويعبّر عن عقلية عاشت في الماضي، ولم تعد تساير الحداثة والتطورات المذهلة التي يعايشها الإنسان في الوقت الراهن. لذا فإن إحياء التراث الشعبي يمثل هروباً إلى الماضي، الأمر الذي يؤكد معه من يسيرون في ركب العولمة أنه لا فائدة من بعث وإحياء هذا التراث، لأنه مات بالفعل، ولم يعد له دور في ظل مجتمع المعرفة الجديد.

إن المتأمل لهذا الفكر السائد في أوساط بعض المثقفين، يرى بوضوح مدى التغريب الذي أصاب الفكر العربي، ويشعر بأن أنياب العولمة الثقافية عملت مفعولها في الفكر العربي فطوعته لصالحها، وأصبح الإنسان العربي مستسلماً لقيم العولمة بغثها وسمينها دون تفرقة، فراح يبحث عن الجديد تاركاً كل قديم ومهملاً للجذور الضاربة في أرضَ المجتمع، ومن هذا المنطلق وبهذا المستوى من الوعي بواقع الإنسان العربي عامة، والإنسان الخليجي خاصة، يؤكد الكاتب أن إحياء التراث الشعبي، ونشره بمنهجية علمية وبطرق إبداعية متنوعة، ضرورة يفرضها العصر، حتى تصبح شجرة الأمة ضاربة بجذورها في الأرض تستلهم العبر والقيم من الماضي، ومعبّرة بفروعها عن الحاضر، ومستشرفة بثمارها المستقبل. وفيما يلي عرض لأهم مبررات إحياء التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة:

إحياء لنهج الشيخ زايد

لقد كان الشيخ زايد «رحمه الله» حريصاً على إحياء هذا التراث الزاخر بالقيم والتقاليد والإبداعات، وقد جسدت كلماته معاني سامية أكد من خلالها ضرورة الاهتمام بالتراث الشعبي عندما قال: «من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل»، وهو هنا يؤكد على إحياء الماضي الذي يمثل ركيزة أساسية للحاضر، ودفعه قوية للمستقبل، كما قال «رحمه الله»: «التراث يمثل روح الشعوب وحكمتها وإبداعاتها المختلفة، والأمم تقاس بما لديها من تراث، وأمة بلا تراث هي أمة بلا أرض أو شاطئ تحاول اللجوء إليه من بحر



الضياع». إن هذه الكلمات يجب أن تكتب بالذهب، لأنها تؤكد دور وأهمية التراث الشعبي في تماسك المجتمع والمحافظة عليه من الضياع في ظل أمواج التغير المتلاحقة.

العولمة والهوية الثقافية

تعد العولمة سمة أساسية من سمات هذا العصر، وبالرغم من أن للعولمة ايجابيات لا ينكرها أحد، إلا أن للعولمة سلبيات من أخطرها التأثير السلبي على الذات الثقافية والهوية الوطنية للمجتمع، الأمر الذي يؤكد أهمية إحياء التراث الشعبي باعتباره يمثل الجذور العريقة لهذا المجتمع، والموروث الذي يحمل بين طياته العادات والتقاليد والقيم التي تعبّر عن ثقافة الأجداد وروح الجماعة الشعبية وعمق التجربة والهوية العربية والإسلامية.

ربط الأجيال الجديدة بماضي المجتمع

إن جيل اليوم هو جيل الإنترنت والفضائيات، جيل الألفية الثالثة وما يموج بها من ماديات وتغيرات متلاحقة، جيل يحتاج لمرجعية ومرسى يعود إليه في ظل هذه الأمواج المتلاطمة من كل شيء، إن ترك هذا الجيل قد يقوده إلى الضياع الذي يرتبط بالماديات والمغريات التي لا حصر لها، فينسى الجذور وثوابت المجتمع وينساق وراء قيم قد تكون بعيدة كل البعد عن القيم العربية الأصيلة، لذا فإن تقديم التجربة الإنسانية الطويلة في مجتمع الإمارات للأجيال الحالية، وربطها بالماضي، يعد ضرورة لا غنى عنها، تساعدهم على البناء والتجديد وفي الوقت ذاته يلتزمون بقيم المجتمع ويعتزون بهويتهم العربية والإسلامية.

انفتاح مجتمع الإمارات على العالم

يعدُّ مجتمع الإمارات من أكثر دول الخليج انفتاحاً على العالم، وهي علامة صحية، إلا أنها تستلزم الاهتمام بالتراث الشعبي، انطلاقاً من أهمية المحافظة على هوية المواطن في ظل العمالة الوافدة وما تحمله من ثقافات متنوعة، حيث جاءت التركيبة السكانية لتفرض واقعاً هو أقرب لأن يكون واقعاً دولياً من أن يكون محلياً.

لمسة وفاء وتقدير للأجداد والآباء

إن إحياء التراث الشعبي وبعثه من خلال منهج علمي سليم، يعد لمسة وفاء وتقدير للأجداد والآباء الذين أسهموا في بناء صرح هذا المجتمع، وأثّروا المجتمع بأفكارهم وصناعتهم وإبداعاتهم، هذا فضلا عن الإقتداء بالموروث الفكري والمادي الذي تركه السلف في عالم متغير، فيصبح هذا الموروث بمثابة المرجع الذي يصحح المسار والذي يحافظ على ترابط المجتمع من خلال ربطه بقيم وعادات وتقاليد الأجداد.

التراث الشعبي والرواج السياحي

إن إحياء التراث الشعبي لا يقف عند المحافظة على هوية المجتمع فحسب وإنما يمكن أن يكون مصدر دخل مادي من خلال استثمار المنتجات التراثية المحلية التي يقبل عليها السياح، فيصبح التراث الشعبي ذا مردود مادي من ناحية ويسهم في الترويج للسياحة من ناحية أخرى، وبالتالي تقديم قيم وعادات وصناعات المجتمع الشعبية للآخرين، وهو ما يسهم في نشر هذه القيم وتلك العادات.

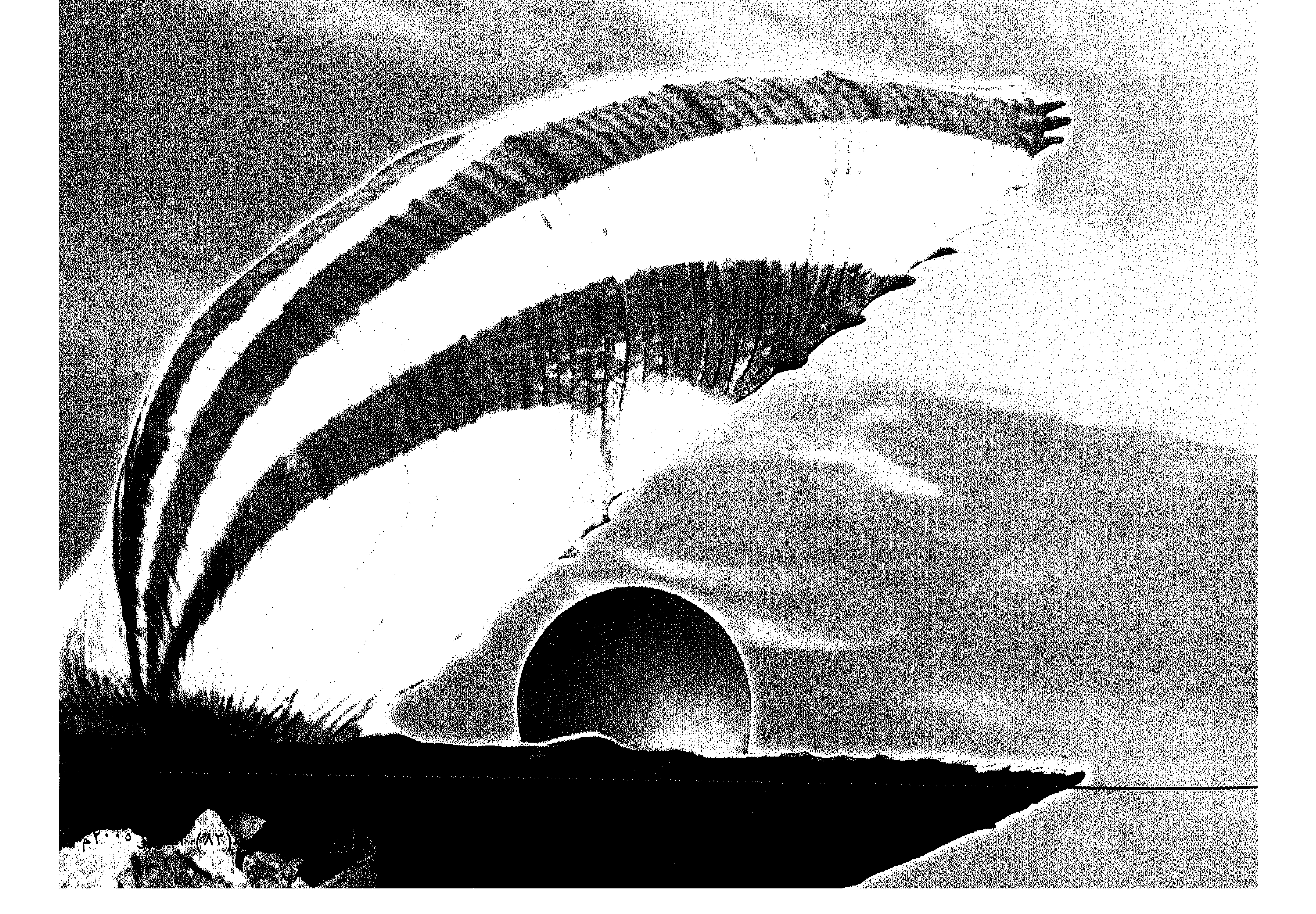
تجديد التراث الشعبي وتنقيته

إن التراث الشعبي شأنه شأن أي عمل إنساني يحمل بين طياته الإيجابي والسلبي،، لذا فإن إحياء التراث الشعبي يعني في جوهره تحليل ونقد هذا التراث، ودراسته بعمق بهدف المحافظة على الإيجابي منه، وتنقيته من السلبيات والشوائب التي قد تكون عالقة به، حتى يصبح التراث الشعبي نقياً يقدم للأجيال العبر والقيم والأفكار والإبداعات التي تسهم في نمو الأفراد وتميزهم.

مما سبق يتبين أن إحياء التراث الشعبي عمل مبرر وله أهميته. فالأمة الحية لا تتنكر لجذورها ولا تنسلخ عن ماضيها، فالتراث الشعبي يعبّر عن قصة الماضي وسيرة الأجداد وخلاصة التجارب، ويحمل بين طياته هوية المجتمع، إلا أن إحياء التراث الشعبي ليس بالعملية اليسيرة، وإنما هي عملية معقدة تتطلب تطبيق المنهج العلمي الذي يسهم في دراسة وتحليل التراث الشعبي وتقديمه للأجيال الحاضرة بثوب جديد من خلال مداخل متنوعة، تضع التراث الشعبي في قلب الحياة الاجتماعية المعاصرة.

منهجية إحياء التراث الشعبي

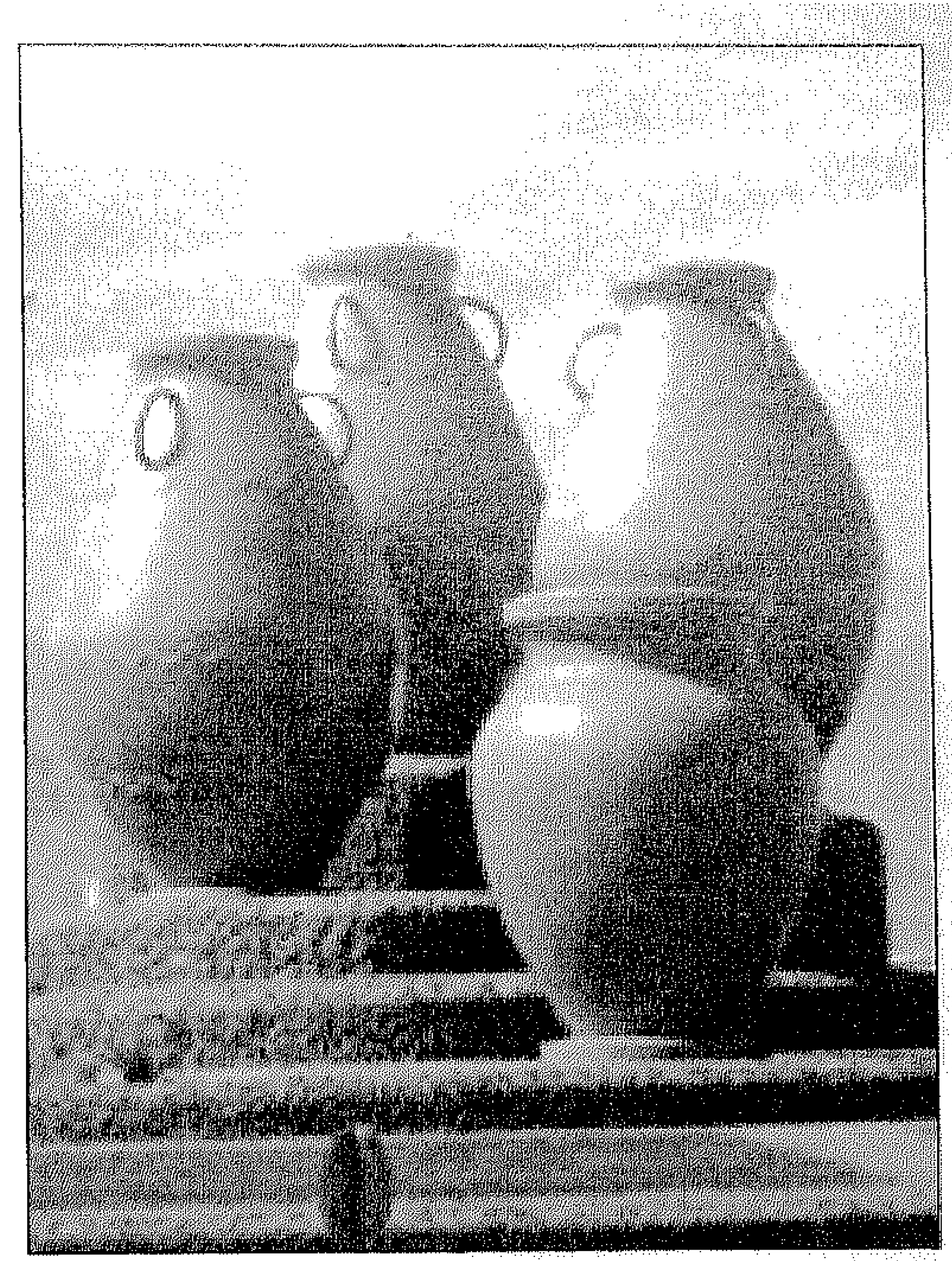
تتعدد مناهج إحياء التراث الشعبي ومنها المنهج التاريخي الذي يتم من خلاله جمع الموروث الشعبي تبعاً لتطور مراحله، والربط بين الزمان والمكان، ويسهم هذا المنهج في جمع وإحياء التراث الشعبي من خلال الرجوع لما هو مكتوب ومصور. وهناك المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكن من خلاله دراسة ما هو مكتوب وتحليله وكذلك يمكن من خلاله إجراء المقابلات، وجمع الموروث الشعبي من أفواه الرواة

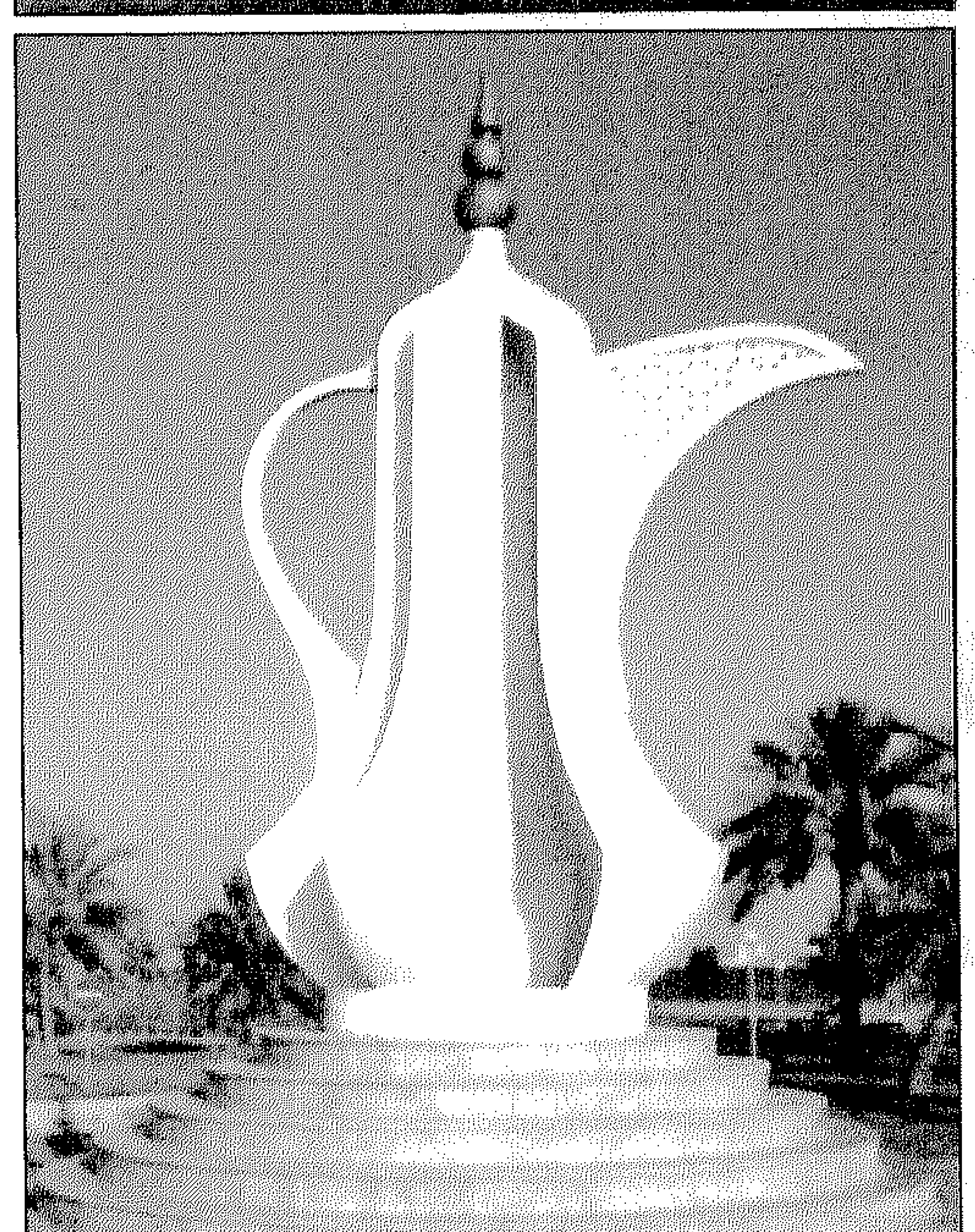


الذين عاصروا الأحداث في الماضي.

أما نشر التراث الشعبي في دولة الإمارات فهناك طرق متنوعة يتم بها إحياء التراث الشعبي ونشره للجمهور من خلال النشر الإلكتروني والنشر الإعلامي فضلاً عن جهود المؤسسات المختلفة في النشر والدراسة منها على سبيل المثال: نادي تراث الإمارات، ومركز زايد للتراث والتاريخ في حماية التراث، وجامعة الإمارات التي تدرس لطلابها مناهج حول التراث الشعبي، والمتاحف التي تضم العديد من ألوان التراث الشعبي، وكذلك المهرجانات التراثية التي تقيمها إدارة التراث في إمارة الشارقة، وتضمين مهرجان دبي بعض النشاطات التراثية في القرية العالمية.

كما أن هناك طرقاً إبداعية لجعل التراث الشعبي حاضراً في قلب الشارع الإماراتي، انظر لكل دوار تمر به وأنت تسوق سيارتك تجد لوناً من ألوان التراث الشعبي المادي، والتي تحمل قيمة تربوية شعبية، كما استطاعت دولة الإمارات أن تحيي التراث الشعبي من خلال المشاركة في المهرجانات العالمية، حيث تجد التراث الشعبي حاضراً وبقوة، ليس هذا فحسب بل انظر للمدن الجديدة، مدينة على شكل نخله، وفندق في عرض الخليج على شكل شراع، وعملة تحمل قيماً شعبية من خلال الصور والرسومات. نعم إنها الصور المعبّرة والتي تحمل القيم الشعبية الأصيلة، إنها العبقرية التي جعلت التراث الشعبي حاضراً في كل المجالات وفي كل الأوقات، إنها العبقرية التي جعلت التراث الشعبي جزءاً من الحياة اليومية للمواطن في دولة الإمارات، وهو ما يؤكد أن دولة الإمارات تعتني بتراثها الشعبي وتعمل جاهدة على إحيائه من خلال الدراسة والجمع والتخزين والتحليل والعرض، لتقدم المزيد من هذا التراث الخصب، ولتؤكد للعالم أنها تسير على درب القائد والمعلم زايد «رحمه الله».





الهوامش :

١) سيد حامد حريز: التراث الشعبي، دبي، دار القلم، ٩٧، ص١٥-١٦.

٢) عز الدين بن غنيمة: التعامل مع التراث، آفاق الثقافة والتراث، عدد٢٠ / ٢١، ٩٨، ص٤-٥.

٣) ضيف القاسمي: تراث الإمارات، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، أبوظبي- العدد ٨، ٩٩، ص٦٦.

٤) نجيب عبدالله الشامسي: أهمية الموروث الشعبي في المحافظة على الهوية الثقافية في الإمارات العربية المتحدة، مناهج توثيق التراث الشعبي في دولة الإمارات والخليج العربي، المؤتمر السنوي الثاني، مارس ٢٠٠٠م، ص٢٠٢.

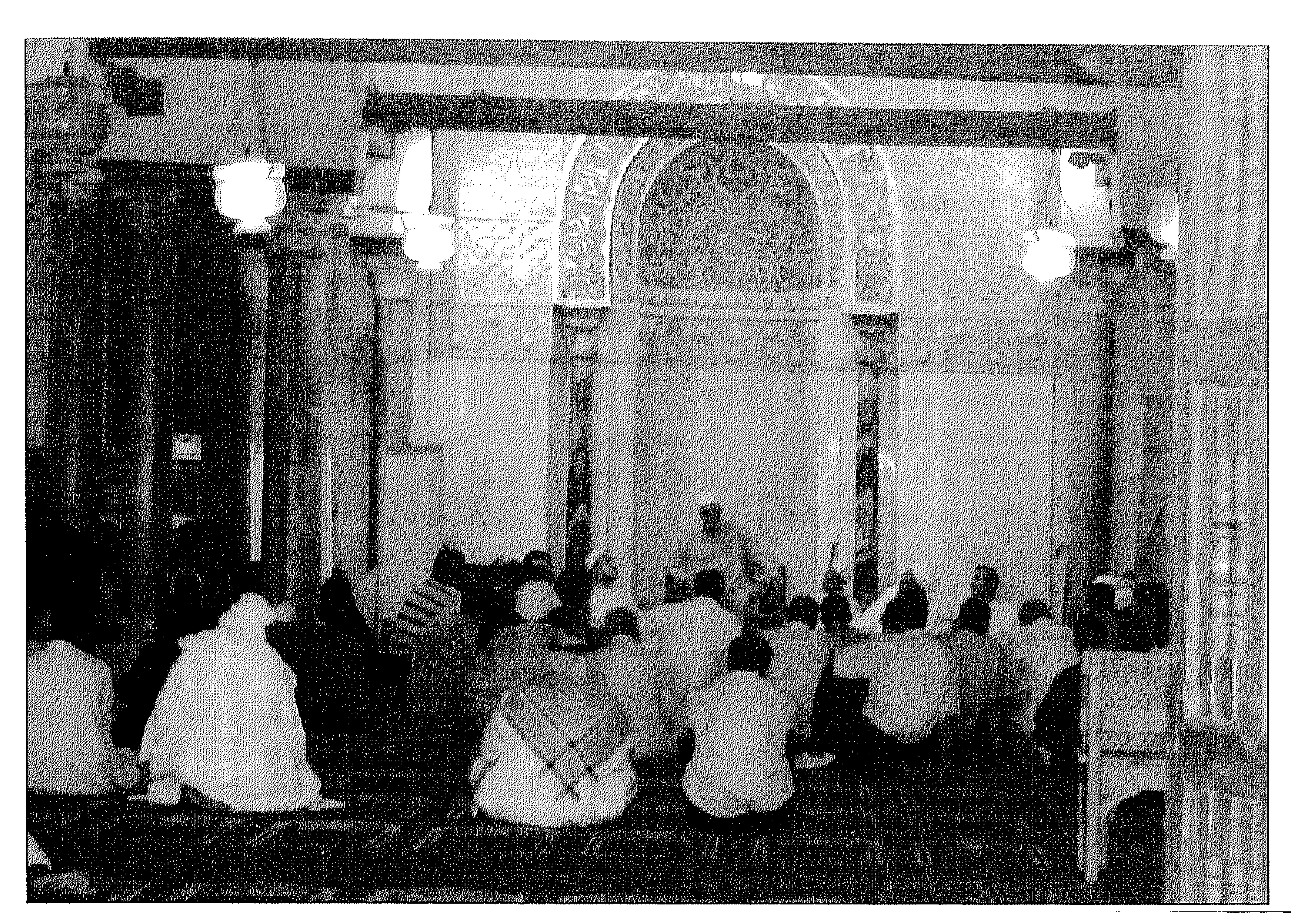
٥) عمر أحمد همشري: تكنولوجيا المعلومات وحصاد التراث العربي في دول الخليج، المؤتمر التربوي الثاني، مناهج توثيق التراث الشعبي، الجزء الثاني، مارس ٢٠٠٠، ص٢٧٢.



من تاريخ إصلاح الأزهر الشريف

■ د. أحمد محمد سالم

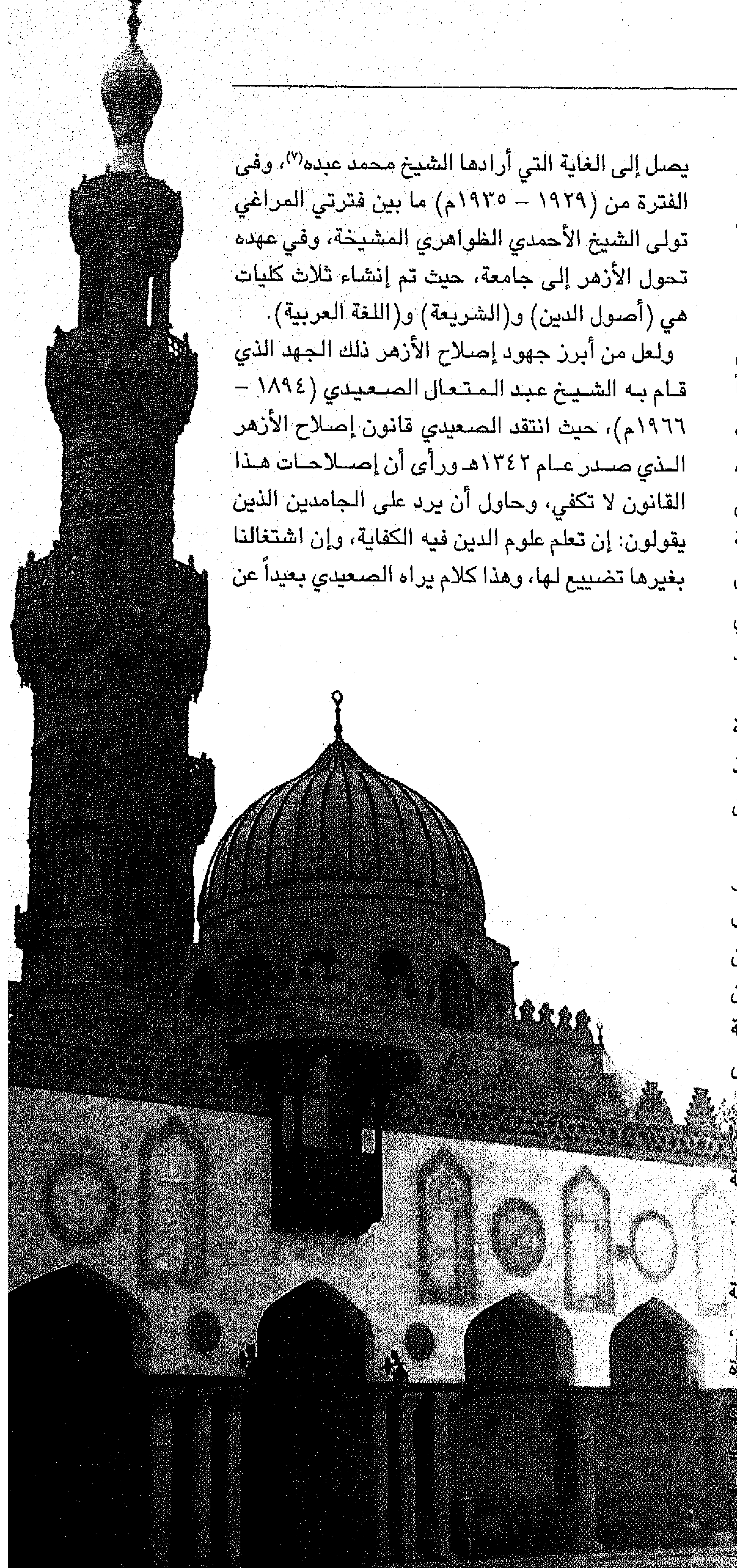
عاش العالم الإسلامي منذ القرن السادس الميلادي تحت حكم الدولة العثمانية، ورغم قوة هذه الدولة - على المستوى العسكري - واستمرارها أكثر من أربعة قرون، إلا أن العالم الإسلامي كان يعاني تحت وطأتها حالة من الجمود والتخلف الفكري، فكانت هذه المرحلة هي مرحلة الشروح الفكرية على الأعمال الكبيرة التي ظهرت في الحضارة الإسلامية - في عصور الازدهار - وفي ظل هذه الأجواء، لم يختلف الأزهر عن الحياة الثقافية السائدة في تلك الفترة «فلم يكن في الأزهر على هذا العهد إلا قليلاً من العلوم الدينية كعلم الفقه، وعلم التفسير، والقليل من علوم العربية، كعلم النحو، وعلم الصرف، ولهذا لم يكن في الأزهر على هذا العهد عالم يضاهي علماء السلف في سعة الإطلاع، واتساع الأفق العلمي، وإنما كان هناك علماء قلّت بضاعتهم في العلم، فلا يعرفون إلا قشوراً لا تنهض بأمة، ولا تقوم بدولة، وقد انقطعوا في عزلة عن العالم، فلا يشعرون به، ولا يشعر بهم، ولا يتعدى تفكيرهم جدران الأزهر الذي صار عندهم كل شيء في الدنيا»[1].



دروس دينية في الأزهر

ولم يشعر الأزهريون بمدى التخلف الذي يعيشون فيه إلا مع نهاية القرن الثامن عشر -مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر- حين بدأ العالم الإسلامي يتعرف على الحضارة الأوروبية الناهضة، ومنذ تلك اللحظة بدأ الأزهر يعيش حالة من التوتر الداخلي بين دعاة الإصلاح، ودعاة الجمود، فبدأت حركات إصلاح الأزهر والدعوة إليها ابتداءً من الشيخ حسن العطار (١٨٣٩ - ١٨٣٤م) والذي حاول إدخال العلوم الرياضية في الأزهر لكنه لم يفلح في ذلك، وذلك لأن الشيخ العطار لم يرزق تلك الروح القوية، فتخلف الإصلاح الديني عن الإصلاح المدني -الذي كان يقوم به محمد علي- وبقي الشعب يساق إلى الإصلاح من غير أن يكون عنده إيمان به[٢]، وعلى الرغم من تشجيع الشيخ حسن العطار لرفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) إلا أن الطهطاوي ارتضى لنفسه أن يسير في خدمة الإصلاح المدني لمشروع محمد علي، وحاول أيضاً الدعوة إلى المكتسبات الليبرالية الغربية في سياق النسق الشرعي التقليدي للمجتمع، فقام بجهود عظيمة في التأليف والترجمة، ولكنه كان يخشى المحافظين في الأزهر، ولهذا لم يمسّ الأزهر بأي دعوة واضحة للإصلاح تتوافق مع مشروعه الفكري العام، ولا ندري إن كان موقفه هذا نابعاً من سيره وراء ركب مشروع محمد علي الذي لم يسع إلى إصلاح الأزهر طالما أن شيوخه راضون بأحوالهم.. أم أن هناك أمراً آخر.

ولا شك أن الدعوة الحقيقية لإصلاح نظام التعليم في الأزهر قد بدأت على يد الشيخ محمد عبده، والذي دعا إلى تدريس العلوم المدنية كالفلسفة والمنطق، والتاريخ، والهندسة، والجغرافيا، وكذلك دعا إلى تدريس مقدمة ابن خلدون في الأزهر، ولكنه وجد نفسه وحيداً فيقول: «ها أنا ذا كما تروني وحيداً ليس لي من الأساتذة من يساعدني، ولا من دعاة الخير من ينصرني، أريد أن أعلّم في هذا الجامع شيئاً نافعاً بدلاً من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى، ولكن هل أجد من يساعدني؟ وإن لم أجد فهل أفلح وحدي»[٣]. وقد حاول الشيخ حسونة النواوي (١٨٩٦ - ١٩٠٠م) إدخال بعض الإصلاحات التي يدعو إليها محمد عبده، وتدريس بعض العلوم المدنية، وبالفعل أدخل الفلسفة والمنطق، والجغرافيا، والتاريخ الإسلامي، ولكن حينما تولى مشيخة الأزهر الشيخ سليم البشري (١٩٠٠-١٩٠٢م) عاد إلى مهادنة الرجعيين والعودة إلى النظام القديم، ثم جاء الشيخ



محمد الببلاوي (١٩٠٢-١٩٠٥م) وتحمس لأفكار الشيخ محمد عبده، ولكن سرعان ما خلفه الشيخ عبد الرحمن الشربيني (١٩٠٥ -١٩٠٦م) وكان تقليدياً محافظاً يرفض أي إصلاح في الأزهر [٤].

ولكن من المهم أن نشير أنه في عام ١٩٠٤م ألّف الشيخ الأحمدي الظواهري كتابه الشهير (العلم والعلماء ونظام التعليم)، وكان في ذلك الوقت مدرساً بالمعهد الأحمدي بطنطا، وحاول الكشف عن عيوب نظام التعليم في الأزهر، والدفاع عن دعوة محمد عبده لإصلاح الأزهر، وقد دفع هذا الخديوي عباس إلى محاربته، وجمعت نسخ الكتاب لتحرق في ساحة الجامع الأحمدي بطنطا، ولكن مصادرة الكتاب لم تحل دون ذيوعه، وقد كشف الظواهري في كتابه مدى تدني وضعية علماء الأزهر، وحالة البغض والتحاسد والتناحر السائدة بينهم.

وينتقد الشيخ الظواهري حالة طلاب الأزهر، وحالة الجمود التي تنتابهم، وعدم الميل إلى الأخذ بالمستحسنات العصرية، والجهل بالكثير من الضروريات والعلوم النافعة [٥].

وفي ظل هذا الواقع كان من الضروري أن يدعو الظواهرى للإصلاح لأن عدم الإصلاح قد «يجعل الشعور الديني يتلاشى من نفوس كثير من المسلمين خصوصاً المتنورين، وأهل الطبقات العليا!، وذلك لأن تيار التمدن الأوروبي قد زحزح أمور الدين الثابتة لجهل الناس أن التمدن لا ينافي التدين، وأصبحنا نرى ونبصر أن الدين أصبح من الأحوال الشخصية، والأمور الاستحسانية التي تختلف باختلاف الأذواق [٦] ولهذا فإن إصلاح الأزهر يتحقق بإدخال العلوم المدنية كالهندسة، والرياضيات والتاريخ والجغرافيا.. إلخ. وذلك لأن طالب الأزهر يجهل كثيراً من هذه الأشياء.

وحين تولى الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الأزهر (١٩٢٨- ١٩٢٩م) عمل على إصلاح الأزهر، وإصلاح نظام التعليم فيه، لكنه لاقى معارضة شديدة من أنصار الجمود، وكان الملك أحمد فؤاد غير مرتاح لشغله هذا المنصب، فلم يوافق على الإصلاح الذي وضعه لنظام التعليم في الأزهر، ولم يجد الشيخ إلا أن يعتزل المنصب في عام ١٩٢٩م بعد أربعة عشر شهراً من توليته المنصب، وحين عاد شيخا للأزهر (١٩٣٥- ١٩٤٥) أخذ بشيء من الحرص في تنفيذ رأيه في الإصلاح، ولم يرَ أن يُغضب أهل الأزهر عليه هذه المرة، فخطى بالإصلاح خطوة لا بأس فيها، ولكنه لم يصل إلى الغاية التي أرادها الشيخ محمد عبده [٧]، وفي الفترة من (١٩٢٩ - ١٩٣٥م) ما بين فترتي المراغي تولى الشيخ الأحمدي الظواهري المشيخة، وفي عهده تحول الأزهر إلى جامعة، حيث تم إنشاء ثلاث كليات هي (أصول الدين) و(الشريعة) و(اللغة العربية).

ولعل من أبرز جهود إصلاح الأزهر ذلك الجهد الذي قام به الشيخ عبد المتعال الصعيدي (١٨٩٤ - ١٩٦٦م)، حيث انتقد الصعيدي قانون إصلاح الأزهر الذي صدر عام ١٣٤٢هـ ورأى أن إصلاحات هذا القانون لا تكفي، وحاول أن يرد على الجامدين الذين يقولون: إن تعلم علوم الدين فيه الكفاية، وإن اشتغالنا بغيرها تضييع لها، وهذا كلام يراه الصعيدي بعيداً عن

الحقيقة فيقول: «وحتى لو فرضنا أن هذه العلوم كفرية كما يظن البعض، ولكنها صارت سلاحاً قوياً في يد الخصم، به يصول ويجول على الديانات.. أليس من الواجب أن نعرف ما هو السلاح كي نقابله بمثله، ونرد كيد حامله في نحره، نعم يجب علينا ذلك، ويجب أن نلبس لهذا العصر لباسه، ونخلع عنا ذلك الثوب الخلق، فلكل زمان حال ولكل عصر دولة ورجال، ونرفض ذلك الزمن الذي كان العلم فيه وقفاً علينا»[٨]. وحاول الصعيدي أن يكشف كيف أن الإسلام كدين لا يتعارض مع الأخذ بهذه العلوم والمعارف، فالإسلام -عنده- أقرب الأديان إلى المعارف المدنية، لأنه أول دين لا يتعارض مع حكم العقل، ولا يرفض أي إصلاح يأتي من ناحيته.

ويكشف الصعيدي عن أهم أسباب الجمود في الأزهر -في تلك الفترة- فيرى أن أهم هذه الأسباب هي التقيد في العقائد بمذهب الأشعري، فيتربى الطلاب في الأزهر على الجمود على هذه العقيدة، وهذا الجمود على عقيدة الأشعري يجعل الأزهريين لا يطيقون أن يروا مخالفاً لها، لأنهم يرون أن كل من يخالفها فاسق آثم، مع أن في العقائد مسائل كثيرة فيها مجال للاجتهاد، وثاني هذه الأسباب التقيد في الفروع بالمذاهب الأربعة المشهورة فيتربى الطلاب في الأزهر على الجمود عليها، مع أن هناك مذاهب فقهية غيرها، وقد يكون فيها من الأحكام ما يكون أصلح للعمل بها، وثالث هذه الأسباب هي المبالغة في تقديس أسلافنا وعلومهم، فالأسلاف عند أهل الأزهر أعلى من أن يؤخذوا بنقد، وعلومهم لا يذكر بجانبها علوم غيرهم، ولا يمكن أن يسمح الزمان بمثلهم، أو مثل علومهم ولذلك يجب أن نقضي على الأسباب التي أدت بنا إلى ذلك الجمود العلمي والديني لتتسع عقول أهل الأزهر للبحث والنقد، ولا نقابل أي رأي جديد بالإنكار والاعتراض[٩]. وهكذا يدعو الصعيدي إلى ضرورة إقرار التسامح، وحق الاختلاف، ورفض الجمود على عقيدة أو مذهب فقهي، ورفض تقديس الأسلاف لأن ذلك يعيق عن التفكير الحر.

ويطالب الصعيدي بضرورة إطلاق العنان لأفكار الطلاب لكي يفكروا، ولا نقيدهم بحفظ الكتب والشروح، حتى نحررهم من أسر التقليد لأنه سبب تأخر التعليم في الأزهر، ويقول عن طريقة الحفظ والتلقين للشروح: «إن تلك الطريقة التي اتبعها المتأخرون في التعليم هي بدعة الاعتماد على المتون، فقيدوا بها المؤلفين والمعلمين، وجعلوا همهم أن يخدموها بمؤلفاتهم، وأن يكون همهم أن يتفهموا ألفاظها، ويحصلوا مسائلها، فضاع الاعتناء بجواهر العلوم، وحل محله الاعتناء بالألفاظ والمتون، وكان هذا مدعاة لضياع العلوم، وانحطاط المتأخرين عن المتقدمين»[١٠].

ولم تقف الدعوة إلى إصلاح الأزهر على شيوخه فقط، بل تعدى ذلك إلى شيوخه الذين تمردوا عليه، وخرجوا منه، فقد ذهب طه حسين إلى ضرورة تجديد الأزهر، وإصلاحه، خاصة بعد الهجوم الذي تعرض له من قبل الشيوخ في واقعة كتابه (نقد الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦م، فيقول: «ينبغي ألا تخاف الدولة من المحافظين، لأن الدولة كانت تخاف المحافظين في الأزهر، ولم تكن تمس الأزهر بالإصلاح إلا على إسراف في الرفق، وينبغي على الأزهريين أن يعوا أن مصدر تعليمهم القديم لا يعدهم للنهوض بالأعباء التي تفرضها المناصب الآن، ومن ثم ينبغي أن تمحى الفروق بين الأزهريين وبين طلاب المدارس الحديثة»[١١].

ولم يكن الشيخ أمين الخولي بمعزل عن هذه الدعوات لإصلاح الأزهر، فحين دعا الشيخ المراغي إلى مسابقة يكون موضوعها عن تطوير الأزهر عام ١٩٣٦م، ألّف (رسالة الأزهر في القرن العشرين) ليشترك بها، ولكنه اختير كعضو في لجنة تحكيم البحوث، فلم يتقدم ببحثه، واكتفى بنشره، وقد جاء تفكير الخولي في إصلاح الأزهر بعد فترة تفكير طويلة منذ أن كان يقيم في أوروبا (١٩٢٣ - ١٩٢٧م) فيقول: «قصدت إلى دراسة الخطط والأساليب التي تتبع في دراسات اللاهوتية، كما نظرت فيما حولي من الدولة الدينية - الفاتيكان- القائمة في عاصمة الدولة المدنية - إيطاليا- وخلال تتبع لهذه الدراسة اللاهوتية في أقطار أوروبا عشت فيها بعد ذلك كألمانيا، أو أقطار زرتها مجرد زيارة، وعمدت بعد الدراسة والتفكير للكتابة عن قضية الأزهر وإصلاحه»[١٢].

فقد نظر الخولي إلى حالة التدني الواضحة التي كان يعيشها طلاب الأزهر ومبعوثوهم في النظام التعليمي في الأزهر فيقول: «إن مبعوثي الشعوب الإسلامية إلى الأزهر يعودون إلى بلادهم غير قادرين على عمل حيوي لقومهم، أو يهربون أثناء وجودهم هنا إلى دراسات أخرى غير الدراسات الإسلامية، فكان لا بد من التطوير من أجل إمدادهم بمعارف حيوية مع التعليم

الديني ليكونوا في بلادهم أنفع لها،وأجدى»[١٣].

ويرى الخولي أن الأزهر كان دائماً عاملاً إيجابياً أو سلبياً في قيادة الحياة الاجتماعية المصرية ثم الإسلامية، وبيئة خاصة لها لونها وأسلوبها، تؤثر في الآلاف من المصريين، ترسم لهم حياتهم، ومثلهم العليا، ولهذا كان من الضروري أن يحدد الخولي الدور الذي على الأزهر القيام به في القرن العشرين، ويرى أن أهم دور يمكن أن يقوم به الأزهر في حياة المصريين الاجتماعية في ظل سيادة الروح الغربية في كافة المجالات، هو أن يحافظ على الروح الشرقية وذلك «لأن الأزهر يتأثر من ذلك بغير القليل، ولكن رغم هذا التأثر لا يزال يهيب به ماضيه، وحاضره، ومركزه، وتدينه أن يكون منطقة مصرية محضة، شرقية محضة، إسلامية خالصة، قدر ما تستطيع المصرية أن تعتز بنفسها، والشرقية أن تحتفظ بكيانها، والإسلام أن يعز، ويغلب أمام ما يغمرنا من روح غربية، ودعوة قوية للاقتباس المطلق للمدنية الغربية»[١٤]. ومن هنا يتضح أن رسالة الأزهر الاجتماعية عند أمين الخولي هي حماية الروح الشرقية والإسلامية من أثر المد الثقافي الغربي، على ألا يتعارض هذا مع نقل النافع من مكتسبات الحضارة الغربية، ورفض،ومقاومة الفاسد منها.

وإذا كان الشيخ أمين الخولي يرى أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا، ولا يبعد الدين عن الحياة الاجتماعية العاملة، فإن رسالة الأزهر الدينية تتصل بالناحية الاجتماعية، فليس الدين - عنده - إلا ناحية اجتماعية، ومن هنا كانت رسالة الأزهر الدينية هي تفعيل التدين في الحياة الاجتماعية، والحفاظ على الأخلاق، لأن أهمية التدين عند الخولي تكمن في حماية الأخلاق، والآداب بوازع نفسي، وعلى يد طبقة لها حرمة قلبية، وقوة معنوية، وتصحيح الحياة الاعتقادية لأفراد المجتمع، وإظهار أثرها بتصحيح الأعمال التعبدية، وجدوانا بهذا مساوية أو أكثر مما تفيده من الهيئات الأخرى في حماية الحوزة، والعدل، والجسم، والعقل، لأن طهر النفس، وسلامة القلب، ومتانة الخلق أقوى وأصح أساس تقام عليه هذه الحمايات كلها[١٥]، ولا شك أن رسالة الأزهر الدينية ستكون لها أهميتها إذا ركزت على تأسيس البناء الروحي للأفراد من حيث التركيز على الجوانب الأخلاقية، والنفسية، وهذا مهم لأن أي مجتمع قوي لا ينهض إلا على دعائم أفراد أقوياء.

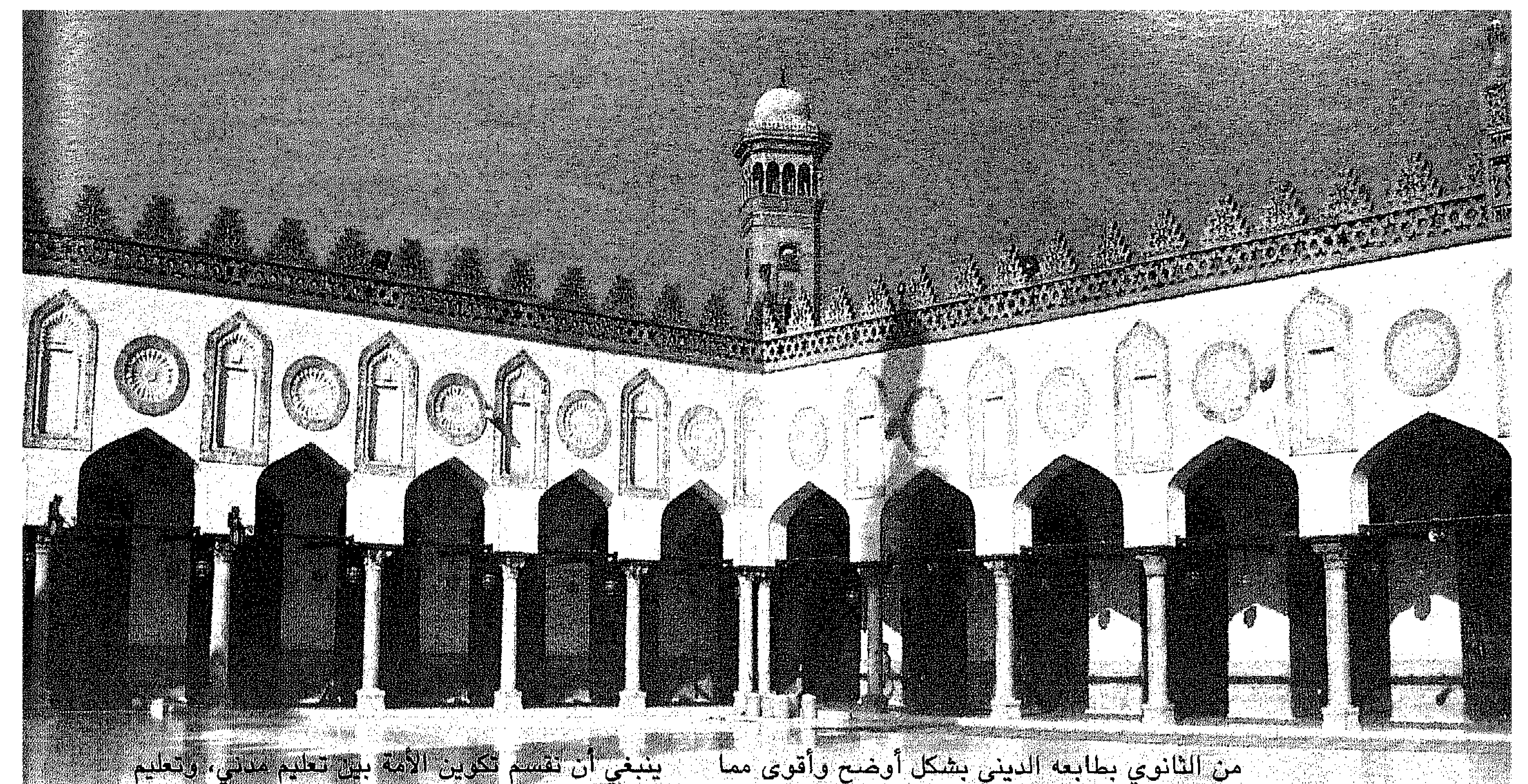
وأما عن رسالة الأزهر العلمية فلها جانبان:

- عملي: ويُعنى بإعداد معلمي الإسلام والواعظين به، والناشرين له إعداداً حيوياً يلقى به الإسلام المسيحية وغيرها من الأديان لقاء يؤيده الحق ويقره، وإعداد العارفين بالشريعة الإسلامية

- نظري: وهو تأسيس البيئة العلمية التي تكون مرجعا للشرق كله، والغرب كله في الدراسات الدينية الإسلامية من عقائد وشريعة، بحيث يعرف بشهادة الأزهر من له كلمة في هذه الدراسات[١٦]، والملاحظ أن الخولي يسعى إلى أن يكون الأزهر هو الجامعة العمدة في الدراسات الدينية والشرعية، ويكون ذلك تخصصها بالدرجة الأولى، على أن توظف هذه الجامعة تخصصات التاريخ، والأدب، والفلسفة، واللغة في خدمة العلوم الشرعية.

ولكن السؤال: ما هو تصور الخولي لإصلاح نظام التعليم في الأزهر الشريف؟يطالب الخولي بضرورة مسايرة الأزهر للنظام العام في التعليم المدني في المرحلتين الابتدائية والثانوية، ولكنه طالب بتقييد ذلك بعدة قيود.

١- أن يحتفظ الأزهر في الابتدائي، والقسم الأول



من الثانوي بطابعه الديني بشكل أوضح وأقوى مما قد يكون في المدارس العادية فتكون له العناية بالتربية الدينية لتلاميذه، وبالتالي تكون هذه العناية بالتربية الشرعية أكثر مما هو موجود في المدارس الأخرى.

٢- أن تكون اللغة الأجنبية اختيارية في الابتدائي، والقسم الأول من الثانوي، مع تمكين طالبه من أن يأخذ شهادة إتمام الدراسة الابتدائية دون امتحان في اللغة الأجنبية، أو مع امتحان فيها.

٣- أن يتميز القسم الثاني من الدراسة الثانوية الأزهرية تمايزاً أزهرياً واضحاً، ويقسم ذلك على حسب تقسيم التعليم العالي في الأزهر فيكون كل قسم منه إعداداً لقسم من الدراسة العالية[١٧]. ولا شك أن رغبة الخولي هي في توحيد التعليم في مراحله الأولى، لأن هذه المراحل هي التي تشكل وعي الطالب، فلا ينبغي أن نقسم تكوين الأمة بين تعليم مدني، وتعليم ديني، لأن هذا يؤدي إلى انشقاق وضع العلماء في مصر، وبهذه الرؤية يحاول الخولي أن يُكسب التعليم الأزهري طابعاً مدنياً واضحاً في مراحله الأولى.

وبالنسبة للتعليم الجامعي في الأزهر فلا يطالب الخولي بإنشاء كليات للعلوم الطبيعية، أو الرياضية، ولكنه طالب بأن يضاف إلى العلوم الدينية الدراسات الأدبية، واللغوية، والتاريخية، والاجتماعية حتى يتمكن علماؤه من الكشف عن البعد المدني الاجتماعي للإسلام، وإظهار الإسلام بصورة مشرقة تتفق مع العقلانية، والروح المدنية العلمية التي تسود العالم في تلك الفترة.

تلك محطات رئيسة لاصلاح الأزهرالشريف، من المهم أن نتذكرها ونحن فى بداية الألفية الثالثة عرفاناً بجهود هؤلاء العلماء.■

هوامش

١) عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الإصلاح في الأزهر، مطبعة الاعتماد، مصر بدون، ص٩.
٢) المرجع نفسه: ص٢٤.
٣) محمد عبده: إصلاح الأزهر، الأعمال الكاملة، جـ٣، ص٢٠١.
٤) عمار علي حسن: الدور السياسي للأزهر وضرورة المراجعة، مجلة الديمقراطية، الأهرام، عدد ١٢ / ٢٠٠٣م، ص٧٢ وما بعدها.
٥) محمد الأحمدي الظواهري: العلم والعلماء ونظام التعليم، نشر على نفقة د. فخر الدين الظواهري بدون ص٧٦-٧٧.
٦) المرجع نفسه: ص٤٩.
٧) عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٦م، ص٤١٣-٤١٤.
٨) عبد المتعال الصعيدي: نقد نظام التعليم الحديث في الأزهر الشريف، المطبعة العمومية بطنطا، ١٩١٨م، ص٢١.
٩) عبد المتعال الصعيدي: تاريخ الإصلاح في الأزهر، ص١٧٧.
١٠) عبد المتعال الصعيدي: نقد نظام التعليم الحديث، ص٣١.
١١) طه حسين: تجديد، دار الفرجاني، بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٤.
١٢) كامل سعفان: أمين الخولي ص٦٥.
١٣) المرجع نفسه: ص١٥١.
١٤) أمين الخولي: رسالة الأزهر في القرن العشرين، نسخة مصورة من مركز جمعة الماجد، بدون ص٤.
١٥) المرجع نفسه: ص٨.
١٦) المرجع نفسه ص: ١٦.
١٧) المرجع نفسه ص١٤.

عبث الأصمعي

قال الأصمعي: ما غلبني أحد قط إلا امرأة ورجل، فأما الرجل فإنّي كنتُ مُجتازاً ببعض الطرق، فإذا أنا برجل بطين كبير الهامة، طويل اللحية، بيده مُشْطٌ يمشطُ به لحيتَه، فقلت في نفسي: رجلٌ قصير بطينٌ ألحى فاستزْرِيْتُهُ، فقلت: أيّها الشيخ، قد قلتُ فيك شعراً. فتركَ المشط من يده وقال: قُل. فقلتُ:

كـأنّـك صـعـوةٌ في أصـل حشٍ
أصـاب الحشَّ طشٌّ بـعـد رشٍّ

فقال: إسمع جواب ما قلتَ:

كـأنكَ كُـنْـدُرٌ في ذَيْـل كـبْـشٍ
يُـدلْـدلُ هـكـذا، والـكـبشُ يمشي

الخطيب: متعة الأديب)



د. حسن محمد النابودة

مدير مركز زايد للتراث والتاريخ - العين

نصر بن حَجّاج

رُوي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما كان ذات ليلة يطوف في طرقات المدينة سمع امرأة، وهي تهتف من خدرها وتقول:

هـل مـن سـبـيـل إلى خَـمْـرٍ فـأشـربَـهـا
أم مـن سـبـيـل إلى نَـصْـر بـن حَـجّـاجِ
إلى فـتـى مـاجـد الأعـراف مُـقْـتـبـلٍ
سَـهْـل المُحَـيَّـا كـريم غير مِـلْـجَـاجِ
نمتـه أعـراق صـدق حين تـنـسـبـه
أخـي حـفـاظٍ عـن المكـروب فـرّاجِ

فقال عمر: لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن، فسيره إلى البصرة.

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر رضي الله عنه أن يبدر إليها بشيء فدست إليه أبياتاً تقول فيها:

قـل لـلإمـام الـذي تُـخـشـىَ بـوادره
مـالي ولـلـخـمـر أو نصـر بـن حـجـاج
إني عـنـيت أبـا حـفص بـغيرهـمـا
شـرب الحليـب وطـرف فـاتـر سـاجـي
إن الـهـوى زَمَّـهُ الـتـقـوى فـقـيده
حـتـى أقـر بـالجام وإسـراجِ

لا تجعـل الـظـن حـقـاً لا تـبـيـنـهُ
إن الـسـبـيـل سـبـيـلُ الخائـف الـراجـي

فبعث إليها عمررضي الله عنه قد بلغني عنك خيرٌ، إنّي لم أخرجه من أجلك، ولكن بلغني أنه يدخل على النساء فلستُ آمنهنّ، وبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيد الهوى وقد أقرَّ بألجام وأسراج.

ويقال: لما أنشدت هذه الأبيات قالت لها امرأة معها: من نصر بن حجّاج؟ قالت: رجلٌ وددت أنه معي ليلة من ليالي الخريف في أطول ليلةٍ من ليالي الشتاء وليس معنا أحد. وشاع خبرها حتى ضرب بها المثل نساءُ المدينة وقلن: أصبُّ من المتمنّية!

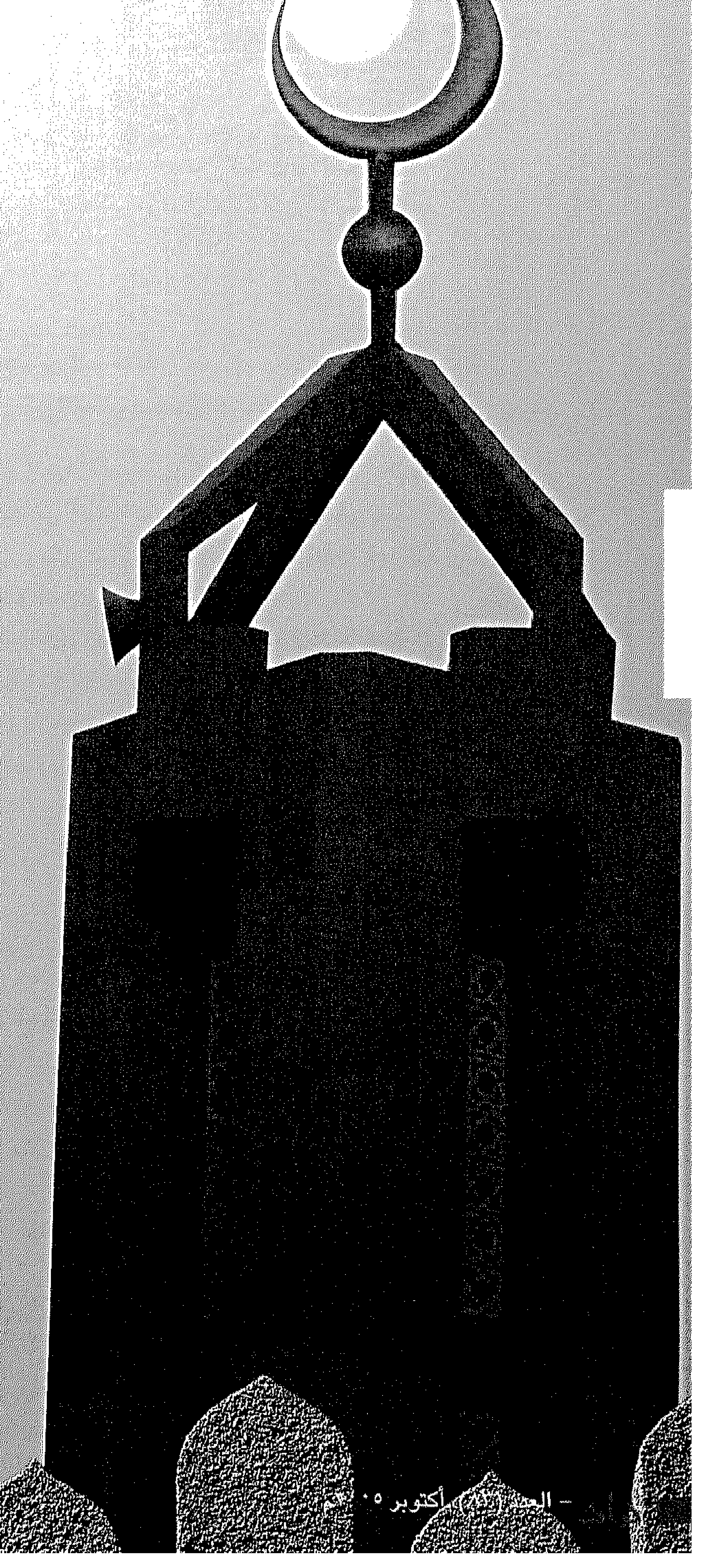
(ابن الجوزي: سيرة عمر)

كلامُ مظلوم ووجه ظالم

رُوي أن رجلاً وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المنتقب قبيحة المسفر، وكان لها لسان. فكأن الأمير مال معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها! فأهوى زوجها فألقى النقاب عن وجهها. فقال الأمير: عليك اللعنة، كلام مظلومٍ ووجه ظالم!

(البرقوقي: دولة النساء)■

المساجد..
بين شعراء العربية



■ بقلم: محمد عبد الشافي القوصي

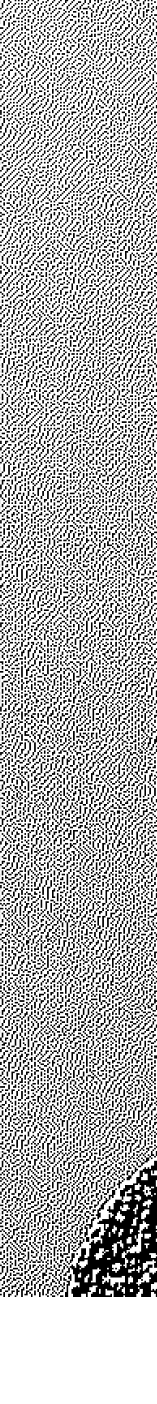
للمسجد في نفوس المسلمين منزلة رفيعة وجليلة لما حثّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. لذا تبارى الشعراء في جميع العصور على التغني بالمساجد وإعمارها وإصلاحها، فقلما نجد شاعراً إسلامياً لم يتغنّ بالمسجد في شعره فهو دعوة تؤكد دعوة الله تعالى لإعمار المساجد وحمايتها وفضلها ومكانتها.

فمثلاً نجد أن الشعر الذي قيل في المسجد الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم، هو أول شعر قيل في المساجد على الإطلاق. فقد شرع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بناء المسجد ولم يأمر أحداً بمشاركته البناء بل شاء أن يكون هو البادئ، وأن يقدم إليهم الأسوة ليحذوا حذوه، فلما شاهدوه يعمل بمفرده قالوا:

لئن قعدنا والنبيّ يعمل
لذاك منا العمل المضل

ولما شرعوا في البناء تحركت الشاعرية في الزبير بن عبد المطلب فقال:

فقمنا حاشدين إلى بناء
لنا منه القواعد والتراب
وقد حشدت هناك بنو عدي
ومرة قد تقدمها كلاب



وفي وصف (المسجد الأموي) الذي بناه الوليد بن عبد الملك الذي أولى المساجد عناية فائقة يقول الشاعر:

فيه الزبرجد والياقوت مؤتلق
والكلس والذهب العقيان مرصوف
يكاد يعشي بصير القوم زبرجه
حتى كأن سواد العين مطروف
وفضة تعجب الرائين بهجتها
كريمها فوق أعلاهن معطوف
وقبة لا تكاد الطير تبلغها
أعلى محاريبها بالساج مسقوف

وعندما أسس الصحابي (أبو أيوب الأنصاري) رضي الله عنه المسجد الأشهر في مدينة استانبول وكان محبوباً عند الترك حكاماً ومحكومين، نجد أن شيخاً من شيوخ الإسلام يسمى (أسعد أفندي)، ينظم أبياتاً بالعربية في أبي أيوب صاحب المسجد، وهذا دليل على إعظام وإكبار لغة القرآن والسنة، فأسعد أفندي يختار (العربية) ليعبّر عن مكانة هذا الصحابي الجليل في نفسه فيقول:

شهد المشاهد جاهداً ومجاهداً
ومكابداً بحروبه ما كابدا
حتى أتى بصلابة ومهابة
في آخر الغزوات هذا المشهدا

وكلمة (مشهد) في قول الشاعر هي موضع أبي أيوب الأنصاري وهو مسجده وفي ذلك تشريف له. وفي رحلة (أوليا جلبي) الرحالة القديم، وصف لجوامع استانبول، وعند ذكره لهذا الجامع يورد بيتاً من الشعر العربي هو:

رأينا جوامع الدنيا جميعاً
ولكن ما رأينا مثل هذا

وفي الشعر الحديث والمعاصر عن المسجد في الشعر لا بد أن نذكر أولاً (أحمد شوقي) الذي أفاضت شاعريته فيما يتعلق بالمساجد وخاصة (الأزهر الشريف) الذي أعجبه إذ لم يكن مسجداً للصلاة فقط بل كان معهداً للعلم، وحفظ العلم والدين على مر العصور وهذا ما لم يكن لجامع غيره، يقول شوقي:

قُم في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واذكره بعد المسجدين معظماً
لمساجد الله الثلاثة مكبرا

وفي مناسبة الاحتفال بعيده الألفي، نظم الأستاذ (علي فهمي) قصيدة عصماء تحت عنوان «الأزهر جامع الدين والدنيا» يقول فيها:

الله أكبر قد أقام الأزهرا
ليكون للإسلام روضاً مثمرا
وأصارهُ للمسلمين مناهلاً
يسقون منها العلم عذباً كوثرا
ومثابةً.. فيه الأمان لقاصد
يأتيه من أقصى البلاد مشمرا

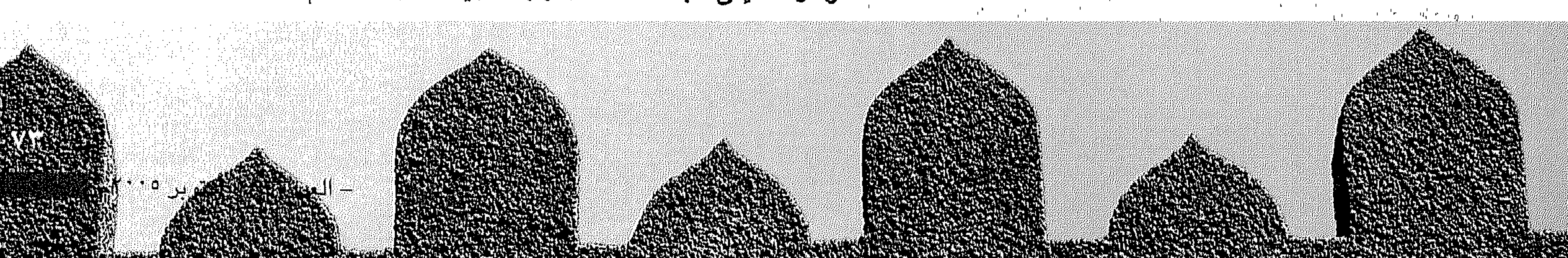
وبمناسبة مرور ألف عام على إنشاء (جامع الزيتونة) في تونس نظم نور الدين محمود قصيدة قد يصادفنا فيها تشابه كبير بينها وبين ما قيل في الجامع الأزهر للمناسبة نفسها، مما يدل على أن هذين الجامعين صنوان يفخر بهما بنو الإسلام، يقول الشاعر:

ألف عام في جامع الزيتونة
بالتعاليم والهدى مشحونة
وقرون ثلاثة ظل فيه
كمنار في اليم يهدي السفينة
يوم كانت بلادنا كشراع
في مهب العواصف المجنونة

ويفخر الشاعر التونسي بجامع الزيتونة الذي تخرج فيه جهابذة العلماء، وكبار القادة والمصلحين.. فذكر ذلك في قصيدة يقول فيها:

فكأني أرى «ابن خلدون» يصغي
لدروس قد أحكمت تكوينه
صيرته في الشرق والغرب رمزاً
لم تزل باسمه النهى مفتونة

و«أبو القاسم:» الذي جدد الشعر عشقنا بيانه ولحونه وللشاعر نور الدين محمود قصيدة بعنوان (صومعة) وفيها يشبّه جامع الزيتونة بصومعة مريد، ذلك أنها تشبه الصومعة التي يعكف فيها العباد والزهاد إلى عبادة الله عزّ وجلّ، ويأخذون أنفسهم



بالصيام والقيام، وبذلك يختص جامع الزيتونة بأنه بيت عبادة له مكانة عالية وشهرة واسعة، يقول الشاعر:

هذه زينة القرى والمدائن
تنشر الطهر فوق كل المساكن
تسكب النور في الظلام فتسري
بسمة الضوء في جميع الأماكن
نغمات الإيمان تنساب فيها
كل صبح والكون ساج وساكن
رفعوها إلى السماء فلاحت
كمنار في البحر يهدي السفائن

أما الشاعر الإسلامي المعروف (علي أحمد باكثير) فقد أعجب أيما إعجاب بالمساجد التي شاهدها في مدينة اسطنبول وكانت جوامع لم يشهد لها مثيلاً في العالم الإسلامي حسبما قال:

وكم بالاستانة من معان
أثارت في حنايای الشجونا
معانٍ ليس تَعْدِلُها معانٍ
تفجر في الفؤاد هدى مبينا
مآثر من بني عثمان شادت
من الدين الحنيف بها حصونا
جوامع مُشْمَخِرَّات حسان
خوالد من بناء الخالدينا
بفن عبقري مستمد
من الإسلام يهدي الحائرينا

وما من مرة تذكر القدس إلا ويذكر المسجد الأقصى، حيث نالت القدس مزيداً من عناية الشعراء بالقول فيها، حتى لا نكاد نجد شاعراً عربياً معاصراً لم يذكر مدينة القدس بقصيدة أو أبيات، وهذا شاعرنا عبد الغني الخضيري يقول:

لا أذوق الماء يوماً أو أرى
عسكر العرب على القدس خطيبا
لا أذوق النوم إلا ساعة
يرجع الأقصى لنا غضاً قشيبا
طرف المسرى وناهيك به
مسجداً عزّ على الدين رهيبا

ويقول الشاعر محمد علي اليعقوبي شعراً يتجه فيه اتجاهاً دينياً ويستهل كلامه بحثّ المسلمين على حماية الدين الحنيف على أرض فلسطين المقدسة والمسجد الأقصى:

صونوا حمى الدين الحنيف عن
تلاعب الشرك وأيدي الغير
والبيت والأرض التي شرفت
بالمصطفى والطيبين الغرر
والمسجد الأقصى الذي قد سرى
منه إلى العرش خير البشر

وللشاعر الفلسطيني (علي هاشم رشيد) قصيدة بعنوان «صيحة الإسلام» يذكر فيها القدس ويشير إلى مسجدها أو مساجدها، ولا يصرح بأنه المسجد الأقصى ولكن يبدو أنه هو، استنباطاً من كلامه.. إذ يتخذه رمزاً للإسلام الذي أهدر كرامته المغيرون والمحتلون، ويشحذ الشاعر همم المسلمين ويذكّرهم بدينهم ومسجدهم في قوله:

يا رجال الإسلام غابت صلاة
عن ربى القدس ثم غاب الصيام
غاب عن مسجد الإله سجود
وجفاه يا قوم ذاك القيام
فجهاداً كما تشاء المعالي
وانطلاقاً يزول منه الظلام ■

■ محمود إسماعيل بدر

الأطعمة الشعبية الرمضانية في الإمارات:

ثقافة اجتماعية وعادات وتقاليد

مثلما لكل شيء متعلق بالتراث ثقافة، فإن للطعام ثقافة خاصة وارتباط وثيق مع العادات والتقاليد، لا سيما إذا كان الموضوع مرتبطاً بالمناسبات أو الجانب الإنساني.. وفي مجتمع الإمارات.. كانت الأطعمة الشعبية نابعة من ترسيخ مفهوم التكافل الأسري والاجتماعي بين الأفراد والحفاظ على التواصل مع القيم الحميدة النابعة من أخلاق الإسلام. إن الاهتمام بدراسة الأكلات الشعبية هو جزء لا يتجزأ من الاهتمام بدراسة العادات والتقاليد الشعبية في أي بلد، ذلك أنها بمثابة القاسم المشترك لكل فئات المجتمع ومهما اختلفت هذه الفئات والطبقات في المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فإنها جميعها تلتقي عند الأكل على أنواع متعارف عليها، توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل بكل ما يرافقها من عادات وتقاليد وطقوس ومفردات في طريقة الصنع أو التقديم ومن المهم أن نعلم أن الناس هنا ما زالوا يقبلون على الأطعمة الشعبية رغم التقدم المتسارع الذي تشهده الدولة في كافة مناحي الحياة.



وقالت الوالدة (قروة السالم جمعة) وتعمل في المشاغل اليدوية في القرية التراثية التابعة لنادي تراث الإمارات.. حول أيام زمان الرمضانية.. «لقد كانت حياتنا بسيطة جداً.. فمنذ أول ليلة من شهر رمضان يقوم الناس بعد صلاة العشاء بأداء صلاة التراويح ومن ثم يبدأون في التزاور وتقديم الأكلات الشعبية مثل (الهريس) و(الفرني) الذي يسمونه أحياناً (المحلبية) وتصنع من دقيق العيش (الأرز) والحليب والسكر وفي وقت السحور يكون في العادة أخف من طعام الإفطار المكون من العيش والفريد (خبز مصنوع من القمح). إلى جانب المحلى من اللقيمات والتمور حيث إننا لم نكن نعرف أطعمة كثيرة مثل اليوم».

وتضيف: «إن أجمل ما في أيام رمضان هو ظاهرة التعاون بين الناس والاهتمام بالعائلات الفقيرة، فعند اقتراب موعد آذان المغرب توضع الموائد ويجتمع الجيران في بيت أحدهم ويأتي كل منهم بإفطاره، أما بالنسبة للموسرين فإنهم يقيمون الموائد في بيوتهم ويدعون إليها الصائمين للإفطار لديهم ويرحبون بهم متمثلين بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من فَطَّرَ صائماً فله مثل أجره».. وأشارت الوالدة (قروة) إلى أكلة (الهريس) باعتبارها واحدة من أكثر الأطعمة الشعبية شهرة في شهر رمضان.. وتحتاج إلى عملية معقدة لإعدادها، فهي تتكون من القمح المجروش واللحم، وفي الماضي كان حب القمح (الحب) يدق باليد ويستخدم في عملية دقه ما يسمى بـ (المنحاز) أو (الليوان) وكانت مهمة الدق هذه تستغرق وقتا طويلاً، ويؤتى باللحم ويوضع مع القمح المدقوق في قدر به ماء يغلي على النار ويضاف إليه قليلاً من الملح ويبقى هكذا حتى يذوب الخليط في بعضه، وبعد أن ينضج يصب الخليط (الهريسة) في (البرمة) وهي عبارة عن قدر من الفخار ذي فوهة صغيرة ثم يتم إنزالها داخل الحفرة (التنور) الذي يغطى بعد أن يهال عليه التراب وتظل الهريسة تحت الأرض لعدة ساعات ثم تخرج من داخل التنور وتضرب بقطعة طويلة من الخشب على هيئة كف تسمى (المضراب) ثم توضع الهريسة في أطباق مسطحة وتسوى بطريقة معيّنة ويضاف إليها كمية من السمن البلدي وتقدم طازجة.

أما الفريد أو (الثريد) فهو نوع آخر من الأكلات الشعبية وهو الثريد من الطعام أو الخبز المغموس بمرق اللحم، والخبز المستخدم في الفريد يعرف بـ (الرقاق) حيث يقطع إلى قطع صغيرة توضع في إناء ويصب عليها المرق ويقلب ثم يوضع فوق الخبز اللحم ويقدم للأكل. ويكثر عمل الفريد عادة في أيام شهر رمضان حيث يعتبر فطوراً لكثير من الناس ويُعرف الفريد في الكويت والعراق باسم (التشريب) وفي بلاد الشام (فتة) وفي المغرب (جوان)».

أما الوالدة (ظبية عتيق الرميثي) من المشاغل اليدوية فتقول: «إن من الأشياء الجميلة التي كانت تجمع الناس في الفريج الواحد.. كانت تتمثل في إعداد وتجهيز الطعام.. حيث الألفة والمحبة وروح التعاون بين الجيران والأهل، فكانوا يتجمعون قبيل الإفطار في مكان واحد أو ساحة تتوسط البيوت أو في بيت أحد الأشخاص ويقومون بتناول الطعام، وكان للنساء مكان مخصص لهن، وكان البعض يتعهد بفتح خيام للضيافة لكل المحتاجين والضيوف القادمين من أماكن بعيدة.. ومن الأطعمة المهمة (المجبوس) أو (المكبوس) وتلفظ (المتشبوس) ويتم صنعها بوضع اللحم في القدر على النار بعد وضع البزار أو البهارات والبصل والليمون اليابس (لومي) والملح والماء داخله ويطبخ المزيج حتى ينضج فيعاد اللحم مرة ثانية إلى القدر ويغطى بالفحم لمدة ساعة أو ساعتين ليكون بعد ذلك جاهزاً للأكل».

ونظراً لاعتماد الناس على خيرات البحر فقد استثمروا الأسماك كمفردة في الكثير من الأطعمة الشعبية. فمن شواء السمك على الحطب إلى أكلة عرفت بـ (المضروبة) وهي أكلة قوامها الطحين والسمك المملح (المالحة) حيث يؤخذ السمك المملح ويغسل ثم يوضع في الماء الذي يغلي على النار، ومن ثم تضاف إليه البهارات بأنواعها ويقلب الخليط بعد أن يصب عليه الطحين إلى أن ينضج تماماً ويصبح متماسكاً، كما يضيف البعض إليه قليلاً من الدهن ثم يوضع في أطباق مسطحة ويسوى بطريقة تجذب الناس إلى تناوله لا سيما كوجبة في العشاء. ومن الوجبات الأخرى وإن كانت بسيطة في مكوناتها إلا أنها غنية في محتواها مثل: الشوربة وكانت تسمى قديماً (الرشوفة) وهي من طحين البر والملح والسمن. وأيضاً (المزقوق) وهو عجين يخفف بالماء ويقطع قطعاً صغيرة ويوضع في مرق اللحم أو السمك بحيث يفور مع المرق لكي يصبح ليّناً سهلاً. و(الجريش) وهو أشبه بالبرغل وهو من القمح.

المحشي بالملح والكركم

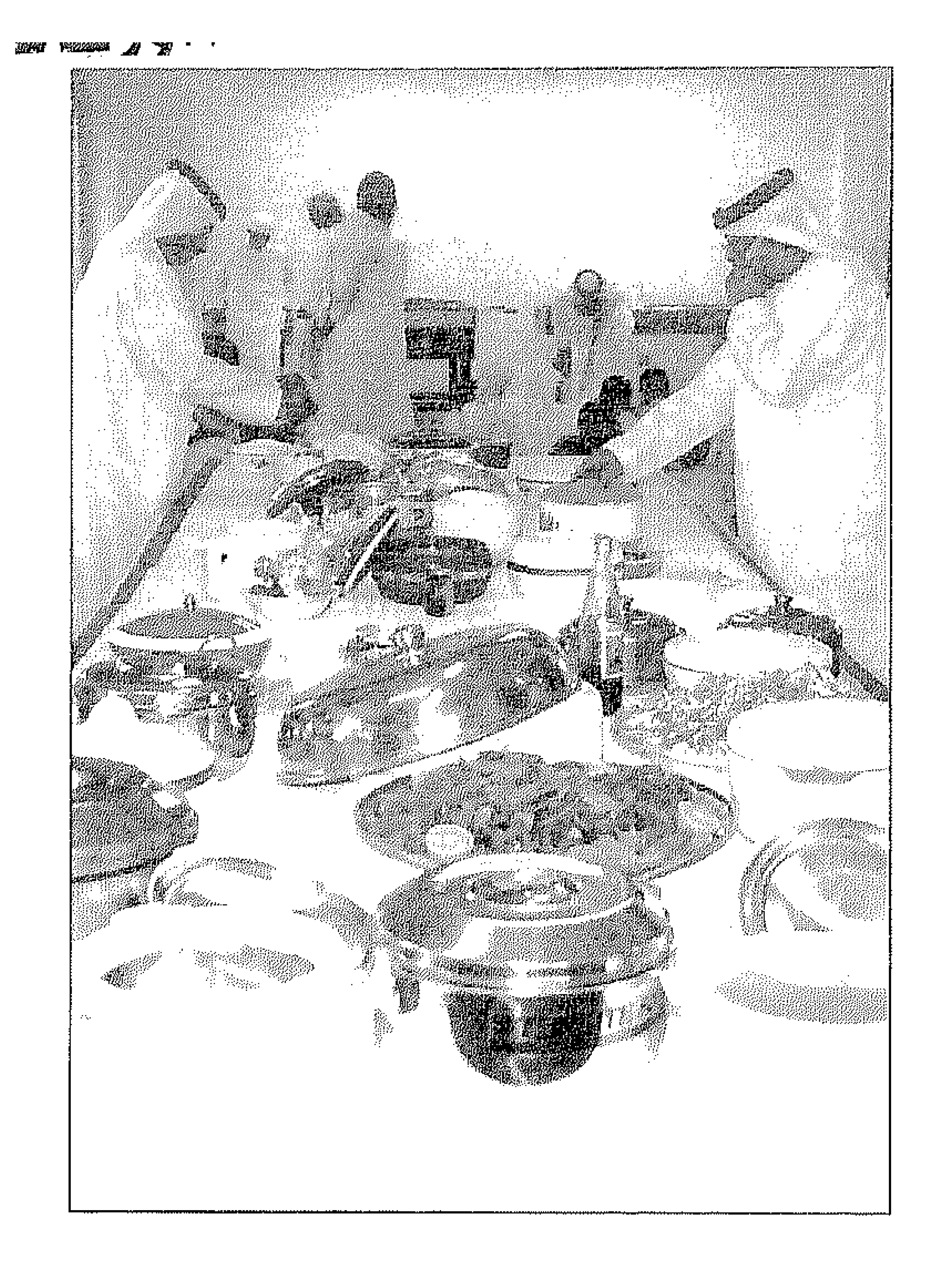
أما الأكلات الكبيرة والمكلفة وتشتهر أكثر في عيد الأضحى ومناسبات الزواج حيث كان يفضل كثير من الناس إقامة أفراحهم خلال رمضان والعيد فمنها (المحشي) فعندما تذبح الذبيحة تفرك بكاملها بالملح والكركم بكثرة وتترك لمدة ساعتين تقريباً حتى تجف من الماء ثم تحشى بالزبيب والبصل والأرز والبيض والهال والقرفة ثم تقفل وتفرك ثانية بالقرفة والهال ثم توضع في قدر كبير وتحتها خشبات حتى لا تلصق بقاع القدر ثم تدفن في حفرة مليئة بالجمر من ٦ إلى ٨ ساعات ثم تخرج ساخنة بعد أن تكون قد أخذت اللون الأحمر.

وعودة إلى الوالدة (قروة) التي تسعد كثيراً بصناعة الخبز الشعبي وتقديمه ساخناً لزوار القرية التراثية لا سيما خلال مهرجانها الديني الثقافي السنوي الذي تنظمه في شهر رمضان تقول: ومن أنواع الخبز:

خبز خمير وهو عبارة عن عجينة من الدقيق الممزوج بماء دافئ وقليل من التمر الذي يمرس في الماء وتترك هذه العجينة من الليل وحتى صباح اليوم التالي ثم تقطع إلى عدة قطع ثم تبسط هذه القطع على شكل دوائر ثم تقلب الواحدة تلو الأخرى على النار بواسطة (الطابي) والأخير عبارة عن الطاجن أو المقلاة وهو يصنع من الحديد الصلب ويوضع على الخبزة الواحدة قليل من مزيج البيض والماء حتى يتحسن مذاقها.

وهناك خبز الرقاق وهو أشهر أنواع الخبز وهو معروف لدى العرب منذ القدم وهو عبارة عن عجينة رخوة بعض الشيء تكال بواسطة اليد على شكل لقمة ثم تبسط على (الطابي المسطح) بواسطة اليد أيضاً وتترك العجينة على النار حتى تجف الخبزة ثم (تقش) بواسطة (المحماس) وهو عبارة عن يد مصنوعة من الحديد أو النحاس تحمس بها حبوب القهوة على النار وتؤكل الخبزة بعد أن يوضع عليها الدهن والسكر وتؤكل أيضاً على شكل ثريد.

أما (خبز محلّى) فهو عجينة رخوة الى درجة معينة تكال بواسطة الملعقة الكبيرة ثم توضع على (الطابي) وتبسط بواسطة قطعة صغيرة من سعف النخيل أو بواسطة أسفل الملعقة ثم تقلب الخبزة ويوضع عليها قليل من مزيج البيض والماء. كما يهتم الناس بتقديم (خبز جباب) وهو عبارة عن عجينة رخوة بعض الشيء



وتكال بواسطة علبة صغيرة وتصب على (الطابي) ثم تبسط العجيبة قبل أن تجف على الطابي الذي يكون على نار خفيفة فتجف الخبزة وتظهر منها (فقاعات) وتقلب على النار (الفحم) حتى تنضج ومن ثم تؤكل بعد أن يوضع عليها قليل من السمن البلدي والسكر.

الحلوى الرمضانية

ولا يكاد بيت من بيوت الإمارات يخلو من الحلوى طوال أيام السنة حيث لا تتم الضيافة إلا بتقديم الحلوى الشعبية قبل تناول القهوة وهي عادة حميدة ومتوارثة وتعتبر صناعة الحلوى جزءاً لا يتجزأ من التراث حيث يتوارث سر صناعتها الأبناء عن الآباء، وسر صناعتها يعتمد ويقوم على الخبرة والمهارة والذوق حتى تخرج الحلوى بنكهتها المعهودة وبدون أية عيوب فإذا زادت سرعة تسويتها على النار أو زادت كميات المواد الداخلة في تركيبتها أو نقصت تغير طعمها وفسدت الأكلة. وبالإضافة إلى الخبرة والدقة والملاحظة الشديدة أثناء الإعداد فإن صناعة الحلوى تحتاج إلى حسن التذوق ونظافة المواد والأدوات. وتصنع الحلوى من النشا والسكر والهيل والزعفران والفستق واللوز بالإضافة إلى الماء وكل بقدر موزون وأدوات صناعتها بسيطة تعتمد على (المرجل) لتقليب ما بداخله لمدة ٣ ساعات تقريباً أو يزيد مع التقليب

المستمر. ومن المهم أن نشير إلى أن طريقة صناعة الحلوى الشعبية ما زالت كما هي منذ سنوات طويلة ولم يدخل عليها أي تطور ولم تترك للأجهزة والماكينات الحديثة أن تتدخل لتفسد شيئاً من جماليات ومفردات هذه الصناعة. وتبدأ مراحل الإعداد بإذابة كمية من السكر في الماء ويعتبر المقدار سراً من الأسرار التي لا يبوح بها أحد من صناع الحلوى المحترفين. وعلى ضوء الخبرة والمقادير تختلف الأنواع والمذاق وشهرة الحلوى، ثم يضاف البيض لينقي الشوائب ومن ثم يضاف النشأ ويقلب جيداً حتى يبدأ مركب السكر والماء والنشأ في التخثر وبعده تضاف كميات من السمن مع استمرار عملية التقليب بواسطة (البسطان) وعندما تقترب من النضج يضاف إليها ماء الورد والمكسرات والزعفران بكميات تختلف من صنف لآخر أو حسب الطلب. وفي النهاية يضاف الهيل أو (الحبهان) وترفع الحلوى عن النار لتأخذ شكلها المعروف. ولكل نوع لون معيّن فهناك الحلوى البيضاء والصفراء والحمراء التي يطلق عليها أحياناً السوداء وكل له مذاقه واختلاف الجودة ما بين صانع وآخر ومدى الإلمام بسر الصنعة.

مائدة رمضان اليوم والأمس

وعلى الجانب الآخر فإن الوالدة (قروة) تأسف للتغير الكبير الذي حل بالمائدة الإماراتية في رمضان لا سيما في ما يتعلق بالأطعمة الشعبية وقالت: «لقد أصبحت الموائد الرمضانية بأصناف غريبة لم نكن نعرفها ذي قبل.. وهي أصناف لا أستسيغها وأفضل عليها الأكلات الشعبية التي أقوم بإعدادها منذ زمن طويل وبنفس المواد والنكهة المعهودة.. هذه النكهة التي اختفت من هذه الأكلات لأن الخادمات هن اللواتي يقمن بإعدادها وفق مواصفات حديثة وطرق غريبة تفقدها نكهتها وجمالها ورائحتها».

وتضيف: «وجبات زمان الرمضانية لم تكن مرهقة لرب الأسرة مثل اليوم فقد كانت المرأة تتولى كل شيء في هذا الجانب وكانت تعتمد على ما هو موجود في البيت والبيئة المحيطة، وأهم من ذلك أن الناس كانوا بسطاء ولديهم قناعة كبيرة ولديهم رضى كامل بنصيبهم لهذا كانت المائدة الواحدة توزع على الجيران والأهل لأن الناس كانوا متحابين متقاربين ويشعرون بأن شهر رمضان هو المناسبة الأهم للتكافل وتطبيق أخلاق الإسلام».

الخبيصة والخنفروش

في جانب آخر فقد عرف الناس الكثير من الأكلات الشعبية الرمضانية ففي مجال الحلويات فقد تصدرت (الخبيصة) تلك القائمة الطويلة من صناعة الحلوى وهي ضرب من الحلاوة الشعبية من الطحين والسكر أو العسل وماء الورد وأحياناً يستخدم الأرز بدلاً من الطحين حيث يقلى ويسخن قبل استعماله ويوضع الطحين على النار إلى أن يأخذ اللون الأحمر. ثم يضاف إليه الماء الساخن والسمن والسكر ويمزج الخليط على النار وللخبيصة مذاق طيب. أما (البثيثة) فهي عبارة عن حلاوة شعبية لذيذة قوامها التمر والطحين والسمن حيث يوضع الطحين على النار ويقلب بهدوء شديد حتى يأخذ اللون الأحمر ثم يرفع عن النار ويضاف إليه التمر ويخلطان معاً. ومن ثم (يمرس) المخلوط حتى يخرج (النوى) ونقصد به نوى التمر ثم يوضع الخليط في قدر خاص ويضاف إليه السمن ويقلب به ويقدم كوجبة مغذية للصائمين بعد الإفطار وأحياناً يقدمه البعض في جلسات السمر في المجالس الخاصة بالقصّ وسرد الحكايات حول الغوص وصيد اللؤلؤ وحلّ مشاكل البعض والنظر في مساعدة من يحتاج إلى مساعدة من الأهل والجيران وأهل الحي.

أما (الخنفروش) فهو من الحلويات الشعبية الطيبة المذاق والرائحة وقد اشتهرت في المناسبات الكبيرة مثل الأعراس وخاصة ليلة زفاف العريس نظراً لأنها من الأطعمة المكلفة في ذلك الوقت، كذلك اشتهرت في مناسبات مثل الاحتفاء بعودة عزيز بعد سفر طويل وفي رمضان ولكن عند بعض الموسرين القادرين. والأكلة قوامها الطحين الذي يضرب بالبيض والسكر (من المهم أن نعلم أن البيض في ذلك الوقت كان نادر الوجود وقلما يتوافر لجميع الفئات من الناس ولم يكن يوجد إلا البيض المحلي وهو غالي الثمن)، وفي بعض الأحيان كان يستخدم الأرز بدلاً من الطحين حيث يغسل ويوضع في الشمس ومن ثم يطحن حتى يصبح ناعماً جداً ومن ثم يكسر البيض في القدر المخصص لذلك ويضاف إليه الهيل والزعفران وماء الورد ويضرب المزيج مع الخليط السابق ثم يضاف إليه قليل من الخميرة، ويترك الخليط حتى يختمر ثم يقطع على أشكال دوائر ومثلثات وتوضع في السمن المغلي



على نار خفيفة حتى يأخذ اللون الأحمر ويقدم للأكل. وهناك أكلات أخرى معروفة مثل (الممروسة) و(الفقاع) و(اللقيمات) التي تشبه إلى حد كبير ما يعرف بـ (العوامة) أو (لقمة القاضي) في بلاد الشام.

وهناك أيضاً (المحمر بالدبس) وهو عبارة عن أرز يطبخ في الدبس مع الماء حتى يأخذ اللون الأحمر ويصبح مع الوقت ذا مذاق حلو. وأيضاً (القرص المفروك) وهو عجين يصنع كالقرص ويدفن في الأرض ثم ينفض عنه التراب ثم يفرك مع السكر والسمن. وعرف الناس أيضاً (الغميلي) وهو أشبه بالمحلى ولكن يخلط معه الزعفران وصفار البيض ويرش عليه قليل من السكر والسمن ليصبح رقائق لذيذة من الخبز المحلى. أما (الساقو) فهو من خلاصة البرّ (الحنطة) وحبيباته الصغيرة ويصنع كالحلوى ويخلط بالسمن البلدي والسكر. وأما (البرني) فهو من خلاصة البر مع الحليب والسكر وهو أشبه بالمهلبية.

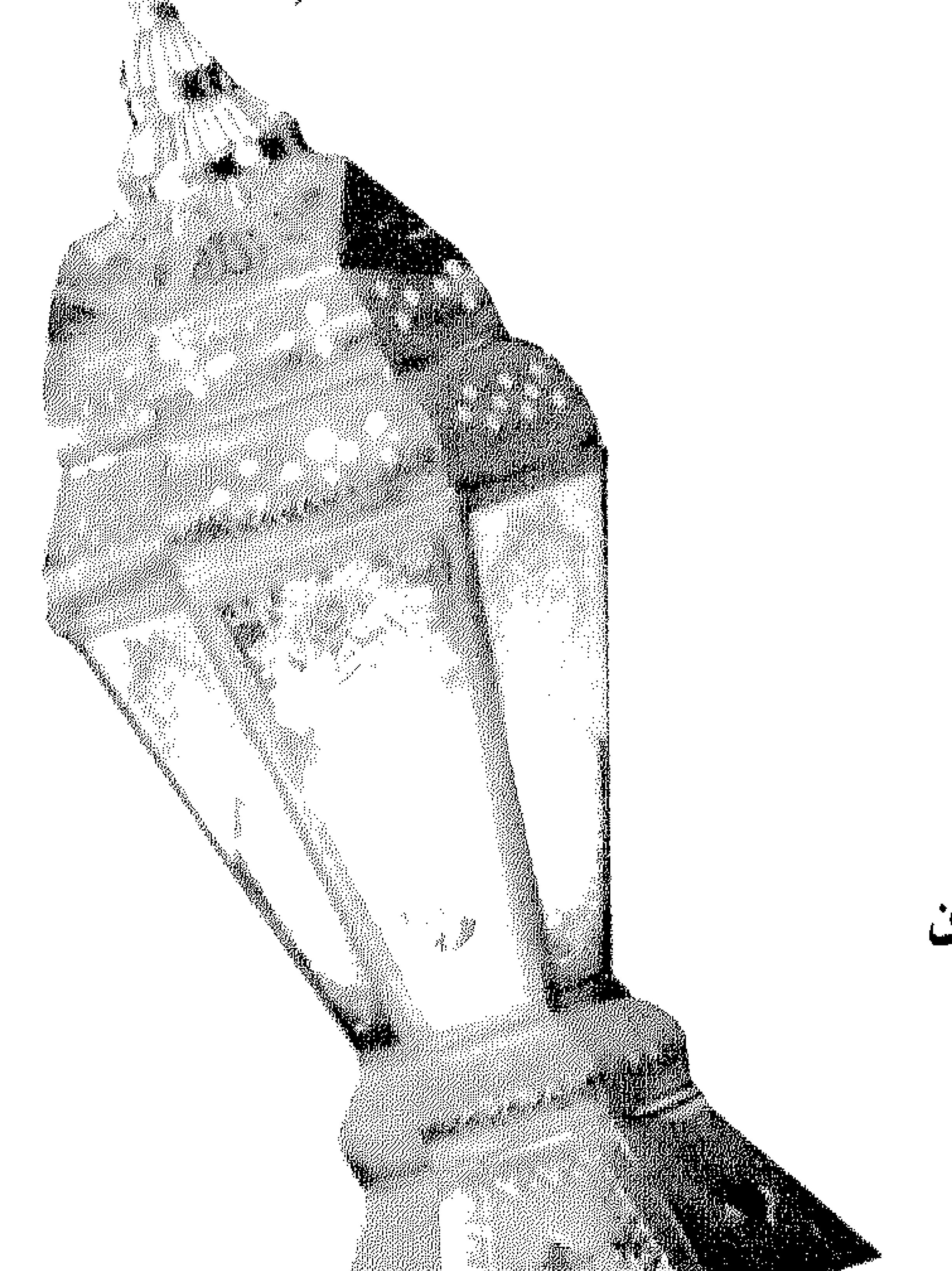
البلاليط

من الحلويات الشعبية التي ما زالت تتصدر المائدة الإماراتية في رمضان حتى يومنا هذا (البلاليط) وهي نوع من المعكرونة الشعيرية الناعمة وتصنع بالسكر والبيض والسمن والبصل والقرفة. وأيضاً (الرهش والبشمك) وهو أشبه بالحلاوة الطحينية، وأيضاً (السكر لمه) وهي أقراص تشبه كعك العيد الذي يصنع في كثير من البلاد العربية وخاصة مصر، كما توجد حلاوة (الجبيط) وهي خليط من عسل التمر والسمسم. و(ملبس أبوظبي) وكان يصنع تحديدا في أبوظبي والحبة منه في حجم البيضة الصغيرة وهو خليط من السكر والطحين.

وتبقى تقاليد الأسرة الإماراتية رغم ازدياد الاهتمام بتنوع المائدة من الأشياء الأثيرة والمحببة إلى النفس فهي تعيد إلينا عبق الماضي وأصالة التراث مع كل إطلالة رمضانية لا سيما في التشبث بعادة إقامة موائد الرحمن التي تلحق بالمساجد أو إقامة خيام خاصة لذلك أو إقامة الولائم في الساحات العامة لتفطير الصائمين أو كل من فاته وقت الوصول إلى بيته، إلى جانب الاهتمام بإقامة المجالس الرمضانية والحرص على إقامة (حق الليلة) فالاحتفاء بها في رمضان يرسم في النفس الانطباع بحسن الجوار والكرم وإدخال الفرحة في نفوس الأطفال وإخبارهم بطريقة مثلى حيث يشعرون في هذه الليلة أن رمضان يمتاز بالتواصل الاجتماعي وحب المواظبة على قراءة القرآن الكريم والصلاة ليكون شهر رمضان خطاباً شاملاً في جميع مناحي الحياة اليومية. ■

الألعاب الشعبية

رمضان والعيد في الإمارات



■ محمد رجب السامرائي

التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة متجذّر مع أصالة هذه الأرض حين كان الفريج الواحد يلمّ شمل العوائل ويضمهم بين جوانحه بكل ترحاب، والأولاد والبنات يلهون بألعابهم الشعبية تحت وابل المطر، أو لفحة الشمس القائظة. وفي رمضان يحلو السهر.. وتحلو ألعاب معيّنة للأطفال.. منها:

«سَحَرّوْه» المسحراتي:

من مظاهر ليالي شهر رمضان الفضيل، وعُرِف في الإمارات بأنّه الرجل الذي يدّق على الطبل (بيب من الصفيح)، ويردد بعض الأناشيد والأدعية وهو يوقظ الناس من نومهم في الهزيع الأخير من الليل قائلاً:

قوم اسحّر يا نايم
واذكُر ربّك الدائم

وقديماً كان لكل حي من أحياء الإمارات مسحره الخاص به، يركب على حمار ويطوف الحي، ويلحقه الأطفال الذين يرددون معه الأناشيد أو الأدعية المختارة.

الخاتم:

لعبة مشتركة بين البنين والبنات ولا تحتاج إلى مجهود جسدي أو عضلي، وتقوم على أساس لاعبين أو لاعبتين، و يستخدم البعض بدلاً من الخاتم حصاة صغيرة، أو حبّة خرز، حيث يجلس على سبيل المثال لاعبان في مواجهة بعضهما البعض، ومَن يبدأ اللعب أولاً يأخذ الخاتم بيده ثم يضع يديه خلف ظهره من أجل التمويه أمام اللاعب الآخر، ثم يمدّ يديه وهما مغلقتان ليختار اللاعب الخصم إحداهما، فإذا ما صح حدسه أو اختياره ينتقل اللعب إليه ليقوم بنفس العملية التي نفذها زميله، وعند الاختيار يقوم اللاعب الذي عليه أن يختار بترديد عبارة معينة مثلاً كأن يقول وهو يؤشر على اليدين بواسطة إصبعه:

«عـــــكـــــرة، بـــــكـــــرة،
قـــلّـــي، ربّـــي، عِـــد لـــلـــعشـــرة،
واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة».

وتكون الكلمة الأخيرة من عباراته هي اختياره، وأخيراً يُطلب من اللاعب أن يفتح يده فإذا أصاب اختياره انتقل إليه اللعب، وإذا لم يُوفق يستمر نفس اللاعب في اللعب وهكذا.

الصّويـــر:

تُعرف هذه اللعبة الشعبية باسمين آخرين هما (الغَزُّولهْ) أو (الكُوكْ)، وهي من الألعاب الجماعية التي تمارس خلال شهر رمضان المبارك بعشرة لاعبين. وتتكون لعبة الصُّوير من فريقين بعد رسم الملعب (الهول) وهو عبارة عن مربع أو مستطيل طوله يتراوح ما بين ٥-١٠ أمتار، ويكون أحد جانبي الملعب جداراً من الجدر، ويقسم اللاعبون حسب الاتفاق.

بعد ذلك يتم عبر طريق المرايسة -أي اختيار قائد فريق للأعضاء- ويختار كل واحد بكبر السنّ والقدرة على المراوغة في اللعب، ويختار كل من القائدين مرة واحدة، ثم يتم اختيار الثاني، ثم الأول، وهكذا يتم تقسيم اللاعبين عبر القرعة من خلال القطعية المعدنية أو العملة النقدية.

ويخرج الفريق الذي تكون القرعة لصالحه إلى طرف السكة (الزقاق)، حيث يتفق أعضاء الفريق على المكان الذي سيختبئون فيه، بينما يبقى الفريق الآخر في الملعب (الهول) في انتظار النداء للبحث عن أعضاء الفريق الآخر الذي يكون بعيداً عنهم بمسافة لا تقلّ عن ١٥ متراً، وأيضاً الفريق الذي في الملعب. ثم ينطلق اللاعبون للبحث عن أعضاء الفريق المختفي فيذهب كل لاعب في ناحية ويبدأ البحث بصراخ قائد الفريق الأول قائلاً:

كُوك..
كُوك

ثم ينطلق هارباً لينطلق خلفه أسرع اللاعبين من الفريق الثاني، بينما يبحث الآخرون عن لاعبي الفريق الأول. وإذا تمكن أحد لاعبي الفريق الثاني من الإمساك بلاعب الفريق الأول فالنقطة تكون لصالح الثاني، ويقوم أعضاء هذا الفريق بنفس الدور الذي قام به الفريق الأول. وإذا لم يتمكن الفريق الثاني من الإمساك بأحد لاعبي الفريق الأول



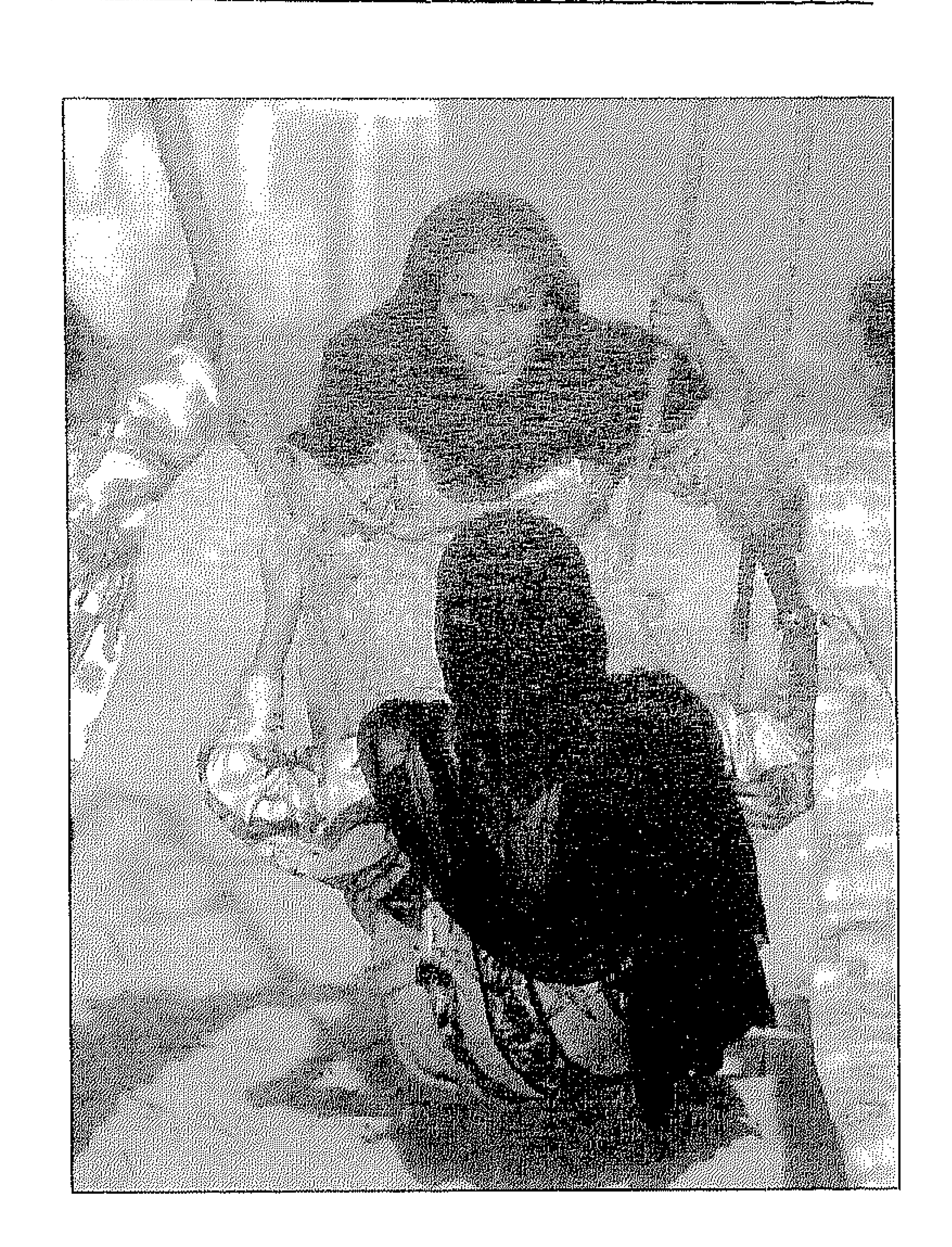
استطاع هذا الفريق أن يصل صوب الملعب دون أن يمسك أحدهم، فإنّهم يعيدون اللعبة لصالح الفريق الأول.

المدافع:

المدافع جمع مدفع وهو المعروف الذي يستخدم في دولة الإمارات في تحديد أيام الأعياد أو بدء غرّة شهر رمضان الفضيل، أو مدفع الإفطار أيام شهر الصيام الكريم.

وقد ابتكر الأولاد أداة لكي يعبّروا عن فرحتهم بحلول الأعياد عليهم فصنعوا المدافع لذلك. وطريقة عملهم لها هو أن يأتوا برقائق الرصاص من الصفائح، ثم تؤخذ تلك الصفائح ويذيبونها على النار حتى تنصهر، ثم يصبون الرصاص الذائب في مكان بالأرض حيث يضعون شكل مدفع فيها، بعدها يغرسون عود الثقاب في رأس المدفع وبمكان وسط ثم يسحبون الثقاب بحيث يبقى الثقب، ويترك الأولاد المدفع في الهواء حتى يجمد، بعدها يحاولون ملأ ثقب المدفع بكبريت أعواد الثقاب، ووضع مسمار داخل الثقب ويمسك أحد اللاعبين بطرف المدفع ويضرب رأس المسمار على الجدار فيحصل احتكاك بين المسمار والبارود -الكبريت- عندها تنفجر مادة

الكبريت الموجودة في الداخل فيحدث صوت مرتفع جراء ذلك العمل.



المريحانة «الدرفانة»:

تستخدم البنات لممارسة لعبة المريحان (الدرفانة) حبلاً متيناً وقوياً لربطه بغصن شجرة. والمريحان جمع مريحانه وتعني الأرجوحة. وتتألف المريحانة من عمودين من جذع النخيل، ينصبان على الأرض بصورة ثابتة، ثم يربط بالعمودين من الأعلى الحبل القوي ليتدلى نحو الأسفل ويكون على ارتفاع معقول عن الأرض بطول قامة البنت اللاعبة، ويتكون الحبل النازل من شقين، لكي تستطيع لاعبتان متقابلتان ومتشابكتان من حيث أرجلهن الممتدة نحو البعض، بعد أن يضعن أسفلهُنّ قطعة من القماش السميك – بطانية– ثم تُمسك كل بنت طرفيّ الحبلين، بينما تقف واحدة أو اثنتين لتدفعا البنتين الجالستين إلى أعلى (تشطان) بهما لترتفعا إلى أعلى يميناً مرة ويساراً مرة أخرى، ثم تتركانهما تشطان بأنفسهما، لينتهي دور البنتين الجالستين مع انتهاء النشيد الذي ينشدنّه بعد أن تمّ الاتفاق بين اللاعبات على ذلك، وهنّ يرددنّ قائلات:

نخلنا يا نخلنا
نخلنا الظليمان
فيها عويد الحنة
ومشربكة برمان
خلالتها بربيه
شمروخها بتومان
يا خوي وين ساير
ساير طوى الهمبا
نزرع ونقطع لومي
والحامض ما نبغاه
نبغي لومي حلوة
مزروعة بالشمال
عروقها في بمبي
مظللا في عيمان

وعند الانتهاء من المريحان تقوم اللاعبات باستبدال أماكنهن ليحدث العكس، أي الجالسات يدفعن واللتان دفعن يجلسن ليأخذن دورهنّ، وهكذا يستمر لعب المريحانة وسط الغناء.

وفي هذه الأثناء تكون المريحانة قد ارتفعت في الهواء للأمام والخلف وتستمر الفتاتان في الدفع وهن يرددن الأهازيج الشعبية بينهنّ بكل مرح وسرور.

مفتاح العيد:

يستخدم الأولاد لعبة مفتاح العيد خلال أيام عيد الفطر السعيد، وأيام الوقفة بعيد الأضحى المبارك وفي المناسبات الأخرى. ويحرص لاعبوها على توخي الحذر والحيطة من مخاطرها في تشويه الوجه أو اليدين أو العين.

وكان الأولاد على الأغلب يحضرون مفتاحاً معدنياً من الحديد أو النحاس مثقوب الرأس بعمق بوصة ونصف، وتثبت في حلقته السفلى عصاً أُدخِلَت بها بصورة جيدة كي لا يفلت المفتاح منها.

كما يضع اللاعبون مسماراً مُدبب الرأس وليس حاداً يربطونه بخيط بالعصا، ثم يأتون بعيدان الكبريت حيث ينزعون من رؤوسها مادة الكبريت ويضعونها داخل المفتاح من الأعلى، بعده يضعون المسمار فوقها ويضربون المسمار بباب أو جدار أو حجر فيحدث ذلك صوتاً لمادة الكبريت الموضوعة في المفتاح، ويطير المسمار لذلك قاموا بربطه حتى لا يؤذي أحد من اللاعبين. ■

نقود سلاطين كجرات



عبد الله بن جاسم المطيري
مدير بيت الشيخ سعيد آل مكتوم- دبي
عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

تعدُّ (كجرات) شبه جزيرة مفصولة عن باقي بلاد الهند، والطرق السهلة إليها هي وديان (تابتي) و(نارابادا) المتصلة بالبحر، وهذه الحواجز الجغرافية هي التي أخرت دخول الإسلام إليها. ترتبط (كجرات) بصلات وعلاقات تجارية مع شواطئ (مكارس) الجنوبية، وجنوب شبه الجزيرة العربية وباقي شواطئ المحيط الهندي. يعدُّ ظفر شاه أول سلطان مستقل لكجرات حيث أعلن نفسه سلطاناً سنة ٨١٠هـ، وتلقب بلقب مظفر شاه، ومن أهم أعماله انتصاره على (راجات الراجبوت) الأقوياء. توفي ظفر شاه سنة ٨١٤هـ وخلفه ابنه أحمد الأول الذي تولى الأمور ٣٢ عاماً قضى معظمها في الحروب. بنى مدينة اتخذها عاصمة له وسمّاها (أحمد آباد) وأكثر من زينتها وعمرها بالمباني الحديثة حتى أصبحت من أجمل المدن. دخل سلاطين كجرات في حروب مع البرتغاليين، واضطر محمود شاه لفتح مفاوضات معهم. أرسل الشاه إسماعيل الصفوي رسلاً إلى السلطان محمود إلا أنه رفض استقبالهم.

وفي سنة ٩١٧هـ أرسل السلطان مظفر الثاني برسالة إلى قانصوه الغوري السلطان المملوكي في مصر يستعين به على البرتغاليين، وبعد وفاة مظفر الثاني تولى الحكم من بعده ابنه سكندر شاه بن مظفر الثاني، إلا أن حكمه لم يدم طويلاً إذ تولى الحكم في ٢٣ ربيع الثاني سنة ٩٣٢، وتوفي ٦ شعبان من العام نفسه. دام حكم سلاطين كجرات ١٧٦ عاماً تعاقب على الحكم فيها خمسة عشر سلطاناً وملكاً.

ضرب سلاطين كجرات نقوداً من المعادن الثلاثة الذهب والفضة والنحاس، إلا أن الفضة والنحاس هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً، أما الدنانير الذهبية فهي نادرة وأكثر الدنانير ندرة التي سكّها السلطان سكندر شاه بسبب قصر فترة حكمه، تلقب السلطان سكندر شاه بأبي الفتح الواثق بالله المنان. تضم مجموعتي عدداً كبيراً من النقود الفضية والنحاسية وحوالي عشرة دنانير ذهبية.■

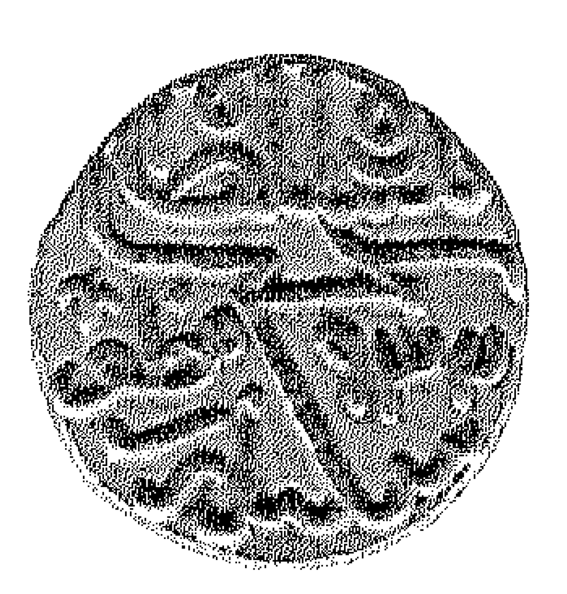


نموذج دينار السلطان سكندر شاه بن مظفر الثاني سنة ٩٣٢هـ



الوجه الأول

الواثق بالله المنان ناصر الدنيا والدين أبو الفتح



الوجه الثاني

السلطان سكندر شاه بن مظفر ٩٣٢

في صنعاء

أروى عثمان ترفض رفع الراية البيضاء

■ محمد السيد:

في البدء كان حلماً.. ثم قطعة أرض صغيرة لموظفة عادية حلمت يوماً ما أن يكون لها منزل يحتضنها وأسرتها.

لكنها باعت هذه الأرض وحملت عائدات مجموعتها القصصية الأولى (يحدث في تنكا بلاد النامس) الفائزة بالمركز الأول عن جائزة الشارقة للإبداع العربي ٢٠٠١م، ومع تحويشة العمر تحقق الحلم، فكان (بيت الموروث الشعبي) الذي بميلاده تحاول امرأة يمنية أن تُضيء شمعة تُبدد عتمة التراث وتزيل وحشته، وذلك في معركة لن تكون سهلة -باعتراف المرأة نفسها-!!

إنها أروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي، التي تكتشف أثناء محاورتك لها بأنها ليست كأي امرأة.. في داخلها عزيمة وإصرار غريب على مواصلة المشوار للمساهمة في إنقاذ التراث اليمني من الضياع.

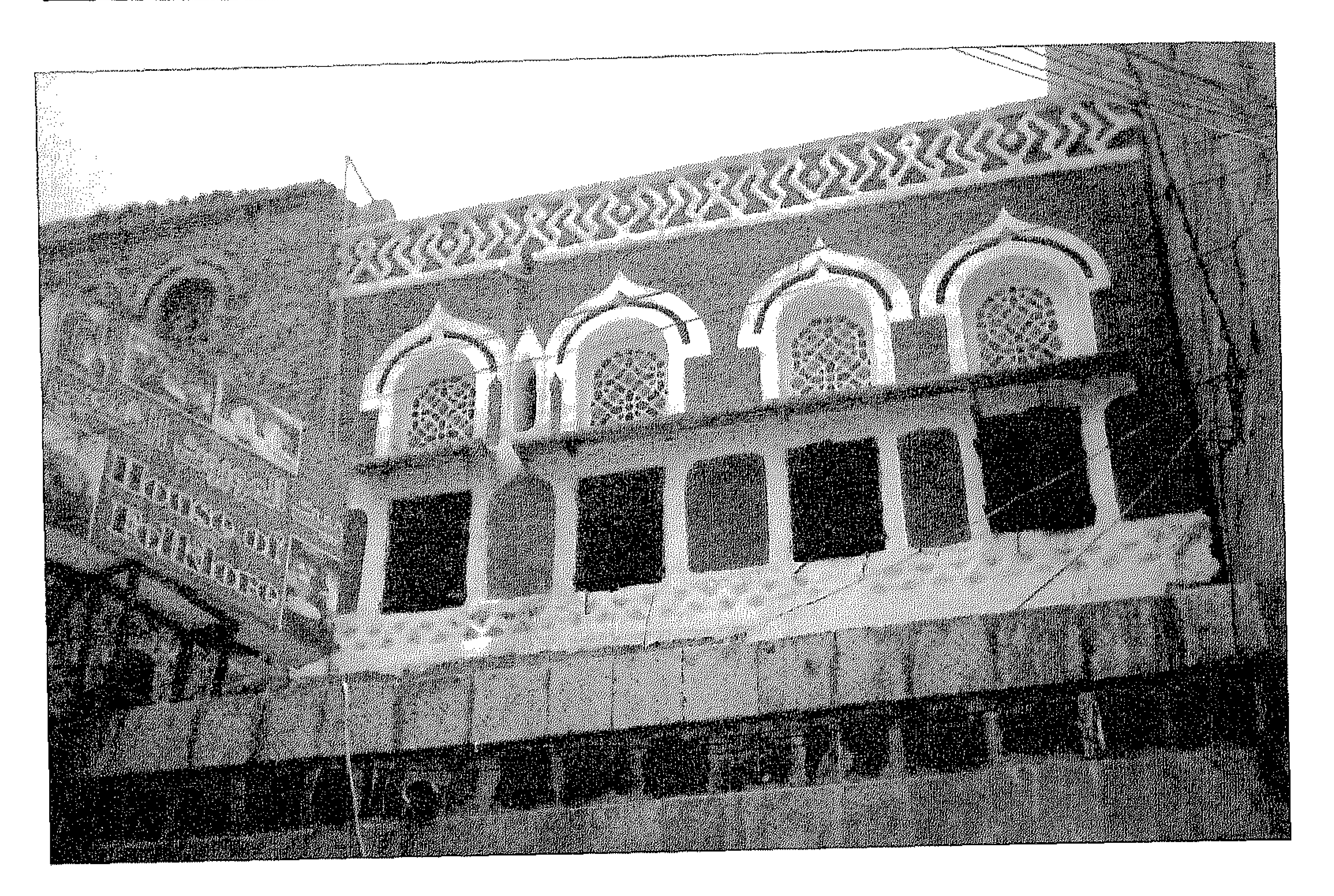
تعترف أروى بأنها تذوقت الانتكاسات كتذوقها للنجاح، وتعترف أيضاً بأنها تتعايش مع الإحباط، لكنها تكره الهزيمة والاستسلام لدرجة الغثيان، مؤكدة أنها لن ترفع الراية البيضاء في معركتها هذه حتى وإن كان الطريق مليئاً بالأشواك.

وإلى الحوار..حيث سألناها في البداية..

**** ما سرُّ عشقك للتراث؟***

- نشأت في بيئة شعبية تعشق القديم وتحتفي به، وفي حارة (سوق الصميل) بمدينة تعز (٢٥٠ كم من صنعاء) اعتادت عيناي على رؤية النساء وهنَّ يتوافدن على هذا السوق من كل مكان مرتديات أزياءهن التقليدية ليشكلن لوحة في غاية الإبداع والجمال. السوق كان أيضاً ملتقى للفرق الشعبية التي تأتي لإلقاء الأناشيد وقصائد المديح والمولد النبوي، النساء يرقصن رقصات شعبية جميلة بالملابس المطرزة الناطقة بالحياة، والرجال يزمرون ويرقصون ويدقون الطبول. ومن هنا بدأ الموروث الشعبي يحوز على نصيب من اهتمامي، وأذكر أن والدي كان يعطيني خمسين ريالاً كمصروف يومي للمدرسة، كنتُ أخصص جزءاً منها لشراء مشغولات تراثية كالفضة والملابس وغيرها، وأحتفظ بها في

أروى عثمان بالملابس التقليدية



غرفتي الخاصة، وأتزين بها في المناسبات حتى أصبح ذلك جزءاً من شخصيتي.

مرت السنون وازداد اهتمامي أكثر بالتراث الشعبي سواء كان ذلك من خلال كتاباتي في الصحف والمجلات، أو من خلال النزول الميداني، فسافرت إلى المحافظات والقرى اليمنية أُسجل من أفواه الشيوخ والنساء العادات والتقاليد والأغاني والأهازيج الشعبية وغيرها، خاصة تلك التي أوشكت على الانتهاء والاندثار.

بعدها عرضَ عليَّ التلفزيون اليمني فكرة إعداد برنامج عن الموروث الشعبي يُقسم على حلقات، فسافرت مع الطاقم التلفزيوني إلى الكثير من المناطق اليمنية، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتنا أثناء تسجيل هذه الحلقات، إلاَّ أنه لم يُذع منها أي حلقة إلى يومنا هذا!!

في الوقت نفسه حاولت خلال تلك الفتره تجميع ما أستطيع من الكتب والدراسات التي تتناول الموروث الشعبي بصفة عامة، وهُناك كانت المفاجأة، فالكتب التي تتناول هذا الجانب نادرة جداً وتكاد تكون معدومة، وجزء بسيط منها يعود إلى فترة الستينات والسبعينات، تغطيهاالأتربة، فالجزء اليسير الموجود في المكتبات ومراكز الأبحاث قد عفا عليه الزمن، وتندهش عندما تجد كتب الشعوذة والجن في كل مكان!!

بسبب عشقي للتراث بعتُ كل ما أملك وأنشأت بيت الموروث الشعبي

قرار صعب

***** متى اتخذت أروى عثمان قرارها بإنشاء بيت الموروث الشعبي؟***

- فكرة تأسيس بيت للموروث الشعبي كان حلماً سبقته تراكمات كثيرة، أهمها الواقع المخجل الذي يعيشه التراث إلى حد الوصول إلى الضياع والاندثار، هذا الوضع دفعني قبل نحو خمس سنوات إلى التفكير بجدية بإنشاء بيت أو مركز يُعنى بالتراث الشعبي، خاصة وأني خلال الفترة الماضية سخَّرت كل جهودي في تجميع التراث من كتب وملابس ومشغولات وغيرها، حيث داهمني شعور بإمكانية ضياع كل ذلك مني فجأة إذا لم أحتفظ به.

وهنا وجدتُ نفسي أمام قرار صعب جداً، فإما أن أبيع قطعة الأرض التي اشتريتها يوماً ما لتأسيس منزل يحتضنني أنا وأبنائي.. ولأنها لا تكفي كان عليَّ أن أضيف قيمتها إلى قيمة جائزة الشارقة للإبداع العربي التي فزت بها عام ٢٠٠١م عن

مجموعتي القصصية الأولى (يحدث في تنكا بلاد النامس)، بالإضافة إلى تحويشة العمر كما يقولون، وتخصيص ذلك في إنشاء بيت للموروث الشعبي، أو أن أتراجع وأتوقف تماماً، وهنا أكون قد حكمت على كل تلك الجهود والسنوات التي ضاعت من عمري بالإعدام! وأمام حالة التردد والخوف من الفشل، وجدت نفسي أخوض عراكاً داخلياً مليئاً بالتناقضات، إلاّ أن الإصرار على فعل شيء وحبي للتراث انتصر في الأخير فولّد بيت الموروث الشعبي الذي هو في الأساس بيت لكل اليمنيين، أما أنا فأنظر لليمن بأنها مسكني.. صحيح أنني أحلم بأن يكون لديَّ منزل خاص بي، لكن ما العمل في هذه الظروف!!

أهداف البيت

** وماذا عن أهداف البيت؟*

–يهدف البيت إلى توثيق التراث الشعبي، وخصوصاً التراث الشفاهي أو الأدب الشعبي كألوان الغناء والحكايات والأمثال والأساطير الشعبية، وكذا توثيق العادات والتقاليد كتقاليد الزراعة والمناسبات الاجتماعية والدينية، كما يحظى التراث المادي بجزء من هذا الاهتمام، حيث نسعى إلى توثيق وتدوين الأزياء الشعبية والمصوغات وطرق الزينة والنقوش والألعاب والفنون الشعبية والرسوم، والعمل على الحفاظ على الهوية الوطنية باعتبارها ذاكرة الناس الجمعية، وخلق قاعدة شعبية ورأياً عاماً بأهمية الموروث الشعبي وحمايته من الاندثار والنسيان والعبث والتشوهات التي تطاله بشكل مستمر، مع إيجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية علمية لمكونات الموروث الشعبي وجعلها في متناول الباحثين المهتمين. وبيت الموروث الشعبي ينقسم إلى أربعة أقسام أولها: الإدارة الفنية: ومهمتها تفعيل نشاط البيت الثقافي والبحث وإجراء التواصل مع المراكز والجهات ذات العلاقة.

يليها المكتبة الفلكلورية: وتُمثل نواة لمكتبة كبيرة في المستقبل تحتوي على الكتب والدوريات الخاصة بالفلكلور المحلي والعربي والأجنبي، بالإضافة إلى أرشيف صوتي وفوتوغرافي وتلفزيوني، أما وحدة الجمع والتدوين والتوثيق: فيتم فيها جمع وتدوين الموروث الشفاهي من أفواه المسنين، وأخيراً: المتحف الصغير ويضم العديد من المقتنيات وينقسم إلى: (المطبخ الشعبي)، والأزياء الشعبية، (رجالية ونسائية) التي تعود للعديد من المناطق والمحافظات اليمنية.

وضع مخيف!

** من خلال تنقلاتك بين المحافظات والمناطق اليمنية.. كيف وجدت حال التراث؟*

– أستطيع القول بأن التراث اليمني بمختلف أشكاله وأنواعه يعيش حالة ضياع ونسيان رهيبة كل يوم بل كل ساعة، تنتهي وتندثر عشرات الحكايات والأهازيج والزوامل والأغاني الشعبية! فالريف اليمني اليوم ليس هو الريف اليمني قبل عشر سنوات، لقد كنت تسمع في مواسم الزراعة أو الحصاد أصواتاً رجالية ونسائية مُغردة بالتراث، أما اليوم فقد هجر الجميع أغاني الحصاد والمهاجل الشعبية.

كما أن هناك الكثير من العادات والتقاليد كعادات الزواج والولادة والوفاة قد انتهت هي الأخرى!

نفس الشيء يكاد ينطبق على الزي التقليدي سواء للمرأة أو للرجل، حيث اندثر تماماً وتوقف عن الاستمرار والإنتاج بسبب وفاة معظم الحرفيين والصناع الذين كانوا يمارسون مهنة صناعة الأزياء التقليدية. هناك تراث قيِّم وثمين يتعرض يومياً للانتهاك والتدمير والإهمال، بسبب طغيان الحداثة على كل شيء، وأصبح الاعتقاد السائد أن الأشياء القديمة مهما كان جمالها لم يعد لها قيمة في عالم اليوم، والكارثة أن الناس لم يفهموا الحداثة بمعناها الحقيقي، لتجدهم يعيشون في عالم آخر من خلال لبسهم وأكلهم وشربهم ومسكنهم، فمارسوا حياتهم بعشوائية فلا هي بالحداثة ولا باللون التقليدي.. كل ذلك أفرز نوعاً جديداً من التفكير والثقافة في المجتمع، فالمباني القديمة التي أبدع في معمارها الأجداد، هدمها الأبناء بمعاول الحداثة وراحوا يُشيدون بدلاً عنها بيوتاً من الإسمنت والخرسانة المسلحة الصماء، والمؤسف أن تشاهد في بعض المناطق مباني تهدم يصل عمرها إلى أكثر من ٣٠٠ عام، والكارثة أن الأمر لم يقتصر فقط على المنازل التي كانت تنطق بالحضارة والجمال. إنه شيء مخيف فعلاً، أن يأتي اليوم الذي نُصبح فيه بلا ذاكرة! لذا فإن الوضع يتطلب تحركاً عاجلاً من الجميع بدءاً من الجهات الرسمية وانتهاءً بالمواطن العادي للعمل على إنقاذ التراث وإحيائه، كما أن ذلك يحتاج أيضاً إلى فرق عمل مؤسسية وإلى طابور طويل من الباحثين للعمل على تدوين وتسجيل هذا التراث وتوثيق كل عناصره.



جلسة حوارية نسائية في بيت الموروث الشعبي باليمن

صعوبات!

*** هل واجهتك صعوبات أثناء تنقلاتك بين المحافظات؟**

- لقد وصلتُ إلى مناطق بعيدة، وصعدت أماكن وعرة وقاسية بسببها كادت السيارة التي كانت تقلني أن تنقلب وتسقط أكثر من مرة، وتحديت هذه الصعاب واستطعت أن أدخل مناطق قبلية مغلقة ومحرمة على دخول الرجال والغرباء، في هذه المناطق تمكنت من خلق علاقة حميمية مع الناس، خاصة النساء.. لقد أكلت من أكلهن وشربتُ من شُربهن، فهن جزء من تكويني.. تقاليدهن، أفراحهن، أحزانهن تناقضاتهن، أشعر وكأنها جزء مني.

كُنتُ أقضي أياماً وأنا بعيدة عن أهلي وأسرتي لجمع وتدوين هذا التراث.. ووصل الأمر إلى أن أجبرتني الظروف على النوم في أماكن مليئة بالحشرات، وتناولت أكلاً وماءً ملوثين حتى أحصل على المعلومات التي أُريدها!!

التراث الشفهي

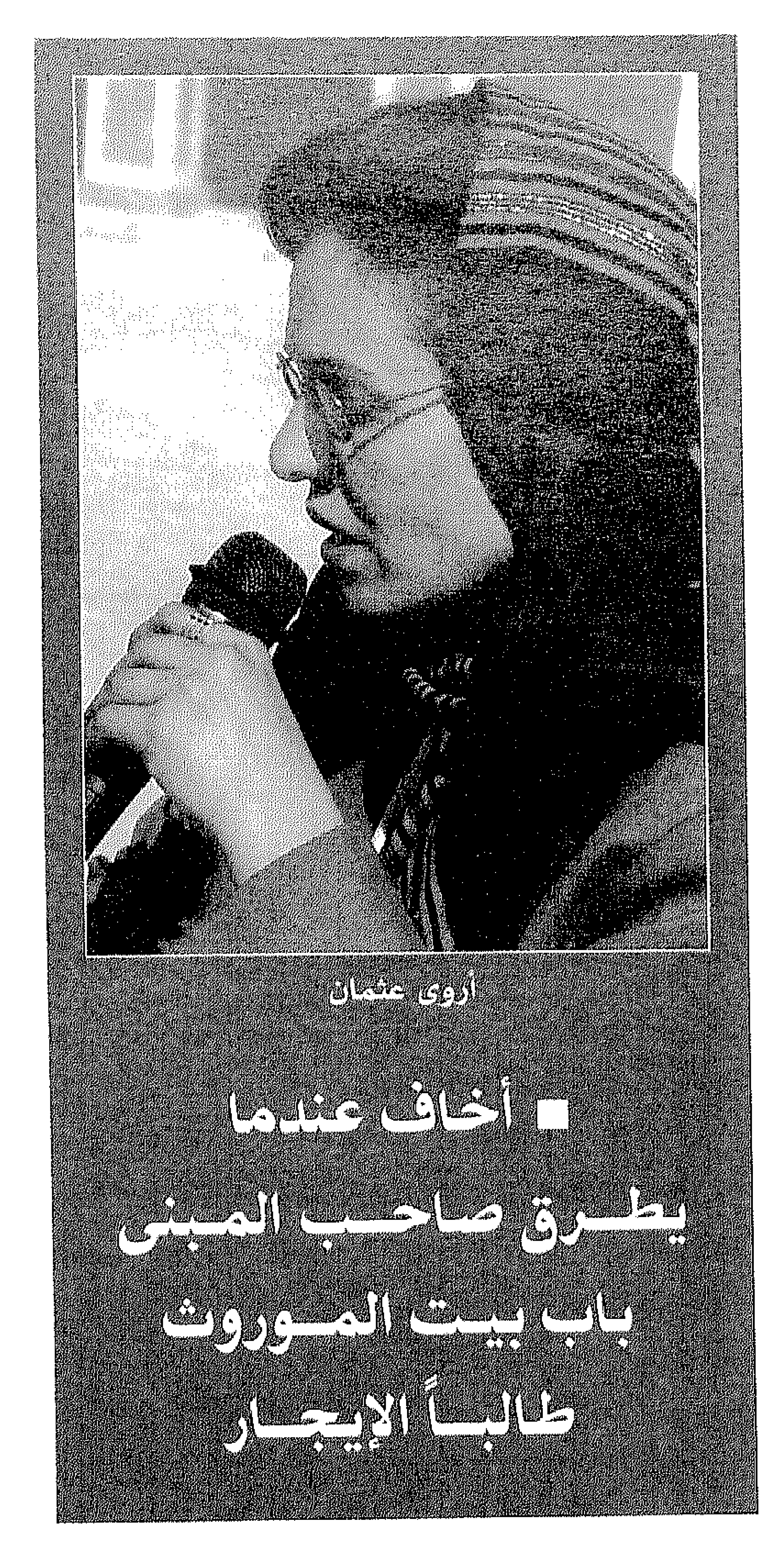
*** لماذا تركزين على التراث الشفهي بالذات؟**

- لقد وجدتُ أن التراث الشفهي أكثر عُرضة للاندثار من التراث المادي، فالأقوال والأمثال والحكايات والأغاني الشعبية تموت بموت صاحبها، وهذا ما حصل فعلاً لهذا النوع من التراث في اليمن الذي أوشك على الانقراض رغم غناه وثرائه.

لهذا السبب تجدني أُركز على هذا النوع من التراث أكثر من الأنواع الأخرى، حيث أقوم بتدوين الحكايات والروايات والأساطير والقصص والأغاني والمواويل وغيرها، وأهدف قريباً إلى إصدار كتاب عن الحكايات الشعبية في اليمن.

■ أخشى أن يأتي اليوم الذي نعيش فيه بلا ذاكرة

■ دخلت مناطق قبلية محرّمة على الغرباء ونمت وسط الحشرات



أروى عثمان

■ أخاف عندما يطرق صاحب المبنى باب بيت الموروث طالباً الإيجار

اتهام

*** أنتِ متهمة بالتحيّز لتراث النصف الآخر.. ما تعليقك؟**

- المرأة اليمنية تكاد تكون مصدر التراث الشعبي ومنبعه، وظلّت على مر السنين خزانة أمينة عليه، ولا أكون مبالغة إذا قلت بأن المرأة أكثر حفاظاً على التراث من الرجل الذي هجر التراث والعادات والتقاليد كونه يتغرب في المهجر على الدوام.

فعلى الرغم من صعوبات الحياة الريفية وقساوتها، إلاّ أن المرأة هنا تحاول أن تكون (شهرزاد) أخرى، فتجدها في الأرض تنشد التراث مُرددة الأغاني والأشعار الشجية، مُرتدية لزيها التقليدي بكل اعتزاز، وفي نفس الوقت تجدها لا تزال تحتفي بتلك العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج والولادة والوفاة وغيرها متحدية صرعات الموضة وغزو الحداثة، ولا أحد يشعر بها، لذا فأنا هنا أحاول أن أجعل الجانب المهمش يحتفي بنفسه في ظل سطوة الثقافة الذكورية!!

مشكلة تؤرقني!

*** هل تخافين من الفشل؟**

- لا.. لكن أكثر ما أخاف عندما يأتي مالك المنزل (بيت الموروث الشعبي) نهاية الشهر ليدق الباب طالباً مني الإيجار، وهذه مشكلة تؤرقني كثيراً بسبب عدم توفر أي ميزانية تشغيلية للبيت، الذي أصبح مهدداً بالإغلاق بين لحظة وأخرى. وإلى اليوم لايوجد لديّ أي موظف، فأنا من أرتب البيت وأعد المقهى الشعبي، وأنا من يستقبل الزوار ويعقد اللقاءات و.. لقد أُنهكت تماماً وضاع من عمري ما بين ٨ إلى ١٠ سنوات من شدة الضغوط والعمل المتواصل.

وحيدة!

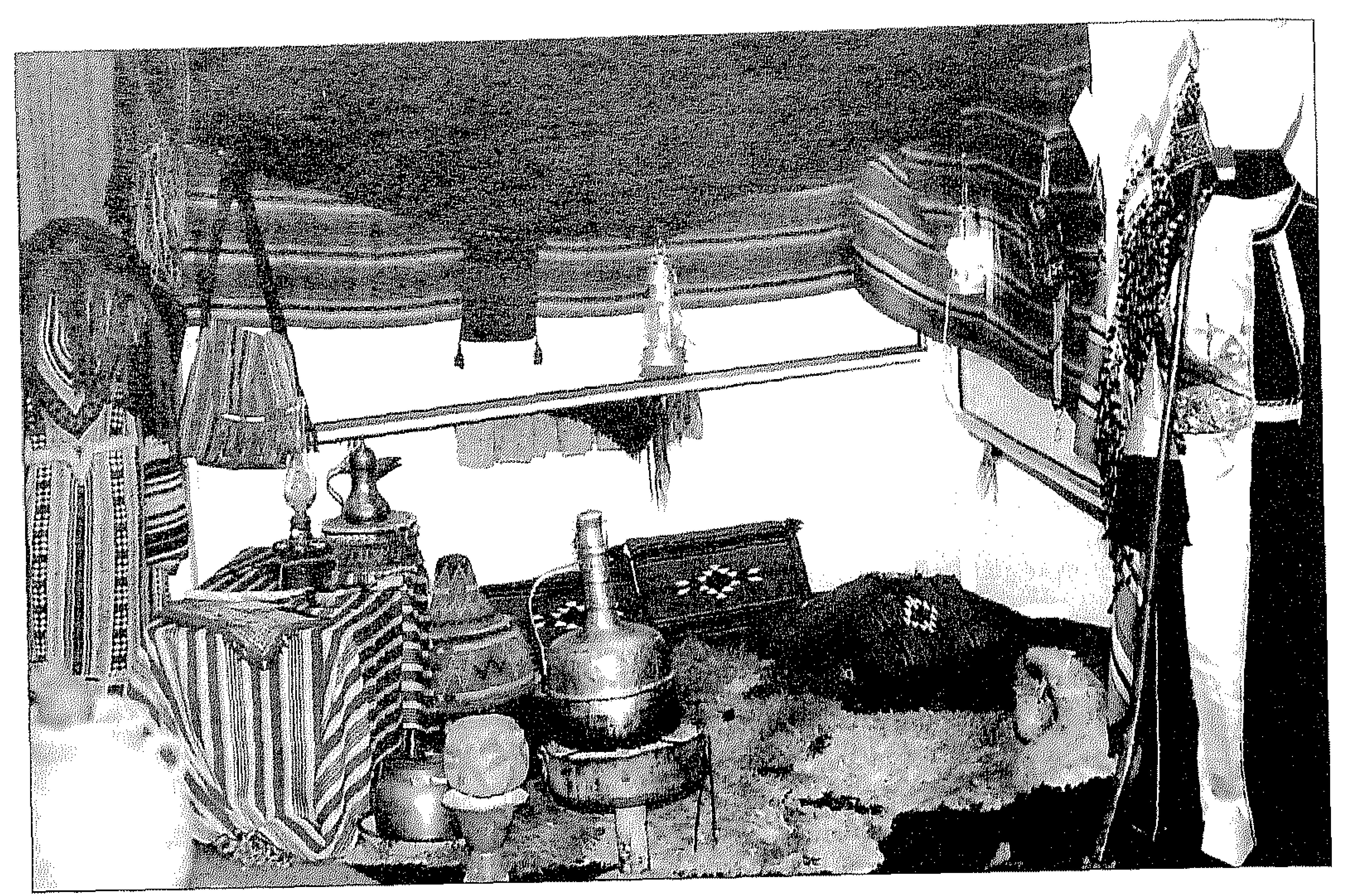
*** أفهم من حديثك بأنكِ وحيدة في معركتك هذه؟**

- صحيح.. هذا ما أشعر به فعلاً، أنني أجد نفسي وحيدة.. أقف أمام مهمة صعبة ومعقدة، لينطبق عليَّ المثل اليمني الشهير «امرأة ترقص في الغدرة - أي الظلام».. فلا أحد يراها أو يشعر بها!

ومع ذلك أؤكد بأنني لا استسلم أو أضعف سريعاً، حيث اعتدتُ على قسوة الحياة منذ الصغر فنَمَتْ داخلي روح المقاومة والتحدي، صحيح أن الإحباط يؤثر عليَّ وأنتكس ويأخذ مني مساحة من الحزن والألم، لكني في النهاية لا أوهن أو أضعف لذلك! بل أجد نفسي في فترة من الفترات أشبه بالعنقاء، أنفض عني الغبار وأبدأ مشواري من جديد بفضل طاقة من الإصرار والعزم على مواصلة النضال، لا لشيء ولكن لأني أؤمن بقضيتي ورسالتي النبيلة. وكل ما أتمناه هو أن تظل أبواب بيت الموروث الشعبي مفتوحة أمام الزوار والباحثين والمهتمين بالتراث، وأن لا تغلق أبوابه بسبب عدم توفر إيجار المبنى، فهو بالنسبة لي كطفل صغير بدأ ينمو وإغلاقه يعني وفاة هذا الطفل، لكن أنا على ثقة بقدرتي على تجاوز ذلك!

قلق!

*** أمام هذه الضغوط والتزامات العمل.. كيف**



من محتويات بيت الموروث الشعبي اليمني

تقضين وقتكِ؟

– لا أكون مبالغة إذا قلت لك أشعر بأني أختزن عشرين امرأة داخل امرأة واحدة! حياة رغم لذتها مُرهقة ومتعبة، لا تجد فيها فرصة لاستراق دقائق تقرأ فيها أو لحظات تتأمل من خلالها مشهد سقوط المطر أو التمتع برؤية جمال القمر.. همٌّ وقلق متراكم ومختزن بصورة يومية. أشعر في بعض الأحيان وأنا أقوم بتأدية مهمتي هذه وكأنني أحمل صخرة ثقيلة تتدحرج من بين يدي وتسقط عليَّ!! بعض الأوقات تجدني متوترة عصبية! بيت الموروث الشعبي أخذ كل وقتي سواء كنتُ داخله أو خارجه..، لم أجد لحظة استرخاء بحيث أبدأ معاودة كتابتي أو أمارس بالأحرى آدميتي، لأني عندما أكتب أُصبح أكثر إنسانية، فأنا في الأصل كاتبة قصصية.

لن استسلم!

** هل تتوقعين أن يأتي اليوم الذي ترفعين فيه الراية البيضاء؟*

– تعرضتُ للكثير من المطبات والانتكاسات في حياتي، لكني لم أضطر إلى رفع الراية البيضاء قط تحت أي ظرف من الظروف، أتمنى أن لا أجد نفسي يوماً في هذا الوضع! ربما قد أنكفئ أو أُصاب بالإحباط وأشعر بالخوف من الهزيمة والضعف، لكني لن أرفع هذه الراية وأعلن الاستسلام بسهولة!.. أشعر بأنه يمكن أن أموت ولا أتوقع أن تأتي اللحظة التي أُعلن فيها فشلي وهزيمتي! صحيح كنتُ أنتكس وأنتحب لوحدي، لكني كنتُ أعود بقوة وإصرار أكثر على الاستمرار.

شائعات!

** لكن هناك من يقول بأنك تلقيت دعما أمريكياً وألمانيا و.. ما صحة ذلك؟!*

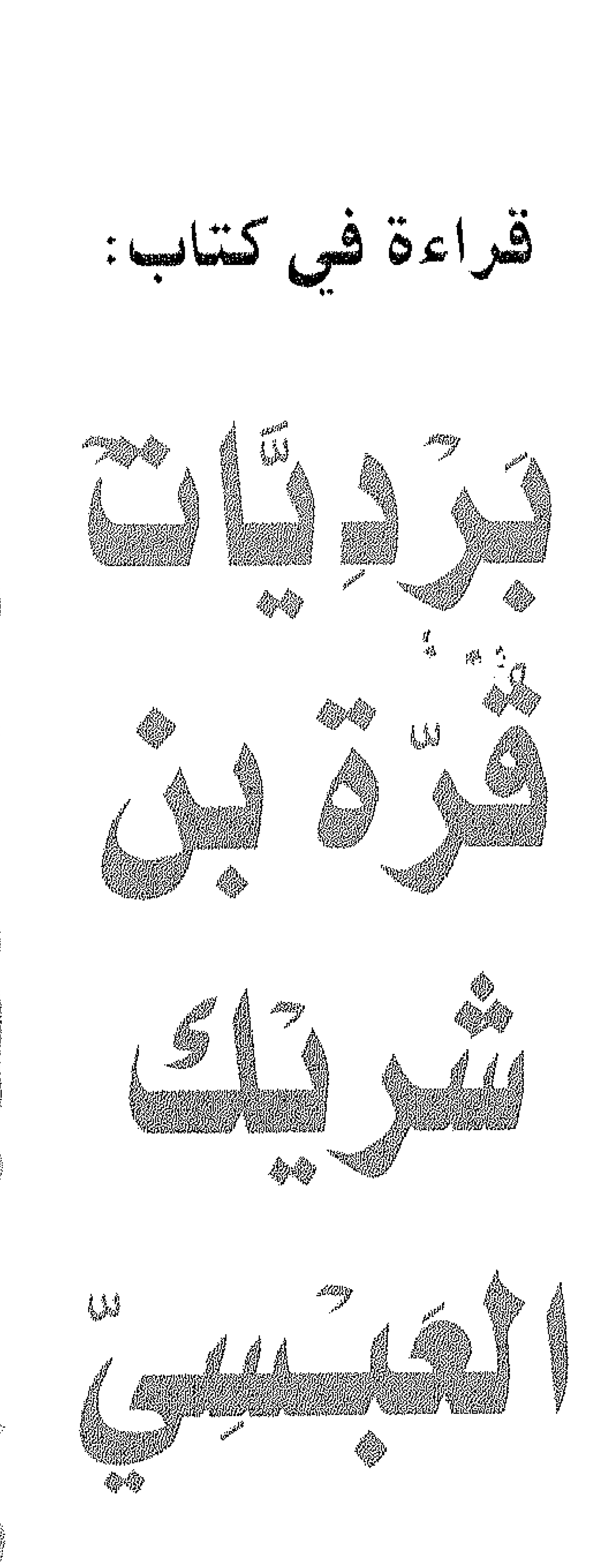
– تضحك كثيراً وتقول: هذه شائعات أطلقها أعز الأصدقاء، عندما وجدوني أبيع كل ما أملك في سبيل بيت الموروث الشعبي!!

إنسان!

** بصراحة.. ما موقع زوجك من هذه المعركة؟*

– زوجي إنسان قبل كل شيء وهو شخص مثقف ويتمتع بأفق مفتوح، ولولا إحساسه بي ودعمه لي في معركتي هذه لكنتُ قد تقهقرت عند أول خطوة أخطوها في هذا الطريق الصعب والمليء بالمطبات والأشواك!! ■

قراءة في كتاب:



بَرْدِيّات قُرّة بن شريك العَبْسِيّ

■ أ.د. محمد رضوان الداية

لي مع قُرّة بن شريك قصة قديمة، ومعرفة سابقة قبل أن أكتب هذا العَرْض والتلخيص لقضية بَرْديات مصرية عُرفت في كتابات المؤرخين والآثاريين بـ (برديات قُرّة بن شريك).

كنت -أيام دراستي العليا في القاهرة- أسكن في شارع الجيزة الطويل العريض؛ في نهاياته قبل ميدان الجيزة. وكان أول شارع يلقاني في نزولي إلى الميدان شمالاً: شارع فرعي مزدحم بالمباني السكنية عليه لوحة تعريفية باسمه مكتوب فيها (شارع قرّة بن شريك).

واصطحبت هذا الاسم وائتلفت معه وقد صار جاري.. وائتلفت معه من خلال أخباره، وإن كان فيها ما هو متناقض، فقد كان شخصية عظيمة، ولا يصح فيها ذلك التناقض، وبَرَّدَ قلبي ما قرأته في ترجمته في كتاب (الأعلام) لخير الدين الزركلي هذا المؤرخ البارع الألمعي فقد قال في ثنايا ترجمته:

«ومؤرّخوه في العصر العباسي وما بعده يرمونه بالفِسق والظلم ويأتون بقول ينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز.. إلخ». فالمنتصر هو الذي يكتب التاريخ. وهكذا تشوّهت صورة قرّة على يد أولئك المؤرخين المغرضين -كما أثبت مؤلف هذا الكتاب- ولكن أهمية الكتاب ذات جوانب مهمة: تاريخية وحضارية، وآثارية؛ إضافة إلى تصحيح صفحة من صفحات تاريخ مصر في العصر الأموي المشرق مع قرّة بن شَريك أحد ولاتها الأكفاء..



نبات البردي الذي يستخدم في صناعة البرديات

(١)

البَرْديات جمع البَرْدية. وهي قراطيس، أو: أوراق تُتّخذُ من نبات البَرْدِيّ توارثَ صناعتها أجيال متوالية من قديم أزمان الحضارة الفرعونية. والبَرْدي نبات ممشوق القوام شبيه بالقصب يبلغ ارتفاعه نحواً من عشرة أقدام (حوالي ثلاثة أمتار): ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل. صنع قُدامى المصريين من أعواده بيوتاً وزوارق، واتخذوا من أليافه حبالاً ونعالاً، وسَطّحوا ورقه ورققوه وجعلوا منه قراطيس يكتبون عليها. (وعن المصريين أخذ اليونان قراطيس البردي).

والقراطيس التي صنعها المصريون من البَرْدي لم تكن تزيد على قدمين (نحو ستين سنتيمتراً) طولاً، وعلى عشرة إنشات (نحو خمسة وعشرين سنتيمتراً عرضاً). وكانوا كثيراً ما يلصقون بعض البرديات ببعضها الآخر فتشكّل أدراجاً أو مدارج (Rolls)، وقد عثر العلماء على درج يبلغ نحو أربعين متراً.

وهذه البرديات: منها ما هو مكتوب بالهيروغليفية في ما عثروا عليه في المدافن القديمة أو تحت أنقاض المدن، ومنها -وهو الكثير- باللغة اليونانية. على أن هناك بَرْديات من العصر الإسلامي كالذي تدور حوله متابعة هذا البحث.

ومن لفظ (papyrus) التي تعني البَرْدي اشتقت كلمة (paper) التي تعني الورق.

(٢)

عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية صدر كتاب (بَرْديات قُرّة بن شَريك العبسي) دراسة وتحقيق د. جاسر بن خليل أبو صفيّة الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

عَيّن المؤلف المحقق مصادر الكتاب ومراجعه وجعلها في قسمين:

١- فالمصدر الأساسي للكتاب هو برديات قرّة العربية واليونانية، ومراجعه متنوعة أهمها دراسات المستشرقين للبرديات العربية عامة وبرديات قُرّة خاصة. وقد كان لهؤلاء العلماء فضل السبق في نشر برديات قرة وجَعْلها في متناول الباحثين.

٢- والمراجع العربية متنوعة منها المعاجم وكتب اللغة وكتب التاريخ والتراجم والبلدان.. وغيرها.

ولكي يصل الكاتب إلى مقاصده، والتعريف بالبرديات، وتقديم نصوصها وإعادة قراءة تاريخ مدة ولاية قرّة لمصر تسلسل البحث عن:

- قرّة بن شريك في الروايات الأدبية الإسلامية والنصرانية.
- قرّة في البرديات وفي دراسات المستشرقين.
- برديات قرّة، ودراسة في مضمونها.

وقد أتاح النظر في البرديات توضيح أمور كثيرة:

منها: السُّفن وصنعتها، وما يلزمها من المقاتلين، والنواتيّة، والصناع؛ والنهي عن الاحتكار، وديوان الجند، والبريد وخيله، وشكاوى الرعية، وبناء مسجد دمشق (المسجد الأموي) والمسجد الأقصى، وبناء دار الإمارة في الفسطاط (عاصمة مصر آنذاك)، إلى أمور أخرى ذات أهمية.

– ونشر الباحث في آخر الكتاب نصوص البرديات العربية المتعلقة بقرّة بن شريك، موضوع البحث.

(٣)

شخصية الكاتب: قرّة بن شريك بن مَرْثد العبسي. من رجال القرن الهجري الأول فوفاته كانت سنة ٩٦ هجرية، والياً على مصر. وكان جدّه مرثد والياً على قنّسرين من ولايات الشام القديمة (شمالاً)، وأبوه شريك كان عاملاً في منطقة من تونس.

أما قرّة فقد عيّنه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك والياً على مصر سنة تسعين، بدلاً من أخيه عبد الله، واستمر على ولايته إلى سنة ست وتسعين، حيث كانت وفاته، فكانت ولايته عليها نحو سبع سنين.

وروت كتب التاريخ مجموعة من أعمال قرّة ومآثره في مدة ولايته على مصر مما يخرج عن إطار تسيير القضايا الآنية اليومية إلى تسجيل المهم المؤثر، ومن ذلك:

* تدوين الدواوين بمصر، ويعدُّ عمله التدوين الثالث بعد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وعبد العزيز بن مروان. ونقرأ في إحدى البرديّات التي أرسلها باللغة العربية إلى صاحب أشقوة (كوم أشقاو الآن):

«أما بعد فإن ناساً من الجُند ذكروا لي كِتْبةً من قريتهم كانت تُجْرى عليهم منذ أربعين سنة، ولم نجد أيّ شيء من الكتاب. فلا أدري صدق ذلك من كذبه. فإذا جاء كتابي هذا فلا تقدمنّ قرية من كورتك إلا سألت أهلها عمّا في قريتهم من تلك الكِتْبة، لمن هي؟ فإذا علمت ما في كل قرية منها فارفع إليّ كتاب ما وجدت من ذلك في كل قرية..» (اللوحة ٩ من الكتاب).

– وتاريخ الكتاب سنة تسعين.

– و(الكتبة) في الرسالة تشير إلى الاكتتاب والفَرْض والرزق في ديوان الجُند.

* ومن آثاره استصلاح بركة الحَبَش، مما يدل على عناية قرّة بالإصلاح الزراعي، وقد قيل في قرة إنه هو الذي ابتدأ إحياء الأراضي المَوات وزرعها.

* ومن أعماله الزيادة في مسجد الفُسطاط الذي بناه عمرو بن العاص رضي الله عنه، ويبدو أنه هدم المسجد القديم وأقام مكانه مسجداً كبيراً يناسب التوسع السكاني، والتطور الحضاري.

وكان قرّة راوية للحديث، قال ابن عساكر (تاريخ ٤٩: ٣٠٦) إن قرّة روى الحديث عن سعيد بن المسيّب وروى عنه الحكيم بن عبد الله بن قيس بن مخرمة.

(٤)

في فصل عقده المؤلف عن (قرة بن شريك في البرديات) استفاد من هذه البرديات ومن تحقيقات الباحثين قبله من عرب ومستشرقين في تصحيح صورة قرّة نفسه، وتصحيح وإبراز جهوده في الولاية، وسلامة أسلوبه في معالجة القضايا، وفي اتسامه بالدقة والأمانة ومعاملته الناس (من مسلمين وأقباط) بالعدل، وشدة تحريه للحق.

ووجه دفاع هؤلاء الباحثين عن قرّة وأعماله شدة الظلم الذي وقع عليه من مؤرّخي العصر العباسي وما بعده من مسلمين وغير مسلمين. قال الباحث (الصفحة ٥٩): «إن هذه البرديات تقدم لقرة بن شريك صورة تناقض ما ورد عنه في كتب المسلمين والنصارى مناقضة تامّة، وتفضح رواياتهم المزوّرة المضللة التي لا تتورع عن الطعن على رجالات الدولة الأموية بعيداً عن التجرّد وخشية الله». انتهى النقل.

ومما استفاده الباحث في هذا المجال ما قاله المستشرق جرومان (Grohman) بالنص: «لقد تعمّد المؤرخون تسويد صورة الحكم الأموي عامة وولاته خاصة». وذكر مثالاً على ذلك قرّة بن شريك «الذي ضُرِب به المثل في القسوة والظلم» افتراءً. ثم قال: إن قرة –على العكس– يبدو في البرديات «حريصاً على حماية الناس من الظلم من قِبَل عُمّاله وجباة الضرائب.. ويبدو عاملاً مخلصاً للخليفة يبذل أقصى جهده لتحسين الأوضاع الزراعية، وزيادة الإنتاج، وإنشاء المؤسسات العامّة، والاهتمام بالجيش والأسطول، وتوسيع مسجد الفسطاط، كما يبدو قرة متسامحاً مع القبط، شديداً على عماله المتنفّذين، ولكنه رقيق مع عامة الناس، وتبدو في رسائله نزاهته وعدالته وتسامحه وتقواه، وهكذا فإن البرديات تثبت أن كل ما قيل عن قرّة محض افتراء». انتهى كلام جرومان (Grohman).

وكانت الباحثة نبيهة عبود التي عملت على دراسة البرديات قد بيّنت تعصّب المصادر التاريخية على بني

أمية على يد الدولة العباسية ومؤرخي النصارى كـ: سويروس بن النقفّع وفندت التهم الموجهة إلى قرة بأدلة من البرديّات وتحدثت عن عقليته الإدارية والعسكرية وأعماله.. ونفتْ عنه الظلم، وشككت في روايات سويروس (الصفحة ٦٠).

وصنعَ مثل هذا كلُّ من راجعوا البرديات مثل: بِلْ (Bell)، والأب هنري لامنس الذي اتهم المؤرخين (الصفحة ٦١) بتزوير تاريخ قرّة بن شريك وأشار إلى دراسات مستشرقين مثل بيكر (Becker) وموريتز (Moritz).

وختم الباحث هذا الجانب بقوله: إن برديّات قرّة العربية واليونانية قد حفلت بأدلة لا تُدفع على عدل قرة ونزاهته وحسن سياسته وإدارته وابتعاده عن الظلم منذ اليوم الأول الذي تسلّم فيه إمرة مصر على الصلاة والخراج (أي على أمور الدين والدنيا).

(٥)

وفي نماذج من هذه البرديات نقرأ من رسالة له إلى عامله على أشقوة مبيّناً له صفات العامل الجيّد المُحسن وأهمّها أن يؤدي عمله بإخلاص وأمانة وإحسان مبتعداً عن العجز والتأخير والإبطال، قال:

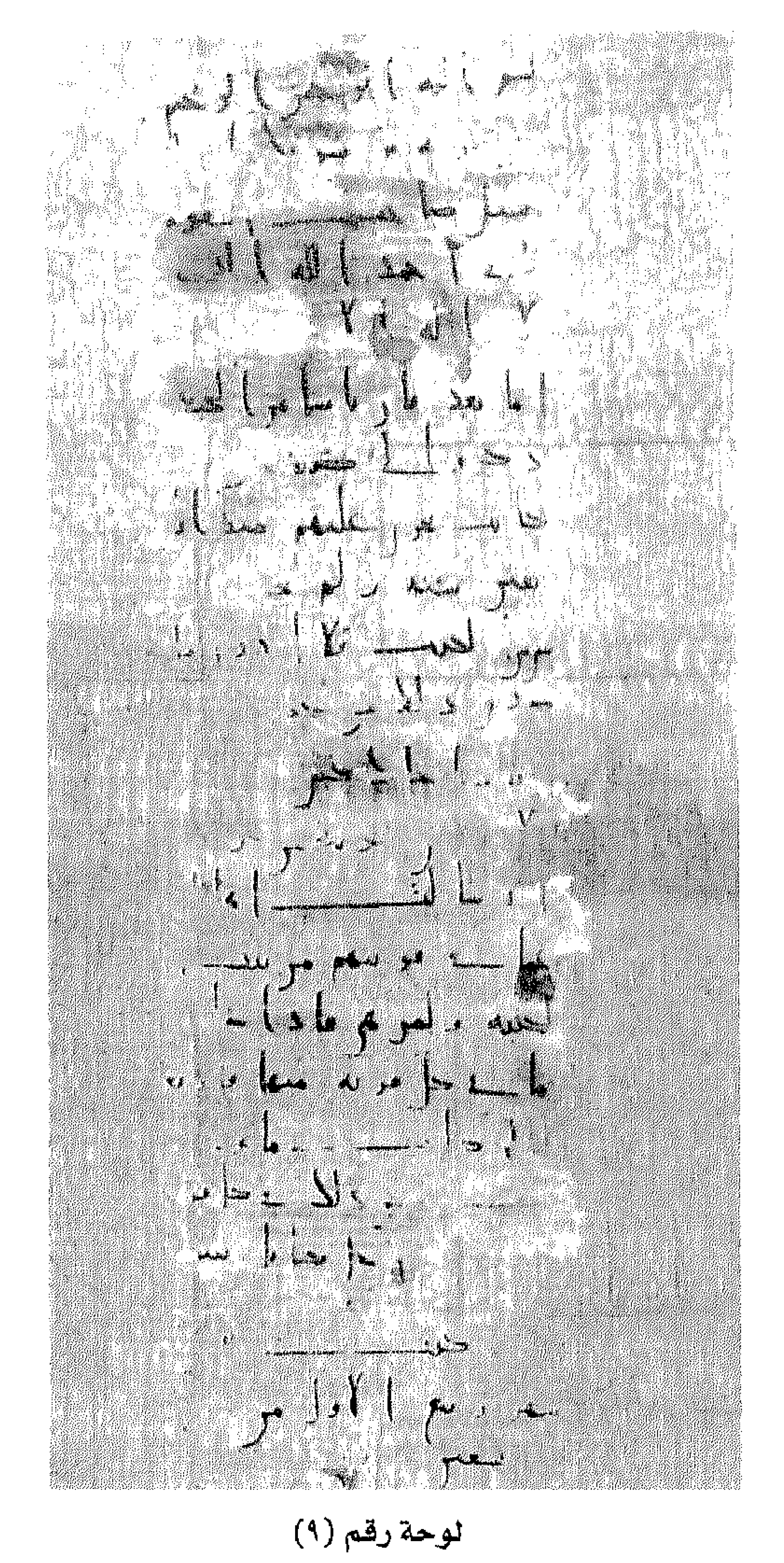
«وإني لا أحب أن يرى أحدٌ في عملك شيئاً تكرهه من عجز ولا تأخير ولا إبطال؛ فإني قد بعثتك على عملك وأنا أرجو أن يكون عندك أمانة وإجزاء (تقديم ما يكفي) وتنفيذ للعمل فكن عند أحسن ظني بك، فإني والله لأَنْ تكون محسناً مُجملاً أميناً موقّراً أحبّ إليّ وأعجب عندي من أن تكون على غير ذلك. ولا تعيينّ نفْسَكَ، ولا تسيأن عملك واستعن بالله، فإنه من يقصد الإصلاح ويرى الأمانة يُعِنْه الله، ويُصلح له عمله» ص٦٢.

وفي رسالته إلى بسيل صاحب أشقوة كلام على العناية بالأرض وأن يمنع عماله من ظلم أهلها كما قال:

«واحْجُرْ عمّالك ونفسك عن ظلم أهل الأرض، فإن الأرض لا صَبْرَ لها على الظلم ولا بقاء. وإذا أتى أهل الأرض الظُّلم والإضاعة من قِبَلِ (من جهة) من يلي أمرهم فإن ذلك خرابهم» ص٦٤.

(٦)

في البرديات تصحيح لمجريات تاريخ قرّة في شخصه، وتاريخ قُطر مصر في ظل ولاية هذا الوالي الأموي. وفيها أيضاً إضافات تاريخية وأخبار لم



لوحة رقم (٩)

تذكرها المصادر بسبب خصوصيتها، وصلتها بأخبار القطر المصري.

في البردية المرقمة بـ (١٣٥٠) إضاءة مهمة تتعلق بعودة البحّارة من إفريقية (إقليم تونس كما يُسمى في المصادر الإسلامية) بعد خروجهم إلى الغزو مع رافع بن عطاء. وفي البردية يطلب قرّة من بَسِيْل أن يحصي عدد البحارة الذين رجعوا إلى كورة أشقوة، وأن يسألهم عن الذين بقوا مع موسى بن نصير، وعن سبب تخلّفهم (بقائهم) هناك. كما يطلب منه أن يتحرّى عن عدد الذين ماتوا هناك أو في طريق عودتهم، وأن يكتب إلى قرّة بكل ما يعلم عن هؤلاء البحارة.

ونص البرديّة:

من قرّة بن شريك إلى بَسِيل صاحب أشقوة

فإني أحمد الله

أما بعد: فلا نعلم عدد النّواتية (البحارة) الذين رجعوا إلى كورتك ممن خرجوا في أسطول الغزو إلى إفريقيا مع عطاء بن رافع الذي أغزاه موسى بن نصير، ولا عدد الذين ظلوا في إفريقيا. فإذا جاء كتابي هذا فاكتب إليَّ بعدد النواتية الذين رجعوا إلى كورتك، واسألهم عن الذين ظلوا في إفريقية، ولأي غرض ظلوا هناك. واسألهم عن عدد الذين ماتوا هناك، وعن رحلتهم بعد مغادرتهم. واكتبْ إليَّ بكل ما يعلمون، وكلّ ما يخبرونك. وعَجّل بإرساله إليَّ بعد قراءة كتابي هذا».

كُتِبَ في ٤ أمشير (Mecheir) ٨ أندكشن (= ربيع الآخر - ٩١ هجرية).

(٧)

لا نجد في كتب التاريخ العامّة في القرن الأول الهجري تفصيلاً لمجريات الأعمال الزراعية والصناعية، فهذا لا يدخل عادة في كتب التأريخ التي تهتم بالأمور إجمالاً، وتسردها سرداً عاماً. وفي البرديات المدروسة من أيام قرّة صورة مقربة جداً لعناية الوالي التفصيلية بالأمور الكبيرة والصغيرة. فعلى الصفحة ٢٥٦ ومن البردية ١٣٩١ نقرأ رسالة من قرّة إلى بَسِيْل تقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة

أما بعد

فأنت تعلم أننا بحاجة دائمة إلى نَجّارين ومُجَلْفِطين (عمال إصلاح السفن والعناية بها) للعمل في السفن والقوادس وفي بعض أعمال الإمارة وما تحتاجه من متاع إذ لا مجال لإنجاز العمل دون هذا المتاع، وهي ذات نفع أيضاً لأهل القرى.

فإذا جاءك كتابي هذا فاعمل على اختيار الفتيان في كورتك وقراها ومن رجال المتميزين لإعدادهم لأعمال مختلفة. واعهد بالفتيان (المبتدئين) إلى صُنّاع متضلّعين في فنّ صناعتهم من ذوي الخبرة والأمانة وانظر في عملهم وأجرهم كل شهر. وتعهّد أمر عملهم لئلا يؤول بهم الأمر إلى الإهمال والتقصير. واكتب إليّ كتاباً بأسمائهم وأسماء آبائهم. كلٌّ حسب قريته وصنعته.

وأمر أن يكون نصفهم لصنعة السفن وجلفطتها.

واكتبْ إليّ كتاباً بأسماء الفتيان الذين عملوا في كورتك عام الأوّل. ثم أمر أهل أرضك بزراعة أشجار كثيرة، ولا سيما كروم العنب وشجر الطّلح، وغيرها من الأشجار.

ولا أعرفنّ أنك قصّرت في إنفاذ ما أمرتك به في كتابي هذا. وتفقّد عمّالك، ولا تَكِلَنّ ذلك إلى أحد سوى نفسك. واكتبْ إليّ كيف فعلت في ذلك. واعلم أننا سنرسل إن شاء الله رجلاً ليراقب الأمور ويخبرنا بما فعلت وهل نفّذت أمرنا أم كان لك تصرف آخر».

وكتب في ٥٨ طوبة (Tybi) ٨ اندكشن (= ٩١ هجرية).

وعلى ظهر الرسالة: «قرة بن شريك إلى سبيل صاحب أشقوة».

وفي الرسالة إفصاح عن أمور مهمة:

- فهي توضح أسلوب تعامل قرّة مع عمّاله ومتولّي أعماله: إيضاح العمل، والجديّة القصوى فيه، ومتابعته، واعتماد أسلوب الرقابة (جهاز الرقابة والتفتيش للأمور الإدارية في العصر الحديث).

- وهي توضح عناية والي مصر بالشؤون المختلفة كبيرها وصغيرها.

- وتدلّ على معرفته بأحوال المناطق وما يصلح لها من أنواع الشجر والزرع.

- وعلى عنايته بالأسطول الحربي والتجاري فقد صار بحر الروم (المتوسّط) بحراً عربياً إسلامياً.

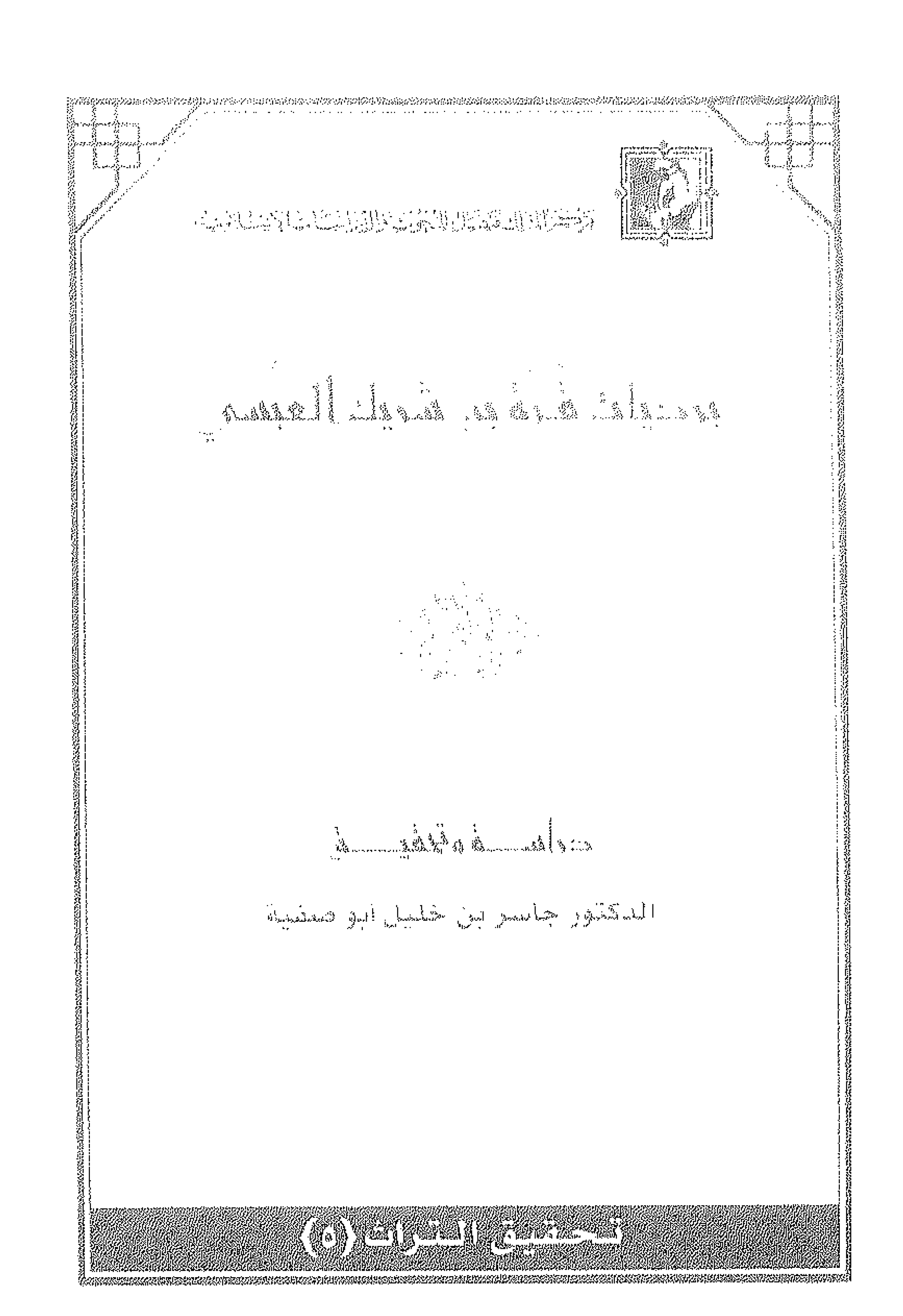
- ولاحظ الباحث (ناشر الكتاب) أن قرّة كان يهتم بالأجور، وضرورة رفع مقدارها بحسب جدول غلاء المعيشة (عبارة: وانظر في عملهم وأجرهم كل شهر).

- وفي هذه الرسالة صورة لشخصية قرّة بن شريك الإدارية. فهو يظهر في رسائله إلى الولاة حاسماً، حريصاً على حسن العمل وسرعة أدائه، والأمانة في كل ما يفعلون. وهذا الجانب الحاسم أتاح للمؤرخين المعتدلين أن يصفوه بمثل قول الزركلي (الأعلام: ٥ / ١٩٤) «وكان جبّاراً صلباً مَخُوفاً». لكن هذه المعطيات أتاحت لمؤرخي العصر العباسي وما بعده أن يشوّهوا صورة الحَسْم والصلابة إلى افتراءات الظلم التي بَرّأَهُ منها ظهور البرديات، وقراءتها من قبل الباحثين المستشرقين والعرب معاً.

(٨)

ولنصوص برديّات قرّة بن شريك فوائد مهمة لم يُشر إليها الباحثون المختلفون، وهي فوائد أدبيّة، كتابيّة،

لوحة رقم (٢) ج



ديوانية. لقد كانت الكتابة الديوانية في العصر الأموي تتأصل وتتطور باطّراد. واكتمل هذا الفن في أواخر الدولة الأموية مع سالم مولى هشام، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب.

ولم يَمُرّ الدكتور شوقي ضيف في العصر الإسلامي الأموي على رسائل من عهد الوليد بن عبد الملك، ولا من إقليم مصر. فهذه النصوص ذات أهمية أدبية فنيّة، وكتابية ديوانية أيضاً.

ويلاحظ قارئ البرديّات أن قرة بن شريك يتوخّى في رسائله ثلاثة عناصر:

١- القصد، ٢- الوضوح، ٣- التفصيل.

- والمراد بالقصد ابتعاد الرسالة عن التطويل الذي لا يفيد المقصد مباشرة، واجتناب التحسين اللفظي والمعنوي.

- والمراد بالوضوح: اتضاح مقاصد الرسالة للقارئ دون عناء لاعتماد الأسلوب المباشر وتسمية الأمور بأسمائها، وتقديم المقترحات أو الأوامر بدقة.

- والمراد بالتفصيل عناية الرسالة بتقديم التفصيلات والتفريعات اللازمة حتى لا يبقى شكّ للقارئ في المطلوب جملة وتفصيلاً.

وشيء آخر أن هذه الرسائل تستفيد من تقاليد الرسائل التي اشتهرت في العصر النبوي، والعصر الراشدي. وهي أقرب إلى محاكاة الأسلوب العام لرسائل عمر رضي الله عنه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن لهجة الحَسْم (وإن اختلف لونها) مأخوذة من الصفة العامة لرسائل عمر رضي الله عنه من القصد والوضوح والتفصيل عند اللزوم، ومن النصح والتوجيه كلما أمكن ذلك نقرأ في رسالة (من البردية ١٣٨٠) يخاطب عامله: «ولم أبعثك على عملك لتصرف وقتك في التّهم وإنما بعثناك لتتقي الله وتحفظ إيمانك..».

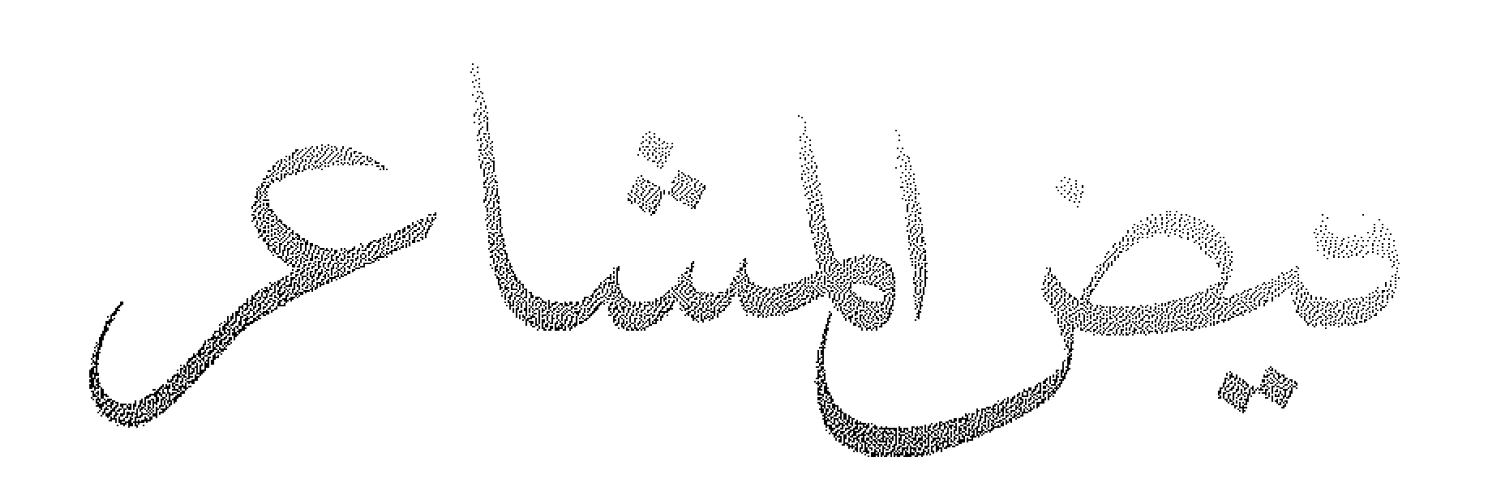
(٩)

وبرديات قرّة بن شريك تقدّم عدداً كبيراً من المصطلحات التي تعزّز مصطلحات معروفة أو تقدم مصطلحات ذات علاقة بالبيئة والمكان واللهجات أو المستفادة من اليونانية وغيرها. وقد شرح الباحث المحقق هذه المصطلحات في درج الكلام وسياق نشر البرديّات، وكانت تستحق معجماً ملحقاً بالكتاب مرتباً على الحروف الهجائية.

هذه البرديات، وهي قليل وصل إلينا من كثير لم يصل، تصوّر جانباً من حال ولاية قرّة بن شريك الذي بدا حريصاً على حقوق الناس ومعاملتهم بالعدل وتوفير ما يخصّهم، وتقديم ما ينفعهم، كما كان حريصاً على الجباية اللازمة التي تكفل استمرار المصالح العامّة، وسير المؤسسات كما ينبغي من الصلاح والصحة، وانسجام أجهزة الدولة الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية: ولا شك في أنّ لقرّة أعوان وموظفون يعينونه على حسن التدبير مما جعل مصر بلداً من طراز رفيع من الأمان والسلامة وحسين سير العمل ومن قوة الجيش والأسطول، ومن انسجام أحوال الناس في معاشهم وأعمالهم على وجه راق عال.

ومن هنا نجد مقدّمات صالحة للخبر المهم الي أورده ابن عبد الحكم من أنه كان يطاف بالصدقات والزكاة في مصر أيام عمر بن عبد العزيز (بعد ٣ سنوات من وفاة قرّة) فلا يوجد من يأخذها لاكتفاء الناس وحسن معيشتهم.

وقراءة البرديّات تقدم صوراً كثيرة، وأخباراً مهمة لكل متابع للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكل متابع لحركة الحضارة العربية الإسلامية في ظل الدولة الأموية. ■





إشراف:
محمد إبراهيم الحديدي
m_alhadidi@hotmail.com

إلى مكّة

على دار وطي فيها الرّسول ... سقاها الله مِنْ وبَلْ الغمام
سِقَتُه الصَّيِّبات ابكل حُولْ ... امْزونٍ يُوْدها سّوى كُتّام
خوالي غير من برقٍ شِعُول ... ايْزَافِنْ رَعْدِهَا مُخِفِي النّهام
وسالت م البطاح الْها سيول ... مِن طِيْبِه إلى بَيْتِ الْحَرَامْ
وحيّا جِيْرةٍ فيها نزول ... مضانين على قلبي كرام
لِيهْ في مَدْحِهم شَرْحٍ يطول ... جديدْ أوّلُه تواريخٍ اجْدام
خيار النّاس من فعلٍ وقول ... وفي لاَيْواد شرواهم أعدام
لفاني هاتِفُ الخَطّ العَجول ... وهم بَارْضْ الحجاز الْهُمْ مقام
وخرّ الدمع من عيني همول ... وشَلّتْ عبرتي نَطْق الكلام
شموسٍ ما يغبّيها افول ... بْهُمْ تزهي المنازل والخيام
مسا الأثْنين شدّوا بالحمول ... إلى مكّة امْجدّين المشام
مشوا في مَوكْبٍ رسمي وظول ... إتّابِعْهُمْ من القِوّه نظام
وطِوْهَا محرمين و في الدّخول ... يِبُون البيت من باب السّلام
وطافوا وين ما طافَ الرّسول ... وصلّوا وين صَلّى في المقام
مع العِمّار فازوا بالقبول ... عساهم يلتقون بكل عام
وجيناهم نهنّي بالوصول ... وندعو بالقبول الْهُمْ دوام
وصلى الله عدد ذَرّيْ الشّمول ... على المرسول في جمع الأنام
وصحبه ثم سِبْطَيْن البتول ... صلاتي والسلام الْهُمْ ختام

■ شعر فتاة العرب



قـلـب الـحـسـود ولـو تـعـايـن سـعـيـره
يـغـلـي كـمـا تـغـلـي بـطـون الـمـرايـل
هـيـهـات يصـفـي مـا تـبـاطـن ضـمـيـره
لـو كـود تـبـذل لـه جـمـيـع الـفـعـايـل

الشيخ صقر بن خالد القاسمي

*****

يـا خـيـر مسـؤولٍ لـمـن هـو شـكـالـه
ويـا خـيـر مـأمـولٍ لـفكّ الـمـغـالـيـج
بُـحـق مـا فـي الـنـور واسـم الـجـلالـه
تـفـرج الـى ضـاقـت حـبـال الـخـنـانـيـج

الشيخ بطي بن سهيل

*****

الأجـواد يـلـزمـنـا نـراعـي حـقـوقـهـا
ونشـكـر مسـاعـيـهـا بـمـا هـو يـروقـهـا
ولا حـر مـن يـجـحـد هَـل الـفضـل حـقّـهـا
واهـل الـفضـل كـالشـمـس واضـح شـروقـهـا

مبارك بن حمد العقيلي

*****

يـا شـيـخ انـا مـا بـي دقـاق مـعـانـي
بـي قـول حَـسَّـادٍ كـلامـه مـيـل
والـنـاس فـيـهـا مـن مـحـب ومـبـغض
وكـلٍ عـلـى قـرصـه يـهـيـل مـلـيـل

سعيد بن عتيج الهاملي

*****

مواويل من الخليج

جِـبَـلْ تَـهَـامَـةْ وِرَضْـوى مِـنْ إلـهـي نِـزَلْ[1]
قِـضْـي الأمْـر مِـنْ وَالـي الـعَـرَش بـأمْـره نِـزَلْ[2]
شـيـد بـالأركـان وَآيـاتِ الأَسـامـي نِـزّل[3]
وِتْـوَلّـتِـه الأنـبـيـا تَـتْـلـي عَـلـيـه آيـات[4]
مـا أحـدٍ يِـشِـلّـه وِرَبّـه رَسَـخَـه بـآيـات[5]
واعـلـم تـرى الـلـيـل مَـرْسُـوخٍ مـن الآيـات[6]
هـاذيكْ آيـة بِـوِسْـطِ الـبـيـت عِـنْـدَكْ نِـزَلْ[1]

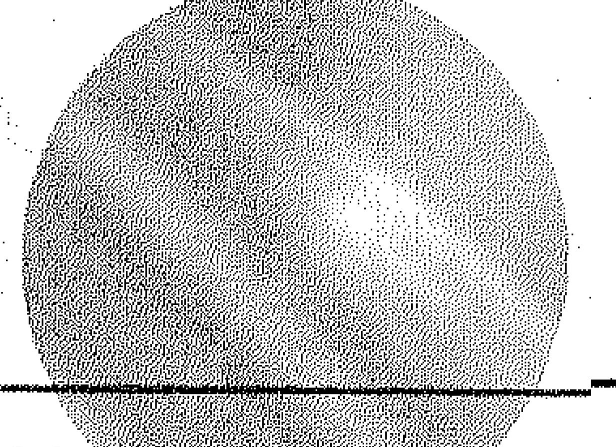
١- تهامة: أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن.
٢- رضوى: جبل في مكة المكرمة.
٣- الأسامي: الأسماء.
٤- تولته: اعتنت به. تتلى: من التلاوة. آيات: آيات القرآن الكريم.
٥- رسخة: ثبته.
٦- مرسوخ: مرصع. الآيات: النجوم والكواكب.



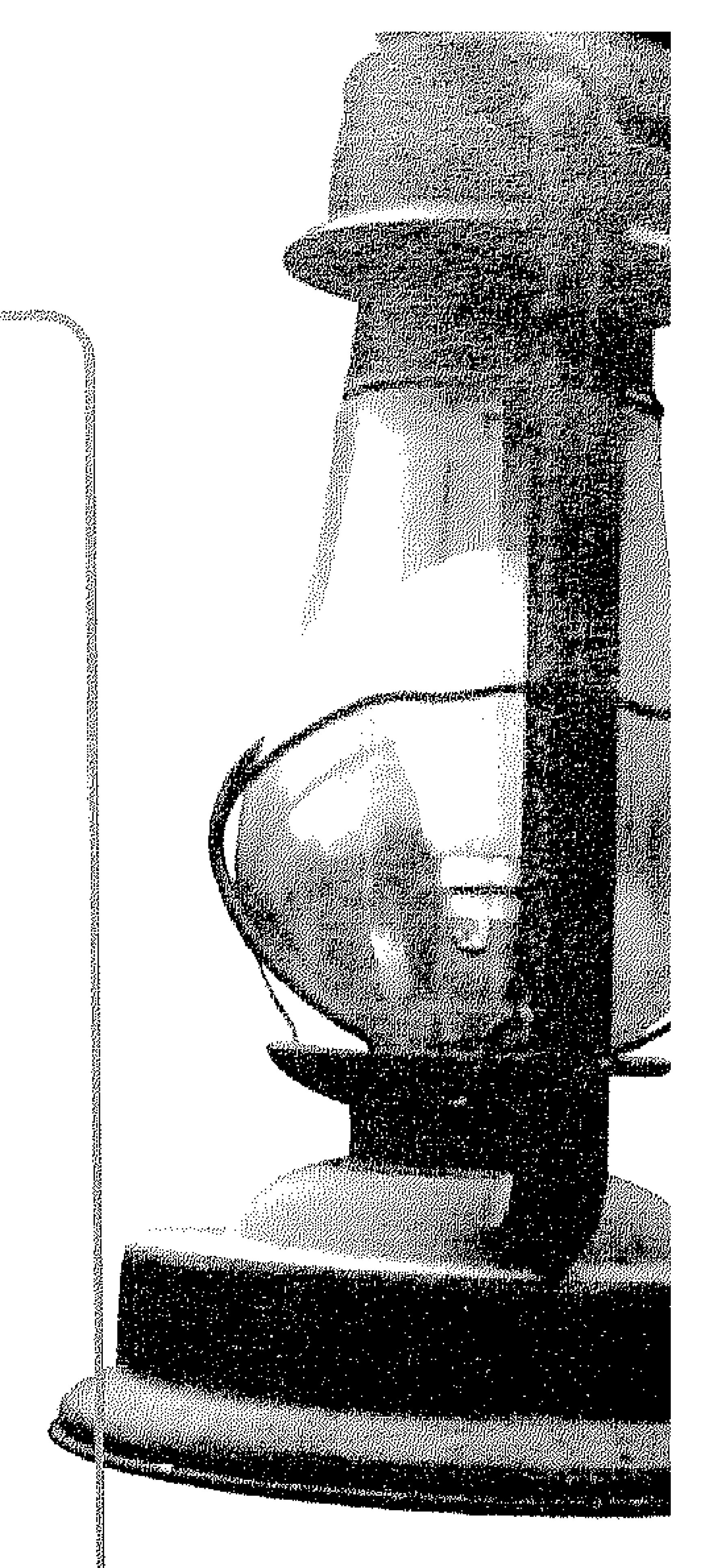
*****

يـا ربَّ أنـا أرجـوكْ تِـرْفَـعْ مـا عـلـيـنـا نِـزل *
إنتَ الـذي مُـحْـكَـم الـقُـرآن بِـأمْـركْ نَـزَلْ[1]
رضـوانْ ويّـا الـتـهـامـهْ تِـرْفَـعَـه لـي نِـزَلْ[2]
كـل الـرسُـلْ وِالصَـحَـبـة مُـعَـلَـمَـة الآيـات[3]
أنـزل مُـحـمّـد وأجْـعَـل فـي الـكـتـب آيـات
الـريـح تَـجـري وِفُـلْـكَـه فـي الـبـحـورْ آيـات[5]
بِـقُـدْرَة الـرَب تِـرْفَـعْ مـا عـلـيـنـا نِـزَلْ[6]

١- ترفع: تكشف بقدرتك.
٢- محكم القرآن: سوره وآياته المحكمة.
٣- رضوان: جبل في مكة المكرمة.
٤- معلمة: من التعلم.
٥- فلكه: من الفُلْك، السفن.
٦- ترفع ماعلينا نزل: تفرج عنا كربنا.



* مما ينسب للشاعر «فرج بو متيوح» رداً على «جبل تهامة».
المصدر: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية (مواويل من الخليج)



النبطي الفصيح



■ سالم الزمر
salzomr@hotmail.com

هذه الصفحات تقف على الشعر النبطي ثم تغوص في أعماقه لالتقاط كلمات يظنها البعض عامية غير عربية لكثرة ما وجدوها في الشعر النبطي غير الفصيح أو لبعدهم وبعدنا عن الفصاحة وأساليبها وألفاظها، أو لأن بعض تلك الألفاظ مع فصاحتها ما عادت مستخدمة في الفصحى لكنها بقيت مما بقي من الفصاحة في لغتنا اليومية وأشعارنا غير الفصيحة.

ونحن هنا نقتفي آثار تلك الألفاظ في الشعر النبطي ونردها إلى أصلها الفصيح ولنا من ذلك فوائد عدة:

الأولى قراءة الكثير من الشعر النبطي ومعاودة مطالعته.

والثانية الغوص في قواميس العربية للبحث عن أصول تلك الألفاظ المتناثرة في الشعر النبطي.

والثالثة مطالعة الشعر العربي للبحث عن تلك الألفاظ في أدبنا العربي.

والرابعة إثبات أن العامية والشعر النبطي عربي لا ينفك عن أصله العربي.

والخامسة إعادة الفرع إلى أصله برد الألفاظ النبطية إلى أصلها العربي.

والسادسة تحقيق أمنية بعودتنا إلى لغتنا الفصحى وأدبنا العربي عن طريق البحث في الشعر النبطي عن الفصحى من ألفاظه.

والسابعة العمل على دراسة شعرنا النبطي دراسة لغوية مفيدة.

والثامنة ربط الأجيال القادمة بتراثنا الشعري النبطي بطريق بحث أدبي يحمل الطرافة والجهد العلمي معاً لإيصال ذلك التراث إلى الأجيال القادمة بجهد موثق موثوق به.

وأخيراً أقول لو شئنا أن نعدد الفوائد من ذلك لما انتهينا، لكنني أقف هنا للبحث وراء النبطي الفصيح في شعرنا النبطي.

مغط

قال شاعر الامارات علي بن محين الشامسي

قل له اصعيب ايرد مالي ويادية
قِبل طويل الباع يمغط أباديه
ويقطِّع الغواص خَرْجه وأياديه
في ساعيه ما يلحقن المغيرين

وقوله يمغط في البيت الأول يعني يمد وكلمة مغط فصيحة جاء في لسان العرب في مادة مغط.

المَغْط: مدّ الشيء يستطيله وخص بعضهم به مدّ الشيء اللّيِّن كالمُصْرانِ ونحوه، مغَطَه يَمْغُطه مَغْطاً فامَّغَط وامْتَغَط.

والمُمَّغِطُ: الطويل ليس بالبائن الطول، وقيل: الطويل مطلقاً كأنه مدَّ مدّاً من طوله. ووصف علي، عليه السلام، النبي، صلّى الله عليه وسلّم، فقال: لم يكن بالطويل الممَّغِط ولا القصير المتردّد؛ يقول: لم يكن بالطويل البائن ولكنه كان رَبْعة.

الأصمعي: المُمَّغِط، بتشديد الميم الثانية، المتناهي الطول. وامَّغط النهار امِّغاطاً: طال وامتدَّ. ومغَط في القوس يَمْغَطُ مغْطاً مثل مخط: نزع فيها بسهم أو بغيره. ومغَط الرجلُ القوس مغطاً إذا مدَّها بالوتر.

وقال ابن شميل: شدَّ ما مغَطَ في قوسه إذا أغرق في نزْع الوتر ومدّه ليُبْعِد السهم. ومَغَطْت الحبل وغيره إذا مددته، وأصله مُنْمغِط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأُدغمت في الميم، ويقال بالعين المهملة بمعناه.

والمغط: مدّ البعير يديه في السير؛ قال:

مَــغْــطــاً يَــمُــدُّ غَــضَــنَ الآبــاطِ

وقد تمغَّط، وكذلك في عدْو الفرس أن يمدَّ ضبْعيه. قال أبو عبيدة: فرس مُتَمَغِّطٌ والأُنثى مُتَمغِّطةٌ. والتمغُّطُ: أن يمدّ ضَبْعَيْه حتى لا يجد مَزيداً في جَرْيِه ويَحْتَشِيَ رجليه في بطنه حتى لا يجد مَزيداً للإلحاق ثم يكون ذلك منه في غير اخْتلاط، يسْبَح بيديه ويَضْرَحُ برجليه في اجتماع. وقال مرة: التمغطُ أن يمدّ قوائمه ويتمطَّى في جَرْيِه. وامْتَغَطَ النهارُ أي ارتفع. وسقط البيت عليه فتمغَّط فمات أي قتله الغُبار، قال ابن دريد: وليس بِمُسْتَعْمَل.

*****

معشكل

قال سالم الجمري يصف محبوبته وشعرها الكثيف:

لــي جــديــلــه جــانــيٍ مــتــعــشــكــلــي

اقــرن الــحــّيــات بــو لــون حــســيــن

الــبــدر مــن نــور وجــهــه يــخــجــلــي

والــخــشــم كــالــســيــف لــمّــاعٍ ســنــيــن

وقوله متعشكلي في البيت الأول أي كثيف متراكم يعني شعر المحبوبة.

ومتعشكل أصلها معثكل في العربية وتطلق على عذق النخل كثير الشماريخ أي الفروع الذي يحمل رطبا كثيرا جاء في اللسان.

والعُثْكول والعُثْكُولة: العِذْق. وعِذْقٌ مُعَثْكَلٌ ومُتَعَثْكِلٌ: ذو عَثاكيل. والعُثْكُولُ والعُثْكُولة: ما عُلِّق من عِهْن أو صُوف أو زينة فَتَذَبْذَب في الهواء؛ وأنشد:

تَــرى الــوَدْعَ فــيــهــا والــرِّجــائــزَ زيــنــةً

بــأَعْــنــاقِــهــا مَــعْــقُــودةً كــالــعَــثــاكــلِ

وعَثْكَلَه: زَيَّنه بذلك. والعَثْكَلَة: الثَّقِيل من العَدْو.

والعُثْكُول والعِثْكال: الشِّمْراخ، وهو ما عليه البُسْرُ من عِيدانِ الكِباسة، وهو في النخل بمنزلة العُنْقود من الكَرْم؛ وقول الراجز:

لــو أَبْــصَــرَتْ سُــعْــدى بــهــا كَــتــائِــلــي

طَــويــلَــةَ الأَقْــنــاءِ والأَثــاكِــلِ

أَراد العَثاكِلَ فَقَلَبَ العين همزة. وتَعَثْكَل العِذْقُ أي كَثُرَتْ شَماريخُه، وعُثْكِلَ الهَوْدَجُ أي زُيِّن. وفي الحديث: أن سَعْد بن عُبادة جاء برجل في الحَيِّ مُخْدَج إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وُجِد على أَمَةٍ يَخْبُث بها، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: خُذُوا له عِثْكالاً فيه مائة شِمْراخ فاضْرِبُوه بها ضَرْبةً؛ العِثْكالُ: العذق من أَعْذاق النخل الذي يكون فيه الرُّطَب، ويقال إِثْكالٌ وأُثْكُول؛ وأنشد الأزهري لامرئ القيس:

أَثيثٍ كَــقِــنْــوِ الــنَّــخْــلــة الــمُــتَــعَــثْــكِــل

والقِنْوُ: العِثْكال أيضاً، وشَماريخُ العِثْكال: أَغْصانه، واحدها شِمْراخ.

*****

غيول

قال راشد بن سالم الخضر:

لــو بك حــزن مــا لُــبست الاشــكــال

ثــوبك حــريــر مــرتَّــق بــذول

ويشــط بك كــل فــن مــيّــال

وتــورد عــلــى الــصــافــي مِ الــغــيــول

خــل الــهــوى الــمــتــلــي ايــلــي قــال

لأنــي ســهــيــر الــطــرف مــعــلــول

وقوله تورد على الصافي م الغيول أي ترد على الصافيات من غيول الماء والغيول جمع غيل وهوعربي ولقد جاء في لسان العرب.

والغَيْل: الماء الجاري على وجه الأرض. وفي الحديث: ما سقي بالغَيْل فيه العُشر، وما سقي بالدَّلْو ففيه نصف العُشر؛ وقيل: الغَيْل، بالفتح، ما جرى من المياه في الأنهار والسَّواقي وهو الفَتْحُ، وأما الغَلَلُ فهو الماء الذي يجري بين الشجر. وقال الليث: الغَيْل مكان من الغَيْضة فيه ماء مَعِين؛ وأنشد:

جـــــارةُ غَـيْـلٍ وارِشـات بـطُـحْـلُـب

والغَيْل: كل موضع فيه ماء من واد ونحوه

وجاء كذلك:

قال ابن بري: والغُيول ههنا جمع غَيْل، وهو الماء يجري بين الشجر لأن الماء يسقي والأَجَمة لا تسقي. وفي حديث قس: أَسدُ غِيلٍ، الغِيل، بالكسر: شجر ملتفّ يستتر فيه كالأَجَمة؛ وفي قصيدة كعب: بِبَطْن عَثَّر غِيلٌ دونهُ غِيلُ وقول الشاعر:

كَـذَوائب الـحَـفَـإِ الـرَّطـيب عَـطـابـه
غِـيـلٌ، ومَـدَّ بـجـانِـبَـيْـه الـطُّـحْـلُـبُ

*****

رنق

الرَّنْق: تراب في الماء من القَذى ونحوه. والرَّنَقُ، بالتحريك: مصدر قولك رَنِقَ الماءُ، بالكسر. ابن سيده: رَنَقَ الماءُ رَنْقاً ورُنُوقاً ورَنِقَ رَنَقاً، فهو رَنِقٌ ورَنْقٌ، بالتسكين، وتَرَنَّقَ: كَدِرَ؛ أنشد أبو حنيفة لزُهَير:

شَـجَّ الـسُّـقـاةُ عـلـى نـاجُـودِها شَـبِـمـاً
مِـن مـاءِ لِـيـنَـة، لا طَـرْقـاً ولا رَنَـقـا

كذا أنشده بفتح الراء والنون. الجوهري: ماء رَنْق، بالتسكين، أَي كَدِر. قال ابن بري: قد جمع رَنْقٌ على رَنائق كأنه جمع رَنيقة؛ قال المجنون:

يُـغـادِرْنَ بـالـمَـوْمـاةِ سَـخْـلاً، كـأنـه
دَعـامِـيـصُ مـاء نَـشَّ عـنـهـا الـرّنـائـقُ

وفي حديث الحسن: وسئل أَيَنْفُخ الرجل في الماء؟ فقال: إن كان من رَنَقٍ فلا بأْس أَي من كَدَر. يقال: ماء رَنْق، بالسكون، وهو بالتحريك مصدر؛ ومنه حديث ابن الزبير: ليس للشاربِ إلاّ الرَّنْقُ والطَّرْقُ. ورَنَّقَه هو وأَرْنَقه إرناقاً وترنيقاً:كَدَّرَه.

*****

بزل

قال شاعرنا محين الشامسي

يـانـي كـتـاب وحـي ذاك الـكـتـابـي
حـيّ الـكـتـاب وحـي مـن هـو كـتـابـه
فـكّـيت ختـمـه وانـتـظـرت الـيـوابـي
نـعـم الـجـواب ونـعـم مـن هـوى جـوابـه
مسـطّـرٍ مـن مـدمـيٍ لـلـحـرابـي
شـيـخ أبـو شـاهـيـن جـيـدوم لابـه
لـو يـاصـلـنّـه بـازلات الـركـابـي
كـان أصـبـح الـطـارش هـزالا ركـابـه

وقوله في البيت الأخير بازلات يعني الجمال أوالهجن

وتسمى بزل كما في قول بن ظاهر:

تـعـنـا لـه الـبـدوان مـن قـاصـي الـمـدى
عـلـى بـزل مـن راغـي وكـتـوم

وهي كلمة فصيحة والبازل مفردها جاء في اللسان:

بَزَلَ البعيرُ يَبْزُل بُزُولاً فَطَر نابُه أَي انْشَقَّ، فهو بازل، ذكراً كان أَو أُنثى، وذلك في السنة التاسعة، قال: وربما بزل في السنة الثامنة. ابن سيده: بَزَلَ نابُ البعير يَبْزُل بَزْلاً وبُزُولاً طَلَع؛ وجَمَلٌ بازل وبزول. قال ثعلب في كلام بعض الرُّوَّاد: يَشْبَع منه الجَمل البَزُول، وجمع البازِل بُزَّل، وجمع البَزُول بُزُل، والأُنثى بازل

وجمعها بوازل، وبَزُول وجَمْعُها بُزُل. الأصمعي وغيره: يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفَطَر نابُه فهو حينئذ بازل، وكذلك الأُنثى بغير هاء. جمل بازل وناقة بازل: وهو أقصى أسنان البعير، سُمِّي بازلاً من البَزْل، وهو الشَّقُّ، وذلك أن نابه إذا طَلَع يقال له بازل، لشَقِّه اللحم عن مَنْبِته شَقّاً؛ وقال النابغة في السن وسَمّاها بازلاً:

مَقْذوفة بدَخِيس النَّحْضِ بازِلُها

لـه صَـرِيـفٌ صَـرِيـفَ الـقَـعْـو بـالـمَـسَـد

*****

حجيل

قال الماجدي بن ظاهر

رفـــعـت الــكـــفـــوف ابـــا زود شـــوف

وبـــانـت غــدوف الــمــواشــي حــجــيــل

فشرح الأديب الراحل حمد بوشهاب البيت بقوله تطلع الشاعر ليرى الإبل الظاعنة فلم يتبين سوى القليل ماتحمله على ظهرها

وقال بن ظاهر:

تــغــالـــي الــتــيــار قــمـــاش الــغــزار

والازرا مـــافـــي شـــراهـــا حـــجـــيـــل

ولقد شرح حمد بوشهاب كلمة حجيل في هذا البيت بمعنى القليل ونجد ذلك في كتابه الماجدي بن ظاهر حيلته وشعره.

ولقد وجدت مايؤيد ذلك المعنى في لسان العرب في مادة حقل فإذا افترضنا أن الكلمة أصلها حقيل.

فقلبت القاف جيما كماهي في لهجة أهل الإمارات في بعض ألفاظها فأصبحت حقيل فلقد جاء في اللسان قوله (احْقلْ لي من الشراب، وذلك من الحِقْلة والحُقْلة، وهو ما دون مِلْءِ القَدَح. وقال أبو عبيد: الحِقْلة الماء القليل. وقال أبو زيد: الحِقْلة البَقِيَّة من اللبن وليست بالقَلِيلة).

وهكذا نجد أن كلمة حجيل هنا قد تعنى قليل كما أشار الأديب حمد بوشهاب وهي أقرب للمعنى مراد الشاعر بن ظاهر. ■

تحت عنوان (الهزّار الشادي: حمد بن خليفة أبو شهاب) أقام الأديب الشاعر بلال البدور دراسته عن أحد شعراء الإمارات البارزين في جانبي الإبداع المنظوم: النبطي والفصيح، وأدار تلك الدراسة حول (الملامح الشخصية والفنية في شعره).

وإذا كان الشاعر حمد أبو شهاب قد رضي عن دراسة بلال البدور قبل طباعتها فإن الكاتب الدّارس صدر عن كلا الجانبين المهمين في مثل هذه الدراسات:

: التغلغل في شخصية الشاعر المُبدع

: والنفوذ إلى ملامحه الفنيّة المميزّة

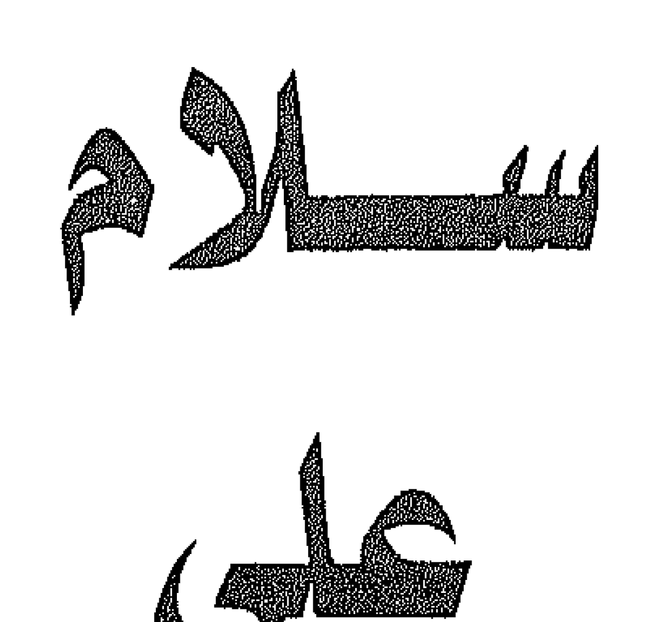
والشاعر حمد الذي وُلِد في (أواخر الثلاثينات من القرن العشرين) في عجمان، وانتقل عنها (في منتصف الستينات إلى دبي وفيها ألقى عصا تسياره) كان ملء سمع أهل الأدب والفن وبصرهم في دولة الإمارات، وفي منطقة الخليج، وفي سائر البلاد العربية.

ونقتبس من مقدمة الأستاذ بلال قوله عن الشاعر حمد (وقد كتب ذلك قبل وفاة الشاعر بمدّة): «إنه بلبل الأمس واليوم والآتي، يتصدّر أيكة الشعر، يشدو مع رفاقه زملاء الصّبا بألحانٍ مبعثها استعدادٌ فطريٌ، وملكةٌ بارعة، وموهبة صافية يصقلها اطلاع واسع ودربةٌ سليمة، يعيش بين أقرانه وأصْفيائه ينهل من منابع العلم المتاحة آنذاك وكم كانت شحيحة..»».

وقد استهل المؤلف كتابه بدراسة ناضجة، استوحاها من شعر حمد، واستفاد فيها من معرفته المباشرة بالشاعر وصداقته الحميمة له، وختمها بمجموعة مختارة من قصائد في أغراض شعره الرئيسة.

وقد اخترنا من هذه القصائد قصيدة عنوانها (سلام على الماضي) يجتمع فيها الكلام على ذكريات الصّبا وأيام الشباب الأول مع الحديث عن ثلّة مختارة من أصحابه، وهو حديث حسن جداً يذكّرنا بأدب الإخوانيّات الذي نعرفه في الأدب العربي شعره ونثره، والذي كثر جداً في العصر العباسي في المشرق وفي الأندلس أيضاً.

ولا يغيب عن القارئ أن الشاعر، وهو يصف أصحابه بهذه الأوصاف النقية الأنيقة يتحدّث عن نفسه أيضاً في ذاتية ظاهرة وفي ظلال شفافية غالبة..



سلام على الماضي

■ حمد بن خليفة أبو شهاب

سلامٌ على عهدِ الشّبيبةِ والصِّبا
ورونَقِهِ الفَيْنانِ في وَاحَةِ الرُّبَا[1]

وأغصانه الخُضْرِ الموائس إنْ شَدا
عليها هَزارُ الحُبِّ أشْجى وأطْرَبا[2]

تداعبُ من أفيائها كلَّ وارف
وَمِنْ ينْعها نَجْني الشّهيَّ المُحَبَّبَا

ونختال في بُرْدٍ كأنَّ نسيجَهُ
خمائلُ أزهارٍ تُرَنّحُها الصَّبَا

فنمرحُ فيها لاَ الزمانُ بصادِفٍ
مُنانا وإن شَحَّ الزّمانُ وأجْدَبا[3]

نُنَاغي الليالي كُلّما لاحَ بارقٌ
سَعِدْنا بِمَرْآهُ وإنْ كانَ خُلَّبَا

زَمانٌ تَقَضّى والأماني مقيمةٌ
تُذَكّرنا لَهْواً بَريئاً ومَلْعَبا

وعَيْشاً تقبَّلْناهُ بؤساً ونعمةً
وحُبّاً تَقَاسَمْنَاهُ وِرْداً ومَشْرَبا

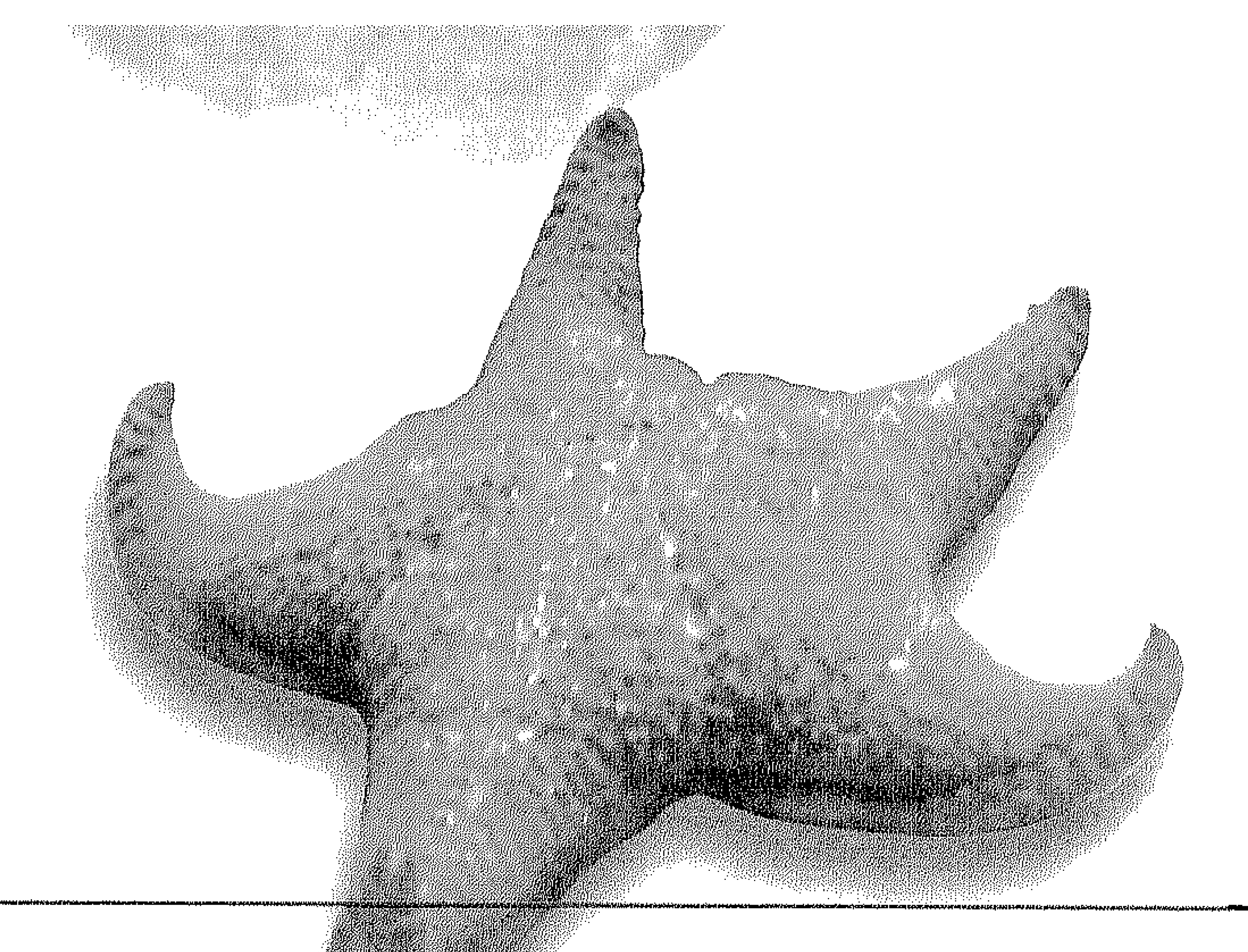
وإخوانَ صدْقٍ ما أُحَيْلى حديثَهُمْ
وأشْهاهُ في سَمْعِ النّدِيّ وأعْذَبا

****

رعى الله ذَيّاك الزّمان وأهلَهُ وإن لم نَجِدْ فيه ثراءً ومَنْصِبَا
ففيهِ الولاءُ الحَقُّ للدّينِ والتّقى وفيه الوِدادُ المَحْضُ والصِّدْقُ والإبَا
مجالسُ آدابٍ يُتَوّجُها البَها حَياءً فلا تَلْقى السَّفِيْهَ المُذَبْذَبا[٤]
ولا باخِلاً بالمُسْتطاع وإنما بها الجُوْدُ مَقْرُوناً بـ: «أَهْلاً ومَرْحَبا»
إذا مَرَّ بَيْتُ الشّعر يحملُ حكمةً تَبَنّاهُ ذو فَهْمٍ فَتىً وعَقْبَا
وشادَ بذكر الشّعر والشّاعر الذي تخيَّرَهُ لَفْظاً ومَعْنىً ومأربا[٥]
فإمّا تَعالى الذِّكْرُ لَبّى جميعُهُمْ نِداهُ وأدّوا ما عليهمْ تَوَجَّبا
شِفاهُهُم لم تَبْرَح الشُّكرَ لحظةً وتسبيحُهُمْ فَيْضُ القُلوبِ تَأَوُّبَا
سرائرُهُمْ من كُلّ غِلٍّ نَقِيَّةٌ وغاياتُهم ما كانَ للحقِّ أقْرَبَا
صفاتٌ كَنَبْتِ الرَّوْضِ رصَّعَهُ النّدى فضوّع آكاماً وسُوْحاً وسَبْسَبا[٦]
على فطرةِ اللهِ السَّنِيَّةِ نهجُهُم وما اتّخَذُوا من دُونِ ذلكَ مَذْهبا
لهم شِيَمٌ يَشْدُو بها كلّ زائرٍ وكانوا على الأرْحَامِ أحْنى وأحْدَبا[٧]
يراعون للجيران حقّ جِوارِهِمْ وما انْفَكَّ فيهمْ مَنْبَعُ الخَيْر صَيِّبَا[٨]
تعاوُنُهُم لم تُنكر العينُ فضلَهُ وكانت صدورُ القَوْمِ بالعطف أرْحَبا
سَعَوْا في سبيل العَيْش جدّاً وهمّةً فَشَقُّوا عُبابَ اليمّ شرْقاً ومَغْربا
يَصُدُّوْنَ منْهُ مَوْجَةً إثْرَ مَوْجَةٍ ويستخرجون الدُّرّ قَسْراً وإنْ أبَى
وما بَسَطوا كَفَّ السُّؤالِ لأنّهُمْ يَرَوْنَ حَلالَ الرِّزْقِ بالكَسْبِ يُجْتَبى
مَلاحِمُ من نارٍ ونُورٍ تَجاوزتْ حُدودَ الأماني هِمَّةً وَتَوَثُّبا
إذا ذكِروا لم يَمْلكِ الدَّمْعَ مَدْمَعي وإنْ غالَبَتْهُ النَّفْسُ زَجْراً تَغَلَّبا

*****

مَضى مَنْ مَضى والذكرياتُ خَوالِدٌ يواكِبْنَ عُمْراً؛ مَوْكِبٌ جَرَّ مَوْكِبا
نَحَتْنَ بقلبي مَنْظَراً غابَ في المَدى ولكنَّهُ عَنْ ناظِري ما تَغَيَّبَا!



شرح المفردات:

(١) الفينان: ذو الأفنان (جمع فنن: غُصن).

(٢) ماس فلان: تبختر واختال (واستعاره للزمان).

(٣) صدف فلاناً عن الشيء: صرفه.

(٤) البها: مخففة الهمزة من البَهاء.

(٥) يقال: أشَادَ بذكره: أثنى عليه (الفعل هنا مزيد بالهمزة).

(٦) ضاعَ العطْرُ يَضُوع: انتشر. و«سوح» جمع ساحة. والسَّبْسَبُ: المفازة: الصّحراء المترامية الأطراف.

(٧) حَدَبَ عليه: انحنى وعَطَف.

(٨) الصَّيِّبُ: المطر.

طارق بن زياد لم يحرق سفنه

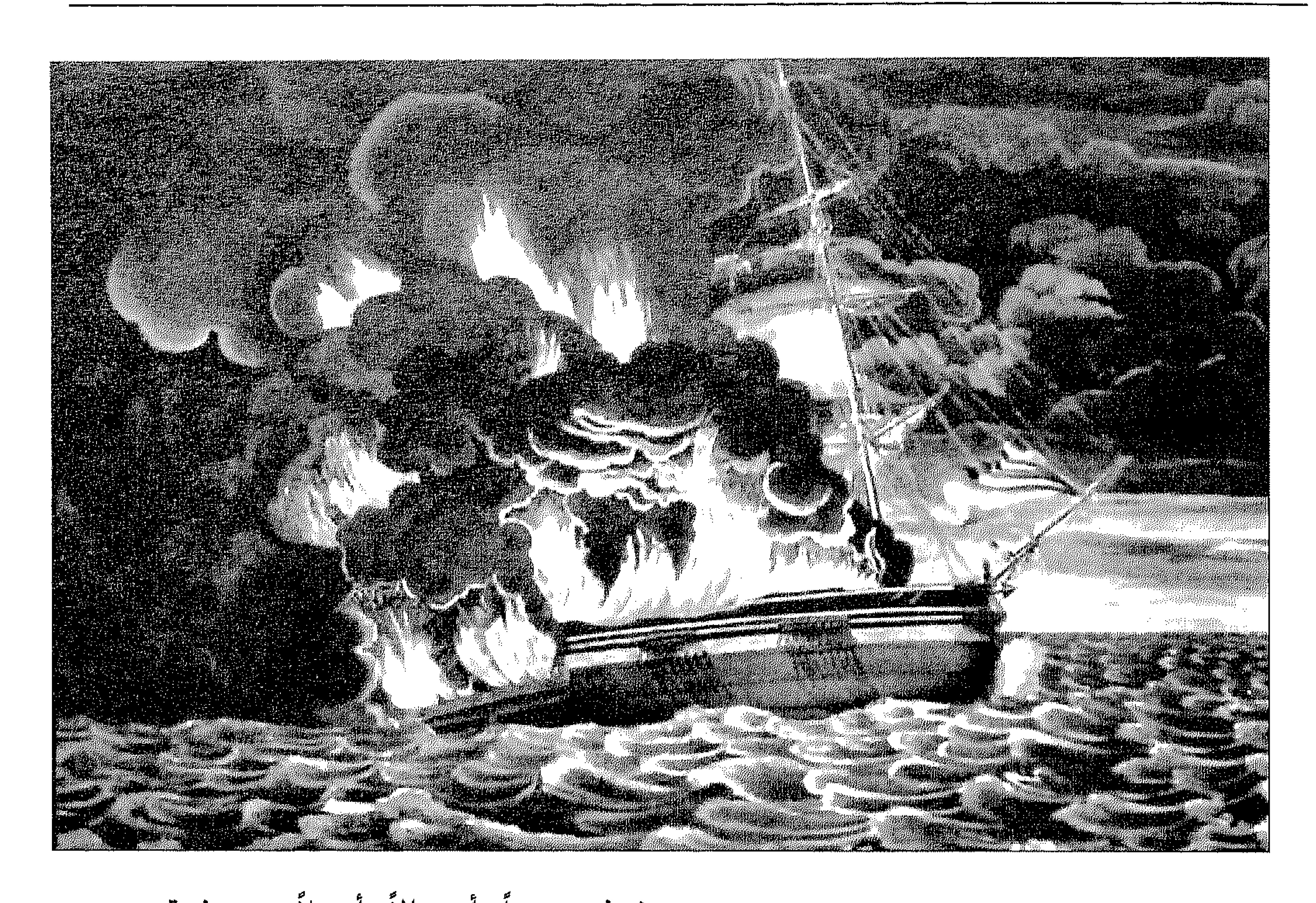
■ صلاح عبد الستار الشهاوي

عندما كنت أقلّب كنزي الثمين «تراث» قرأت إحدى جواهره الثابتة (أسماء لها تاريخ) في العدد ٦٨ يوليو ٢٠٠٤ تحت عنوان (طارق) حيث ذكر الكاتب قوله: «وكان أستاذنا الدكتور عمر فروخ رحمه الله تعالى يقول في محاضراته عن الأندلس: «كيف يحرق طارق السفن وبعضها مستأجر؟» وكان يرى أن طارقاً خطب الجند ولكن الذي وصل إلينا من الخطبة ليس النص الأصلي بحروفه ولكن بمعانيه.

الحقيقة أن التاريخ الإسلامي بمصادره القديمة التي كتبها كبار علماء المسلمين فيه ذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات تصلح زاداً للباحث المتعمق المحقق ولكنها بصورتها الراهنة لا تصلح للقارئ المتعجل الذي يريد أن يجد الخلاصة الجاهزة ممحصة سهلة الاستيعاب سهلة الهضم، ومن الأخبار والوقائع ما هو منحول أو مكذوب، أو ثبت عند الرواة باستنتاجات خاطئة ثم صارت حقيقة واقعة كالرواية التي نحن اليوم بصددها -قضية إحراق طارق السفن- لذا فإن الدعوة لإعادة كتابة أو عرض وتحليل التاريخ الإسلامي اليوم شيء هام لا يجب أن نتثاقل عنه وهذه الإعادة لا تعني بالضرورة البدء من نقطة الصفر أو الرفض المطلق للصيغ التي قدمها المؤرخون ومحاولة قلب معطياتهم رأساً على عقب. ومن يخطر على باله أمر كهذا فهو ليس من العلم في شيء. والمقصود أمر آخر مختلف بالكلية منهج - عدل- يتعامل مع معطيات الأجداد بروح عملية مخلصة فيتقبل ما يمكن تقبله ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدر عطاء الرواد حق قدره دون أن يثنيه ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع علينا بها العصر الحديث وأشدها صرامة. موقف وسط يرفض الاستسلام للرواية القديمة ويأبى إلغاءها المجاني من الحساب.

فالتاريخ ليس شيئاً يكتب مرة واحدة ولكنه مادة تكتب مئات المرات وتعاد كتابتها باستمرار سواء بسبب ظهور معلومات مستجدة عن أية صفحة من صفحات التاريخ، أو بسبب تطور في مناهج بحث التاريخ وفلسفاته وظهور أدوات لمؤرخ يجد في نفسه القدرة والرغبة على أن يدلي بدلوه في التعرض لموضوع ما من موضوعات التاريخ. فكتابة التاريخ إذاً عملية بطبيعتها متجددة، وكذلك التاريخ ليس شيئاً تكتبه جهة واحدة، فليس هناك فرد ولا جهة ولا دولة ولا مجموعة دول تحتكر كتابة التاريخ حتى ولو كان تاريخها. وعلى هذا، فإذا نظرنا إلى قضية إحراق طارق بن زياد لسفنه التي عبر عليها جنوده إبان فتحه للأندلس رجب- رمضان ٩٢هـ/ يونيو- يوليو ٧١١م، وبعد أن عبر على سفنه من المغرب إلى الأندلس نجدها لم تحظ بالتحقيق والعناية.

يعتمد القائلون بحرق طارق للسفن التي عبر عليها على بعض العبارات التي وردت في خطبته المنسوبة إليه والتي توهم بوقوع هذا الاحتراق. ونص الخطبة كما جاء في كتاب (تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس) لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل: «أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا درع لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاعاً فيها للنفوس أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة



بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من أبطال عربان، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. أيها الناس: ما فعلت من شيء فافعلوا مثله. إن حملت فاحملوا وإن وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال وإني عامد إلى طاغيتهم بحيث لا أنهيه حتى أخالطه وأمثل دونه فإن قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبدوا بين قتيل وأسير، وإياكم أن ترضوا بالدنية ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة، فإنكم إن تفعلوا والله معكم ومفيدكم، تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين، وهأنذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتي». وينفرد صاحب كتاب تحفة الأنفس برواية أبيات شعرية نسبها إلى طارق من قصيدة قالها في الفتح والأبيات هي:

ركبنا سفيناً بالمجاز قصيراً
عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة
إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا
إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

وقبل التعرض لحقائق التاريخ يجب أن نضع نص الخطبة أمام أعيننا لإعمال العقل بها فعند ذلك نجد أن الخطبة بحد ذاتها غريبة وعجيبة وسمات الغرابة بها عديدة.

أولها: أن طارق بربرياً وليس عربياً لم يعرف عنه الخطابة وإن كان ذلك لا يقلل من قدرته كقائد كبير وفارس عظيم. بل إن العرب في ذلك العهد -القرن الأول الهجري- لم يعهدوا الخطابة ولم يكن عندهم من الخطباء إلا عدد قليل، لأن الشعر كان ديوانهم ولسان حالهم ووسائل إعلامهم ولم يكن بهم حاجة إلى الخطابة والخطباء في وجود الشعر. وليس بعيداً أن يكون طارق قد خطب جنده قبل الموقعة فنحن نعرف أن كثيراً من قادة الغزوات الإسلامية كانوا يخطبون جندهم في الميدان، ولكن في لغة هذه الخطبة وروعة أسلوبها وعباراتها ما يحمل على الشك في نسبتها إلى طارق. والظاهر أنها من إنشاء بعض المتأخرين صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان.

- لهجة الخطابة فيها تخويف ودفع المسلمين لأمر صعب، وكأنه يقول لهم أنتم محاصرون على هذه

الجزيرة فأين المفر. وقد ثبط من همتهم بقوله إن عدوكم أقواته موفورة وأنتم جياع!! فهل هذا من المعقول عسكرياً أن يكون جيش الخليفة الوليد بن عبد الملك قد دخل الجزيرة ليفتحها وليس معهم قوت يومهم. أي قيادة وأي تخطيط لذلك؟

– لغة الخطابة لم تكن معروفة في أسلوب ذلك العصر وإنما كان السجع نتاج عصور متأخرة.

– ثم إن هناك ذكر المغانم الكثيرة التي يعهدهم بها ليس رغبة في الفتح ونشر الدين وهي الأصل في الفتوحات الإسلامية مما لا نعهده في خطب المسلمين أثناء فتوحاتهم، لذا فإن هذا الخطاب لا يمكن الاعتماد عليه من الوجهة التاريخية كوثيقة بعيدة عن شوائب الريب.

أما عن حقائق التاريخ فإن معظم المؤرخين المسلمين، ولا سيما المتقدمين منهم الذين ينتمون إلى أزمنة مختلفة وأماكن متباينة، يتجاهلون قصة إحراق طارق للسفن ويتحدثون عن الفتح دون أدنى إشارة إليها وكأنها شيء لا أصل له، فلم يشر إلى قصة إحراق السفن هذه أحد من المؤرخين القدماء الذين أرخوا للأندلس خلال القرن الثاني الهجري أمثال ابن عبد الحكم ٢٥٧هـ صاحب كتاب (فتوح مصر والمغرب والأندلس)، والبلاذري وهو معاصر لابن عبد الحكم تقريباً صاحب كتاب (فتوح البلدان) وهم أقدم رواة الفتوحات الإسلامية وعبد الملك بن حبيب ٢٣٨هـ صاحب كتاب (مبتدأ خلق الدنيا) المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب أو المدرسة التاريخية الأندلسية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري أمثال ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) صاحب كتاب (الأندلس)، كما لم يشر إليها ابن الأثير أو ابن خلدون، ونقلها المقري عن مؤرخ لم يذكر اسمه وهي على العموم أكثر ظهوراً في كتب المؤرخين والأدباء والمتأخرين حيث لم تذكرها جميع الروايات الإسلامية التي تحدثنا عن فتح الأندلس ولا تذكرها الرواية الإسلامية إلا في موطن واحد، هو (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي، أبي عبد الله محمد الإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، إذ يقول: «لما جاز طارق بمن معه من البربر وتحصنوا بهذا الجبل أحس في نفسه أن العرب لا تثق به فأراد أن يزيح ذلك عنه فأمر بإحراق المراكب التي جاز عليها فتبرأ بذلك عما اتهم به)، وقد نقلت بعض التواريخ النصرانية المتأخرة هذه الرواية عن الإدريسي فيما يرجح وفيما عدا ذلك فإن جميع الروايات الإسلامية تمرّ عليها بالصمت المطبق بما يعني أن هذه الرواية دوّنت لأول مرة في القرن الخامس الهجري أي بعد فتح الأندلس بأكثر من ثلاثة قرون.

فلماذا لم يذكر أحد من المؤرخين السابقين للإدريسي هذه القصة؟ ومن المعروف تاريخياً أن الكونت يوليان الإسباني هو الذي قدم جزءاً من السفن التي ركبها العرب إلى الأندلس في بعثتهم الاستكشافية الأولى بقيادة طريف بن مالك، ثم في حملتهم الثانية أثناء الفتح بقيادة طارق فكيف لطارق أن يحرق السفن التي هي ملك للغير –يوليان وبحارة المغرب الذين أجر منهم طارق بعض السفن.

ومن المعروف تاريخياً أيضاً أن طارقاً قد اضطر قبل خوض المعركة إلى طلب المدد من موسى بن نصير عندما رأى كثرة جنود القوط، فأمده موسى قبل خوض المعركة بخمسة آلاف جندي عبرت بهم السفن إلى الأندلس ولو طلب طارق مدداً ثانياً أو ثالثاً لأمده موسى به فكيف يحرق طارق السفن؟ وكيف عبر موسى بجيشه الذي بلغ ثمانية عشر ألفاً بعد ذلك بعام واحد؟

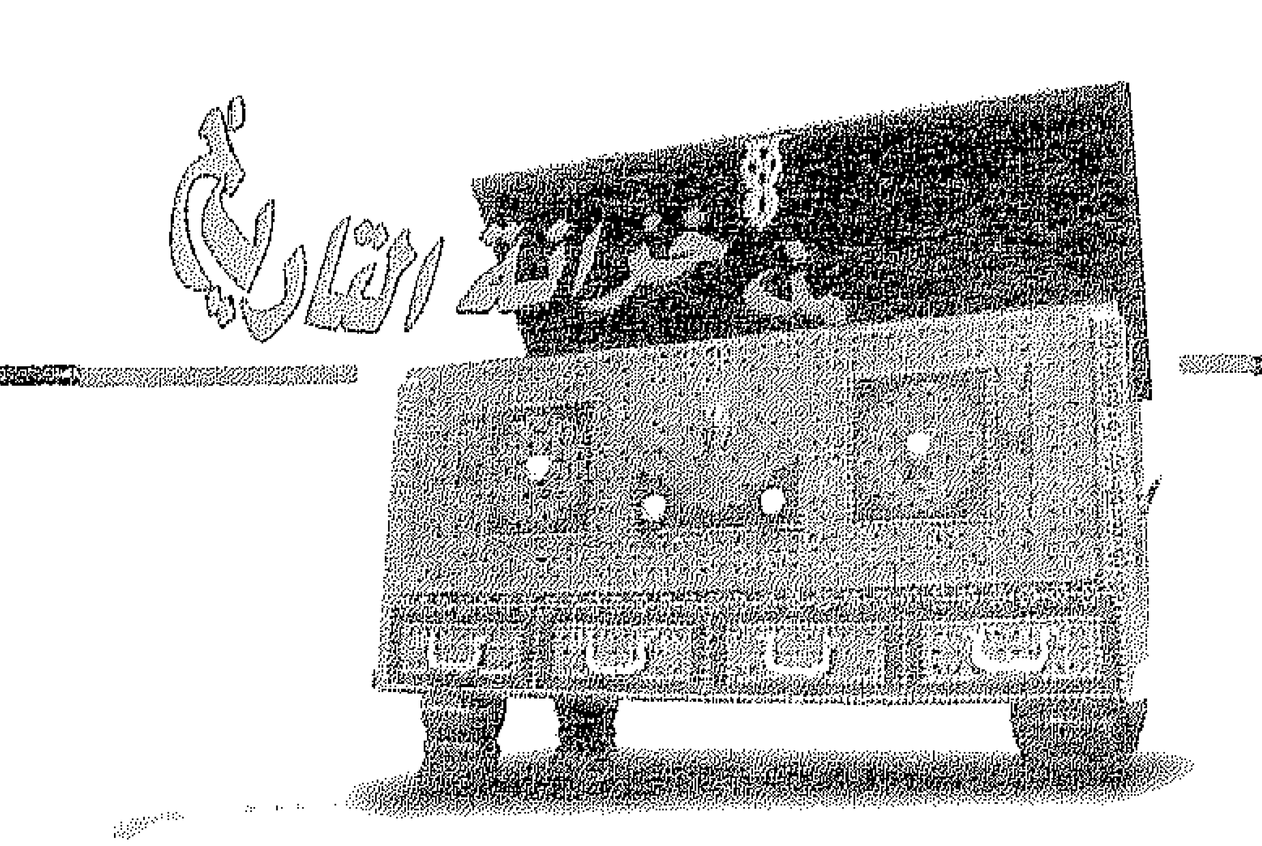
وحرق السفن عمل انتحاري يحرمه الإسلام ومغامرة ليس ثمة موجب لها، لذلك فإنه أمر لم يكن جائزاً من الناحية الاستراتيجية وليس له ما يسوغه بل هناك ما يمنعه.. والله يعلم الحق وهو وليّ التوفيق.

هوامش:

١) وفي نفس المقال (أسماء لها تاريخ – طارق) ذكر الكاتب قطعة حماسية نسبها إلى هند بنت بياض بن رباح بن طارق الإيادي أوردها الكاتب بدون ترتيب مما أفقدها المعنى والحقيقة أن هذه القطعة هي لهند بنت عتبة بن ربيعة تحرض قومها على الثبات في معركة أحد، وهذا هو ترتيب الأبيات كما ورد في كتب التراث:

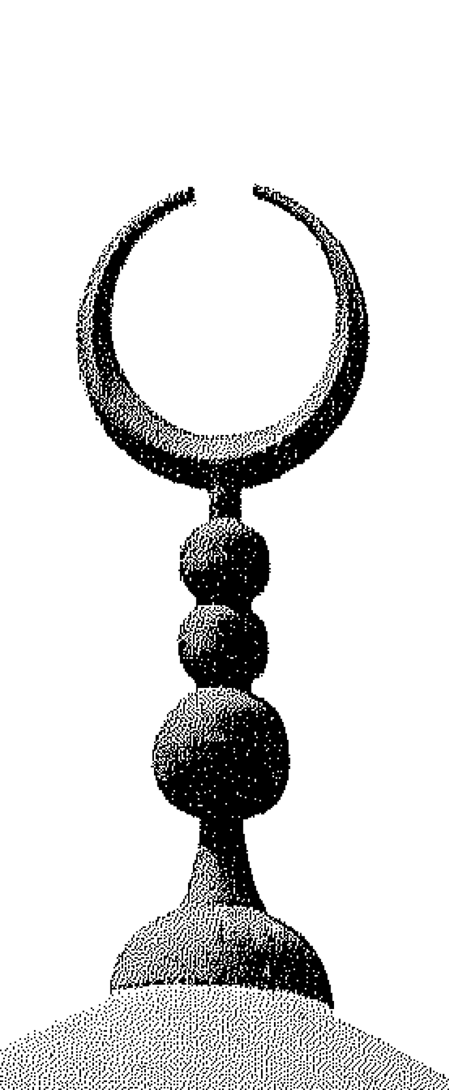
نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
الدر في المخانق
والمسك في المفارق
لا ننثني لوامق
إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

٢) ورد في نفس العدد ٦٨ في مقال (الربابة الوتر الحزين) ص١٠٠، ما ذكره الكاتب تحت عنوان (وظائف مغني الربابة) يعتبر المغني عبد الله بن ممدود الربابي الواسطي أول مغنٍّ للربابة في الجزيرة الفراتية حيث اعتبره (الفيروز أبادي) في موسوعته اللغوية (لسان العرب) من أهم مغني الربابة في القرن الرابع الهجري، ومن المعروف أن لسان العرب هو (لابن منظور)، أما الفيروز أبادي فهو صاحب (القاموس المحيط).



علماء الهمة والعزيمة

■ أ.د. عبد الرحمن علي الحَجّي *



كان من عادة النصارى الإسبان وغيرهم عند سقوط مدينه أندلسية أن يحوّلوا مسجدها الجامع إلى كنيسة المدينة الكبرى (Catedral, Cathedral)، رغم الوعود الأكيدة بعدم القيام بمثل ذلك. فهكذا فعلوا مع طليطلة، إذ بعد سقوطها ربما بأشهر أو أسابيع حَوَّلوا مسجدها الجامع إلى كنيسة ومنعوا المسلمين من الصلاة فيه والدخول إليه، لكن أحد الفقهاء الأفاضل الذي لا نعرف غير لقبه: المُغامي (نسبه إلى قرية مُغام القريبة من طليطلة) أصر على دخوله ليصلي فيه ويقرأ القرآن الكريم يطيل صلاته وقراءته، بينما الجند من حوله مدججون في السلاح يستحثونه على الانتهاء والخروج منه، وكأنه ما كان يريد تركه ومفارقته، ولو كان بإمكانه لحمله معه أو أقام فيه عُمْرَهُ[1].

وإنه لمن الغريب ألاّ نجد معلومات عن هذا الفقيه فلعلها كانت وذهبت، مثل ذَهاب هذا المسجد، ضمن ما دُمِّر وأُحْرِق من مئات الآلاف من المخطوطات. والذي بقي بأيدينا -مما وصلنا- مصدر واحد يذكر هذه الحكاية، وهو كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)[2] (جزيرة الأندلس)، لابن بسام الشَّنْتَريني (٥٤٢ هـ) من مدينة شَنْتَرين[3] (Santarem)، بالبرتغال اليوم شمال شرق عاصمته لشبونه (Lisbon, Lisboa)، نحو سبعين كيلومتراً. ثم شرع الفونسو السادس (Alfonso VI) بتغيير المسجد الجامع إلى كنيسة، بقوة السلاح، في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

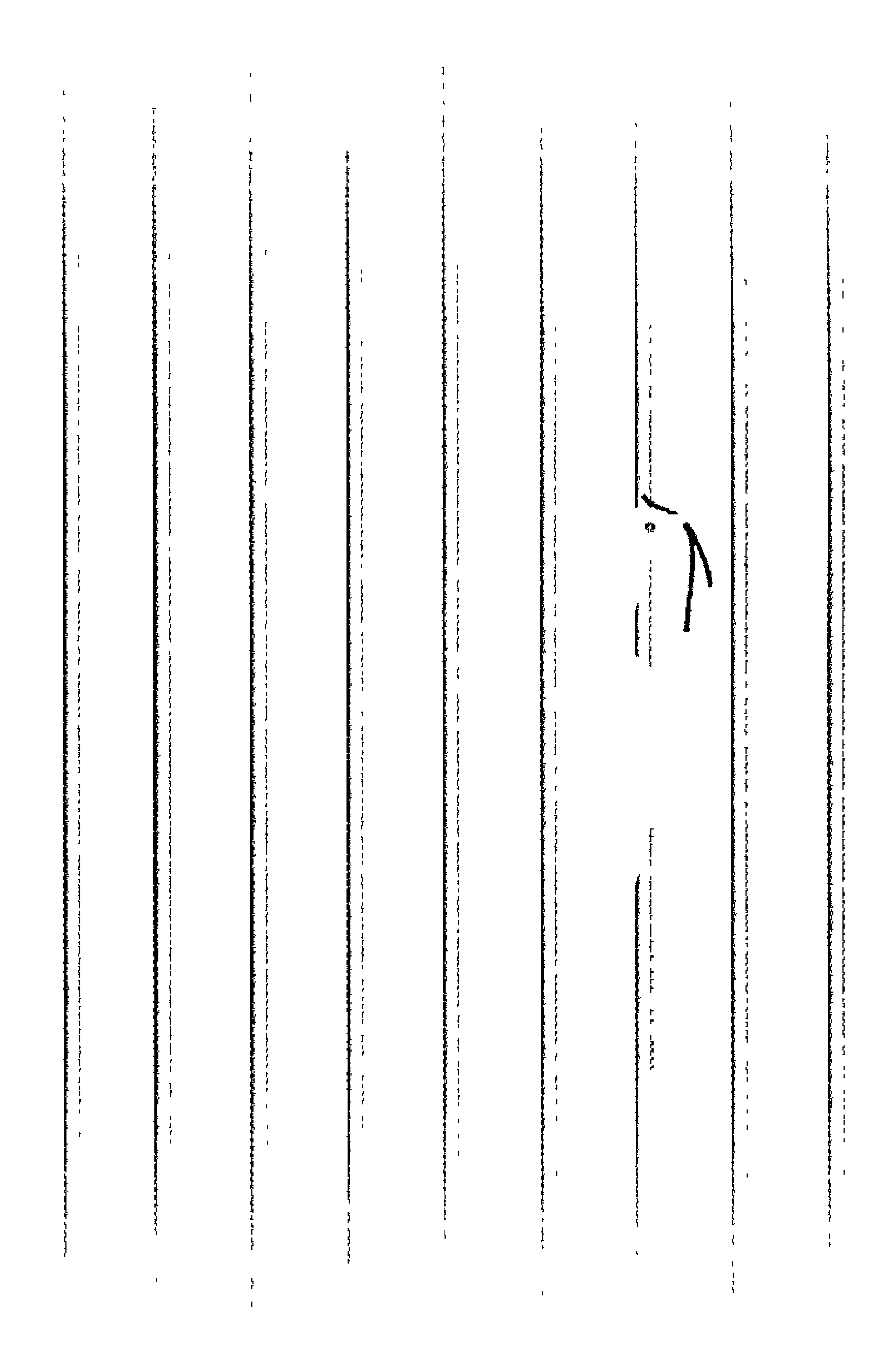
«وحدثني (يقول ابن بسام) مَن شَهد طواغيتَه تَبْتَدِرُه في يوم أعمى البصائر والأبصار منظرُه وليس فيه إلا الشيخ الأستاذ المُغامي آخر مَن صَدَرَ عنه واعتمده في ذلك اليوم ليتزود منه، وقد أحاط بالمسجد وبالشيخ مَرَدَةُ عفاريته وأوائل طواغيته، وتكاثر عليه جند الفِرَنج لتغيير القبلة. وكان مع الفقيه أحد تلاميذه يقرأ فكلما قالوا له عَجِّل أشار هو إلى تلميذه بأن أكمل. ثم قام وما ارتعب ولا تهيب، فسجد به واقترب وبكى عليه مَلِيّاً وانتحب، فما جَسَرَ أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته، وعصمه الله تعالى منهم. والنصارى يعظمون شأنه ويهابون مكانه، لم تمتد إليه يد ولا عَرض له بمكروه أحد، وهكذا عصمه الله تعالى منهم حتى أكمل قراءة ما يريد، وسجد سجدةً ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاءً شديداً حتى خرج لم يعرض له أحد بمكروه. وكأنه يحمل حزن القرون السابقة والحاضرة واللاحقة». فذهبت طليطلة واسطة العِقد في الأندلس العتيدة المريدة الفريدة.■

---

* أستاذ التاريخ الأندلسي- مدريد

الهوامش:

١) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ٣٨٤.
٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ / ١٠٤.
٣) عنها انظر كتاب: الروض المعطار في خبر الأقطار، ابن عبد المنعم الحميري، ٣٤٦ = صفة جزيرة الأندلس،١٦-١٨.



ألُوس.. وشاعِرُها

هذه بلدة عند الفرات اسْمُها (ألوس) وقرأتُ في الروض المعطار أن اسمها (ألوسة). وروى ياقوت الحموي قصة أسطورية في اسم هذه البلدة، والرجل الذي سمّيت باسمه.

وقد نُسِب إلى (ألُوس) هذه عدد كبير من العلماء والأدباء قديماً وحديثاً، وكانت مع بلدات حولها مجالاً لأحداث سياسية مهمة، وخصوصاً في زمان الدولة العباسية. والنسبة إلى هذه المدينة: الألُوسي.

وفي المَنْسُوبين إلى ألوس شاعر أديب له أخبار مع الخلفاء العباسيين وله ترجمة في كتاب فريدة القصر (قسم شعراء العراق) وغيره هو المؤيّد الألُوسي.

ونقرأ في ترجمة المؤيد أنه أبو سعيد عطاف بن محمد بن علي الألوسي. و(المؤيّد) لقب غلب عليه. ولد في بلدة (ألوس) ونشأ في دُجَيْل. ولمّا شبّ وطلب العمل قَصَدَ إلى بغداد، وانخرط في خدمة الدولة أيام الخليفة العباسي: المُسترشد بالله. ونال المؤيد حظاً في حياته، واغتنى، واشتهر بكونه شاعراً بارعاً تفنّن في أغراضه الشعرية، وأهمّها: الغزل والمدح والوصف والهجاء. وجَرّ عليه فنّ الهجاء مشكلات نغّصت عليه طرفاً من حياته.

– ومن شعره:

ومهفهف يُغني ويُفني دائماً
في طَوري الميعاد والإيعادِ

وهبت له الآجامُ حين نشابها
كرم السّيول وهيبة الآسادِ

– «الميعاد من فعل وَعَدَ (يكون الوعد عادةً بالخير)؛ والإيعاد من أَوْعَدَ (يكون في التهديد) والآجام جمع أَجَمَة: الشجر الكثير الملتفّ».

وكانت أيام المؤيد الألوسي تجري في سعادة وهناءة حتى أصابته نكبة لم يحسب حسابها كما يبدو. فقد اتهمه الخليفة المقتفي بالله بالاشتراك في مؤامرة ضدّه، وجرى عليه الادّعاء –أيضاً– بأنه هجا الخليفة. وكان نصيبه لهذه الاتهامات: الإيداع في السجن.

وطال حبس المؤيّد الألوسي. وحاول أن يثبت براءته، وأن ينال من الخليفة شفاعته؛ حتى إن صاحب الخبر (مسؤول الأمن) اقتنع ببراءة المؤيّد، ووافق ابن المهدي (وهو اسم صاحب الخبر المذكور) على نقل

رسالة من الشاعر إلى الخليفة يستعطفه ويعتذر إليه ويطلب إليه أن يُطلق سراحه. ولمّا اطلع الخليفة على رسالة المؤيد رفض أن يطلقه وكتب على بطاقة الشاعر بخط يده (أيُطْلَقُ المؤبّد) وفي العبارة استفهام إنكاري أي كيف يطلق سراحه وقد قرر هو أن يجعلَ حبسه مؤبّداً (بباء موحدة).

ولا ندري ما الدافع الذي حث ابن المهدي صاحب الخبر أن يقدم على تغيير توقيع الخليفة ليتسنى إطلاق سراح المؤيد. جاء ابن المهدي بسكين وقلم حبر. كشط بالسكين همزة (أيطلق؟!) فصارت: يُطلق. وأضاف نقطة إلى المؤبّد، فصارت المؤيّد. وتمام العبارة هكذا: «يُطلق المؤيّد»!!

ذهب المؤيد إلى داره واستراح نهاره وبات ليله مع أهله. ولم يدم إطلاق سراحه أكثر من يوم وليلة!!.. فقد بلغ المقتفي أن الشاعر مطلق السراح فأمر بإعادته إلى السجن، وعاقب ابن المهتدي. وأُسْدِل الستار على هذا الخبر الغريب عشر سنوات كاملة.

مات المقتفي، وجاء بعده المُستنجد، فأطلق سراح المؤيّد. ورجع ثانية إلى منزله ليجد في استقباله زوجته وابنه محمد الذي رزق به في ذلك اليوم الذي أطلق سراحه فيه.. ولما رأى ابنه قال فيه:

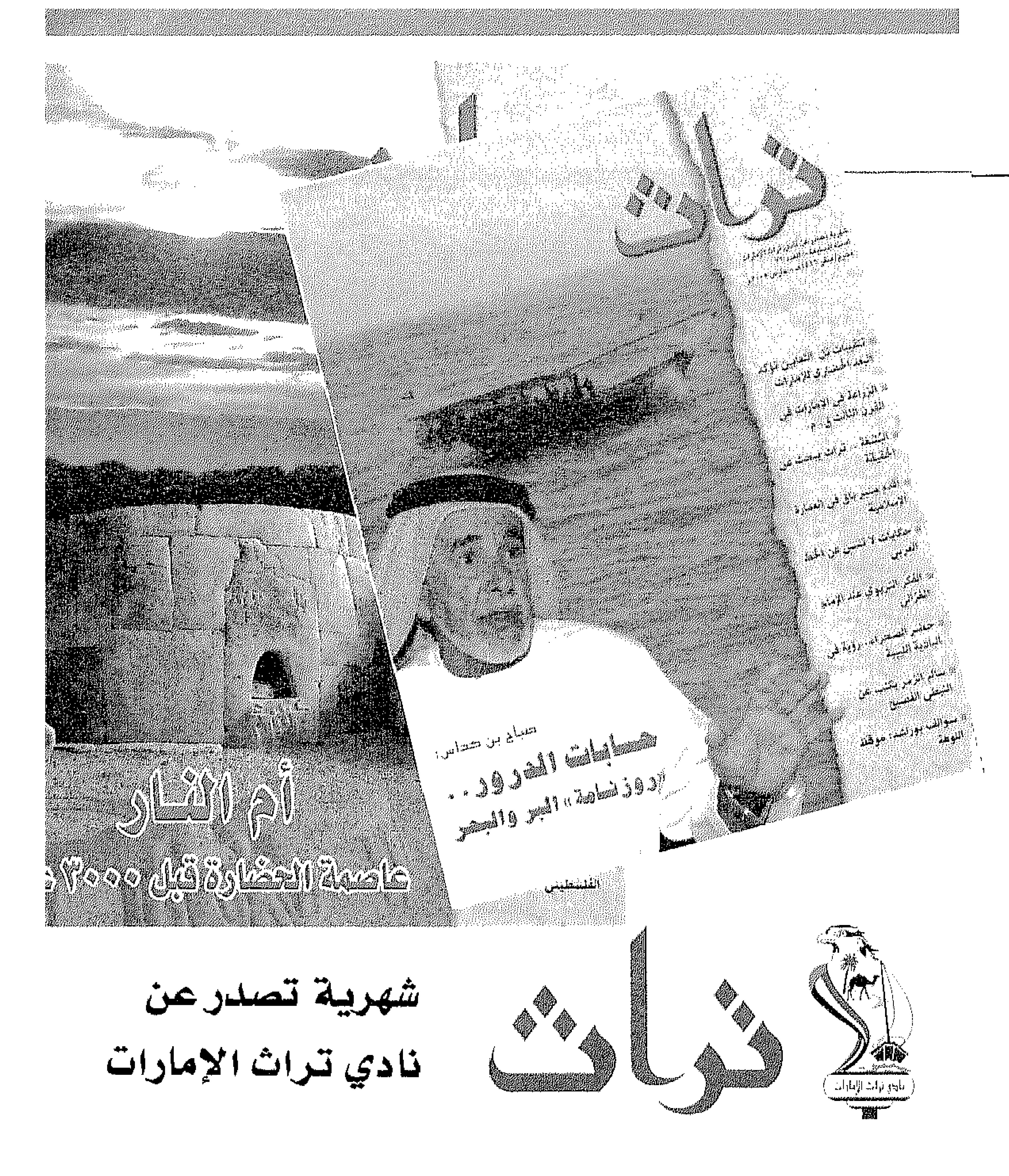
لنا صديقٌ يغرُّ الأصدقاء ولا
تراهُ مذ كان في ودٍّ له صَدَقا
كأنه البحر طول الدهر تُبْحِرُهُ
وليس تأمن فيه الخوف والغرقا

– وعاش المؤيّد الألوسي إلى سنة ٥٥٧. واسمه مذكور في شعراء العصر المشهورين المنسوبين إلى أَلُوس.

– ومن شعر ابنه محمد:

أنا ابْنُ مَنْ شَرُفت علماً خلائقه
فراح مُتّزراً بالمجد مُتّشِحا
أمّ الحِجَا بجنينٍ قطّ ما حَمَلَتْ
من بَعْدِهِ، وإناء الفضل ما طفحا
إن كنتُ نوراً فنبتٌ من سحابته
أو كنت ناراً فذاك الزند قد قَدحا

والشعر يلمح إلى قصة أبيه، وقصّته نادرة، وفيه فخر الولد بأبيه وفخر الفتى بنفسه أيضاً.■



تراث

شهرية تصدر عن
نادي تراث الإمارات

مجلة الأصالة والفكر المعاصر

* قراءة في التاريخ. * دراسات تاريخية.
* استلهام من التراث. * موضوعات تراثية.
* استشراف للمستقبل. * بحوث أثرية.

من الأصالة نستمد رؤى المستقبل في قضايانا الثقافية .. وبفكر مفتوح نناقش القضايا العربية والإسلامية والعالمية

قيمة الاشتراك بالبريد:*

للأفراد	:	محلياً ٨٥ درهماً وعربياً ٢٧٩ درهماً
للمؤسسات	:	محليا١٥٠ درهماً وعربياً ٣٣٩ درهماً

* (إضافة إلى رسوم البريد)

الاشتراك في تراث يضيف إلى مكتبتك قيمة تراثية وتاريخية وعلمية وأدبية ولأسرتك الكثير من المتعة والثقافة

أساليب القص عند محمد المر



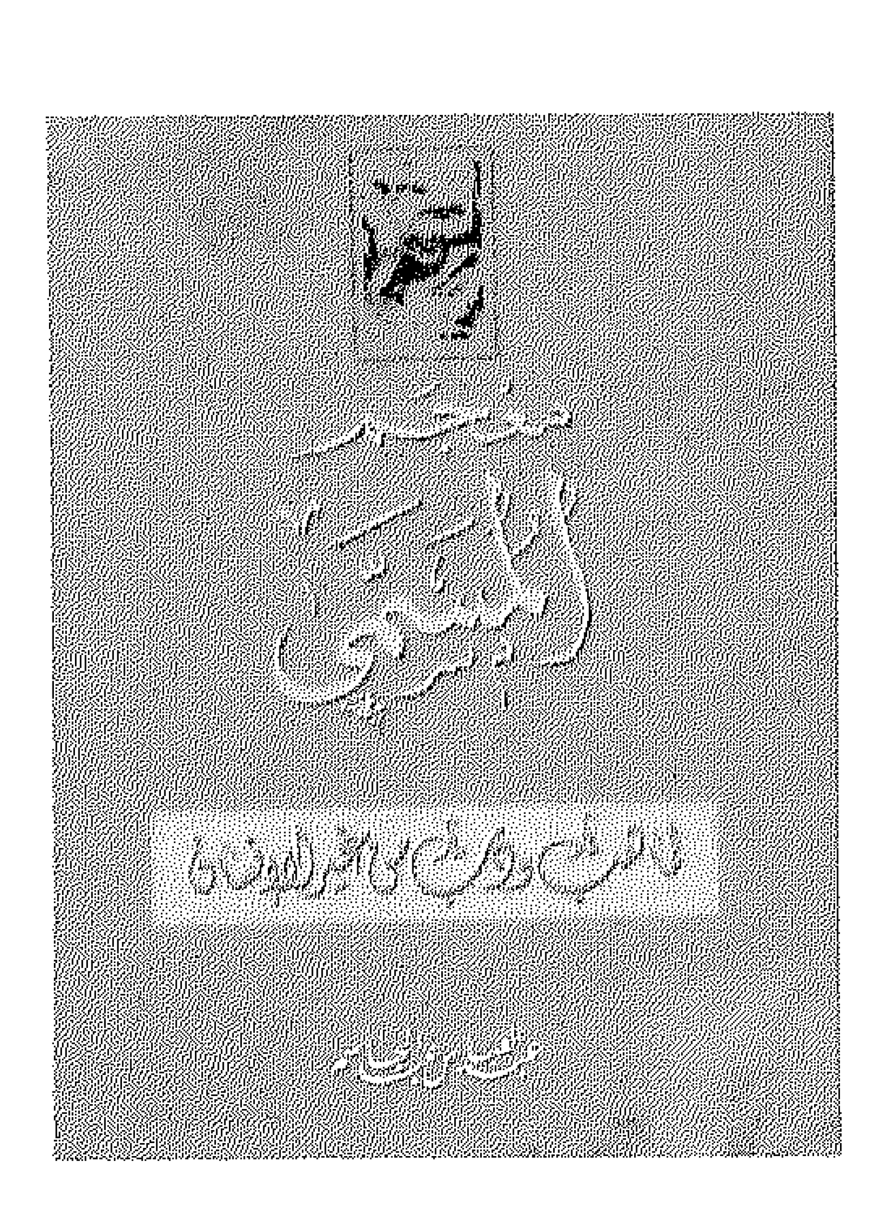
يجيء كتاب الدكتور سمر روحي الفيصل (أساليب القص عند محمد المر) ليقرأ كتابات الأديب المر بمنهجية أكاديمية ذات خصوصية، تستند إلى المنهج التحليلي اللغوي، حيث ينظر إلى القصة القصيرة على أنها حكاية سردية متخيلة، ويفهم أسلوب القص على أنه الطريقة اللغوية على المضمون.

واحتوى الكتاب على فصلين موزعين على طائفة من الموضوعات ذات العلاقة بفنّ القصّ عند المر. وتضمن الفصل الأول الموضوعات التالية: أساليب القصّ- مدخل منهجي، الأسلوب الحكائي، الأسلوب الحواري، الأسلوب الدائري، الأسلوب التصويري، أساليب القصّ- بنية المتن، البنية القارّة، الرؤيا الفنية، اللغة القصصية، الحكائية، السّرد، العناصر المتحوِّلة، ثم إحالات الفصل الأول.

بينما توزعت موضوعات الفصل الثاني من كتاب سمر الفيصل إلى: أساليب القصّ- اتساع المتن، الأساليب المختلفة، الأسلوب الأنتقادي، أسلوب المفارقة، أسلوب الصورة القصصية، الأساليب المؤتلفة، الأسلوب الحكائي، الأسلوب الحواري، الأسلوب التصويري، الأسلوب الدائري، تقنيات أساليب القصّ، السّرد الحكائي، الشخصية القصصية، الحوار الوظيفي، الوصف والتصوير، الزمان والمكان، الافتتاحية ولحظة التنوير، الملامح الكلية لأساليب القصّ، وأخيراً إحالات الفصل الثاني، فالخاتمة.■

الكتاب: أساليب القصّ عند محمّد المر
المؤلف: الدكتور سمر روحي الفيصل
الناشر وسنة الطبع: ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ٢٠٠٥م
الصفحات: ٢١٣ صفحة من القطع المتوسط
العنوان: ص.ب: ١٦١٢٣، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

معجم المُسمى لما هبّ ودبّ من غير الإنسان



عديدة هي معاجم اللغة العربية التي أنجزها علماء اللغة العرب عبر العصور المتعاقبة. لكنّ الباحث عبدالعباس عبدالجاسم في كتابه الجديد (معجم المُسمى لما هبّ ودبّ من غير الإنسان) الصادر مؤخراً في أبوظبي يرى بأنّ تلكم المعجمات التي عُنيت بأسماء وصفات غير الإنسان، لم يكترث مصنفوها بكامل أسمائها وصفاتها، أو بسبب التسمية التي يحرص عليها الجانب العلمي والتعليمي في الدراسة والاطلاع؛ سعياً منه وراء الدلالة لبيان الدِّقة اللغوية في اختيار اللفظ، مما حدا بعبدالجاسم أن يجعله حجر الزاوية في صياغة كتابه: (معجم المُسمى لما هبّ ودبّ من غير الإنسان) الذي قضى في تأليفه عدّة سنوات ليجمع شتات تلك الألفاظ التي درسها وفهرسها ليضمها في كتابه المعجم من المعجمات العربية القديمة.

وقد تناول المؤلف تلك الألفاظ ووزعها بموجب الحروف الهجائية وأولها

(الهمزة) وأول ألفاظها (الإبل). ثم الحروف المتبقية وهي الباء بـ (البازي)، وحرف التاء بـ (تأتب)، وحرف الثاء بـ (ثاثأ)، وحرف الجيم بـ (الجابة)، وحرف الحاء بـ (حا)، وحرف الخاء بـ (خاتت)، وحرف الدّال بـ (دأى)، وحرف الذّال بـ (الذالان، الذؤلان)، وحرف الراء بـ (راتخ)، وحرف الزّاي بـ (زأرّ)، وحرف السّين بـ (سابت)، وحرف الشّين بـ (شابك)، وحرف الصّاد بـ (صارفة)، وحرف الضّاد بـ (ضاعف)، وحرف الطّاء بـ (الطاؤوس)، وحرف الظّاء بـ (ظأب)، وحرف العين بـ (العاج)، وحرف الغين بـ (غادر)، وحرف الفاء بـ (الفاجع)، وحرف القاف بـ (القارة)، وحرف الكاف بـ (كاسر)، وحرف اللام بـ (لألأ)، وحرف الميم بـ (ماء)، وحرف النون بـ (النابئ)، وحرف الهاء بـ (ها)، وحرف الواو بـ (واخط)، وحرف الياء الأخير بـ (اليأفوفة). ■

اسم الكتاب:
معجم المُسمى لما هبّ ودبّ من غير الإنسان
المؤلف:
عبدالعباس عبدالجاسم
الناشر:
المؤلف، الطبعة الأولى، أبوظبي ٢٠٠٥م.
الصفحات:
٥١٦ صفحة من القطع المتوسط.

الأحكام الشرعية والقانونية

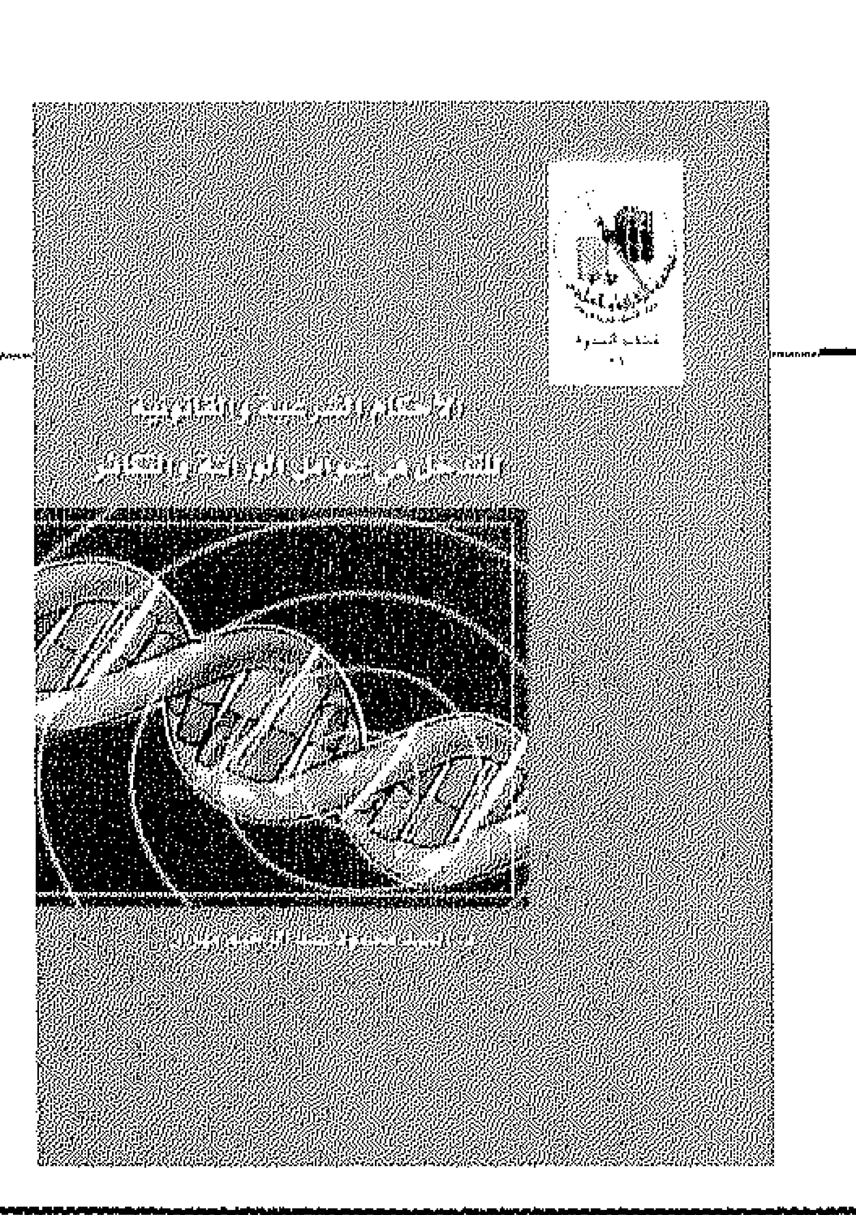
صدر كتاب (الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر) للدكتور السيد محمود عبدالرحيم مهران، ضمن كتاب الندوة (١٦) عن ندوة الثقافة والعلوم في دبي. وجاءت محتويات الكتاب على النحو التالي:

الباب التمهيدي: تحديد إطار البحث والموضوعات ذات الصلة، تناول الفصل الأول منه: مفهوم التطور العلمي وتحديد إطار البحث، وفيه عدّة مباحث مقسمة على مجموعة مطالب وفروع في كل فصل. في حين عرض الفصل الثاني: لعلاقة التدخل في عوامل الوراثة والتكاثر بالدين والقانون. بينما قدّم الفصل الثالث لهذا الباب: لتكييف التدخل في عوامل الوراثة والتكاثر وصلته بأحكام العمل الطبي.

أما القسم الأول من كتاب مهران فهو: أحكام التدخل في عوامل الوراثة، جاء الفصل الأول ليتحدث عن: ماهية عوامل الوراثة والمقصود بالتدخل فيها، والفصل الثاني: التدخل في عوامل الوراثة في ضوء أحكام المساس بالجسد، وثالث الفصول هو: فحص المحتوى الوراثي وتطبيقاته.

وعنون المؤلف الباب الثاني لكتابه بعنوان: أحكام تقنيات الوراثة الهادفة إلى تعديل الخصائص الوراثية (الهندسة الوراثية)، وتضمن فصلين، كما تناول الباب الثالث أحكام تقنيات الوراثة القابلة لاستهداف التكاثر (التقنيات الموجهة).

وأفرد المؤلف الباب الثالث ليتناول فيه: المشكلات التي يثيرها تطبيق تقنيات التكاثر، فعرض في الفصل الأول منه: لمساهمة الغير بالخلايا الإنجابية، ولمساهمة الغير بمقر اللقيحة في الفصل الثاني من هذا الباب. وختم السيد محمود مهران كتابه بخاتمته والنتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال بحثه هذا. ■



اسم الكتاب: الأحكام الشرعية والقانونية
المؤلف: الدكتور السيد محمود مهران
الناشر وسنة الطبع: ندوة الثقافة والعلوم، دبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
الصفحات: ٨٢٢ صفحة من القطع الاعتيادي
العنوان: ص.ب: ١٦١٢٣، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

سوالف بوراشد

حكايات واقعية من الحياة يرويها:

■ خميس بن زعل الرميثي

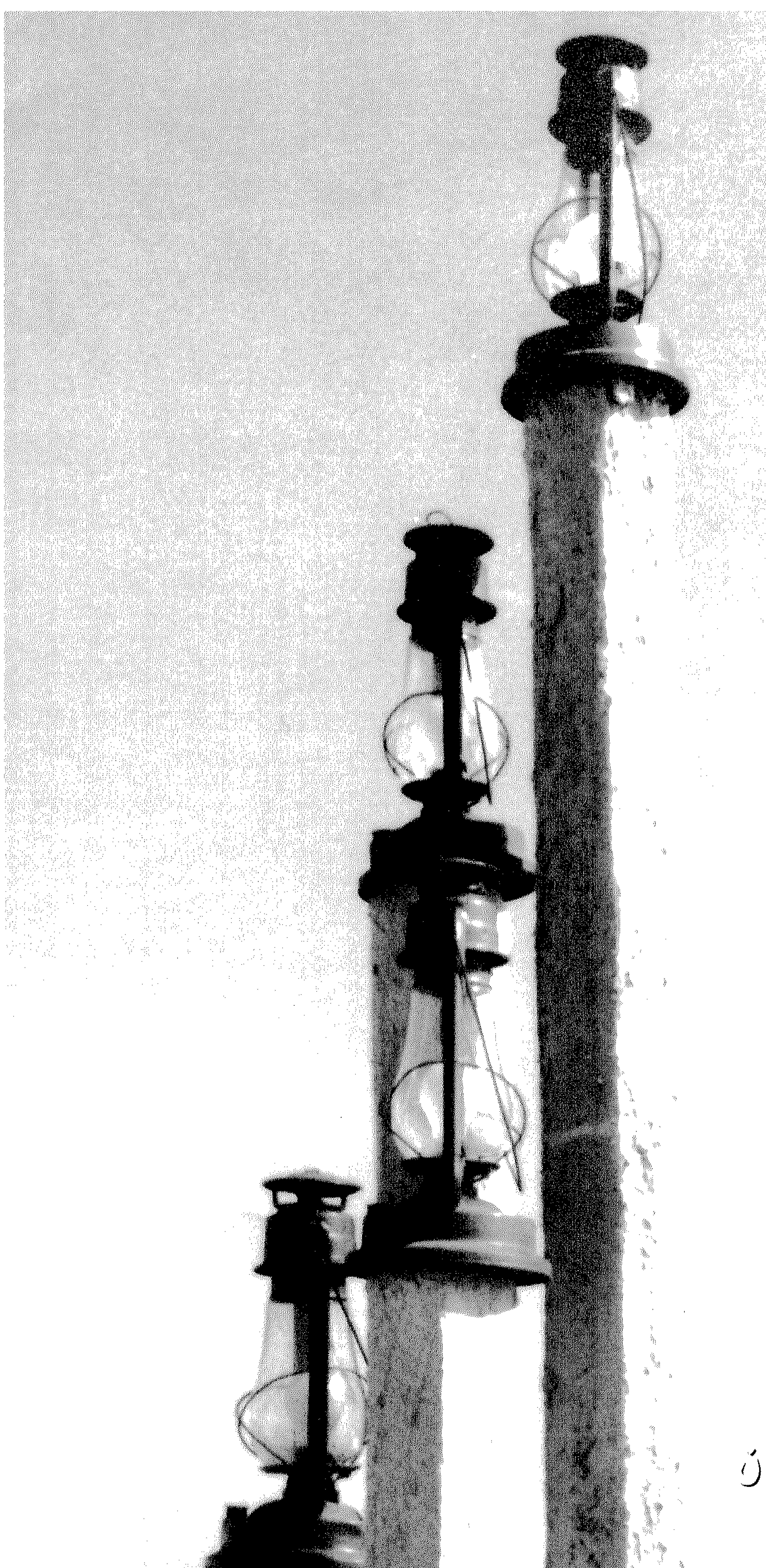
الكراب

ذكرنا في مرة سابقة أن سمكة القرش القصيرة.. القوية.. سمراء اللون يطلقون عليها في الخليج (الكراب).. وكان سعيد بن محمد قصير القامة.. قوياً.. أسمر.. نشيطاً.. يملك نفساً طويلاً لذلك اعتبروه (غيص رقم واحد) في بداية الأربعينات من القرن الماضي.. فأطلقوا عليه (الكراب).. وكان النواخذا يتسابقون للاتفاق معه في كل موسم لأنهم يعتبرونه (غيص عن إثنين) أي بقدرة اثنين من الغواصين.

وكما يقول المثل «العين حق فاحذروها» أصابته عين الحسود في إحدى سفرات الغوص في منتصف الموسم.. فأصبح مع كل موسم لا يستطيع إكماله ولا يقدر على الغوص.. فيشفق عليه النواخذا ويحيلونه إلى عمل آخر على المحمل.. وقد حاول بعضهم علاجه بطرق العلاج التقليدية التي كانت متوفرة والتي لا يعرفون غيرها في ذلك الوقت من قراءة القرآن والكي بالنار.. ولكنها لم تنفع معه.

وفي إحدى سفرات الغوص كان (الكراب) يعمل بجد ونشاط حتى جاء موعد العين في منتصف الموسم فأقعدته ولم يعد قادراً على الغوص.. فحوله النوخذا إلى (فليج) يفلج المحار على ظهر المحمل ليستخرج منه اللؤلؤ.. لكن الناس لا يتركون أحداً في حاله ولا يرحمونه مما هو فيه.. فقد وسوس بعض البحارة للنوخذا أن الكراب يتمارض حتى لا يغوص ويرتاح على المحمل من تعب الغوص.. ومن كثرة الكلام صدق النوخذا كلامهم وقرر أن يختبره.. فناداه وعنفه وقال مهددا: «باكر إذا ما غصت وصكيت القوع سأربط السن في ريلك حتى توديك القوع غصبن عنك»..النوخذا كان يهدد دون أن يكون جاداً في كلامه ويطالبه بالغوص والوصول إلى قعر البحر غصباً عنه وإلا سيربط السن في رجله.. والسن هي مرساة المحمل من الحجارة الثقيلة.. ارتمى الكراب على سطح المحمل لا يغمض له جفن خوفاً من تهديد النوخذا الذي كان قادراً على أن ينفذ تهديده وإن كان غير جاد فيه وإنما أراد تخويف الكراب والضغط عليه فقط.

بعد طول تفكير وعذاب الخوف من التهديد اتخذ الكراب في نفسه قراراً.. وانتظر حتى نام الجميع..وألقى بنفسه في البحر.. لأن النوخذا إن نفذ تهديده فهو لا محالة ميت.. وإن ألقى بنفسه في البحر فهناك نسبة ولو ضئيلة في نجاته من الموت.. وظل الكراب يصارع البحر لمدة ثلاثة أيام دون أن يدري له قرار أو يحدد له اتجاه.. مكتوياً بنار العطش والجوع.. ونار لسعات الدول (قنديل البحر) الذي كان يرشقه بإفرازاته الكاوية.. ثلاثة أيام والكراب بين الحياة والموت حتى قذف به تيار البحر على ماشية جزيرة أرزنة.. والماشية هي قطعة من الجبل لها شاطئ رملي.. وكان القدر رحيماً به عندما لمحه بحارة محمل كان يمر في المنطقة قبل المغرب.. ولو مر بها مساءً لما رأوه.. فأنزلوا شراعهم.. وجدفوا حتى وصلوا إليه ووجدوه يصارع الموت فحملوه إلى المحمل.. وكان النوخذا ذكياً وخبيراً.. أمرهم ألا يعطوه المياه دفعه واحدة بل قطرة قطرة.. وأما الطعام فكانوا يمرسون التمر بالماء حتى يصبح ليناً جدا ويقطرونه في فمه حتى استعاد وعيه.. ومع الرعاية استعاد صحته .. وعاد مع أهل المحمل إلى دبي واستقر به المقام معهم هناك.. حتى مات رحمة الله عليه في أوائل الثمانينات من القرن الماضي.■



فانوس رمضان

مسجد من االإمارات

